عمر بطيشة

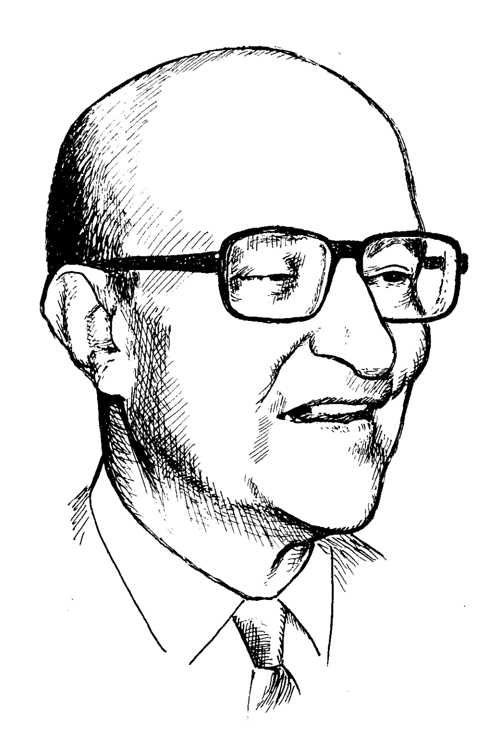
شاهد على العصر

- محمد عبد الوهاب
- يحيى حقي
- أنيس منصور
- موسى صبري
- عبد الوهاب مطاوع
- أمينة السعيد
- د. أحمد قدري
- د. سمير سرحان
- د. نعمات أحمد فؤاد
- أحمد بهجت



مكتبة الدار العربية للكتاب

الموسيقار : محمد عبد الوهاب



فنان .. لكل العصور !

تاريخ التسجيل ١٩٨٩

- من الحمار إلى القمر الصناعى .
- التلوث الصوتى .
- لا تمنعوا الأغانى الشبابية .
- لولاكى .. فى أذنى ..
- من غير ليه .. فى وجه الطوفان .
- حذاء المطربة .
- إعادة تقييم سيد درويش .
- الملحن العبقرى !

حينما أتحدث مع الموسيقار محمد عبد الوهاب فإننى أثق أننى سأحظى بأعلى كثافة استماع أتيحت لبرنامج فى الراديو . . فهو ذلك النغم المصرى العظيم الذى تهفو إليه القلوب مع الأسماع . . ويسرى فى عروقنا منذ الصبا ، مشاركاً فى صياغة وجدان أمة بأسرها . ولست أحتاج لتقديم مسهب . . فهو عبد الوهاب . . وكفى !

بدأ الحوار هادئاً . . وعبد الوهاب يترنم بكلماته وكأنه يغنى . . إنه يدندن كل لفظ ، ويسمح لكل حرف أن يمتد ويأخذ حيزه وحقه . . ويقول :

هذا عصر معقد غاية التعقيد . . وحينما أمد بصرى وذاكرتى لبدايات القرن ، أكاد لا أصدق أننى رأيت ما رأيت، وأن كل ما شاهدته قد وقع فعلاً . . فما أبعد البون بين البدايات وبين ما نحن فيه الآن . . لقد تعقدت الحياة . . وقفز العلم والتكنولوجيا ليغير خريطة العالم ، ويختصر المسافات والأزمنة . . كنت أسافر لأغنى فى الأفراح متنقلاً على حمار بين

قرى مصر . . وقد اشتهرتُ « بِوَسْوَسَتِى » الشديدة من ركوب الطائرات . . فما بالك الآن بالصواريخ التى تحمل الأقمار الصناعية لتضعها فى مداراتها ليتمكن مشاهد من مصر أو زامبيا أو الهند من مشاهدة مباراة فى ميلانو أو مدريد على الهواء ؟! وما بالك بسفن الفضاء التى تعبر من كوكب إلى كوكب ثم تعود إلى الأرض ؟ أشياء مذهلة واكتشافات واختراعات . . عقول الكترونية . . إنسان آلى . . هندسة وراثية . . تحكم الإنسان فى كل شىء . . حتى بالنسبة للموسيقى والغناء . . نلاحظ قدر التقدم الهائل فى التكنولوجيا الصوتية . . شىء مذهل . . ولكن . . !

لهذا التقدم جانبه السلبى أيضاً . . فنلاحظ ازدياد عزلة إنسان العصر وعزوفه عن المشاركة . . نتيجة لانتهاء عصر الحياة المستقرة والبيوتات الكبيرة ، وسعى الناس لسكنى المدن الكبيرة . . وبيوتها وعماراتها الضخمة التى تشبه علب الكبريت القائمة على سيفها ! كل إنسان مهموم بنفسه مشغول بها ، لا يفكر فى جيرانه . . بل لا يفكر فى بقية أفراد أسرته . . . زحام على كل شىء وتسابق وراء كل لقمة وكل شقة وكل مواصلة ! تفككت الأسرة الكبيرة وانقطع التواصل بين الأجيال . .

انتشر التلوث الذى هو نتاج هذا التقدم أيضاً . . تلوث فى الهواء وفى الماء . . والنبات . . والأنهار . . والمحيطات . . ولا ننسى هنا انفجار المفاعل النووى فى تشرنوبيل ـ بل امتد التلوث إلى آذاننا ، وهو التلوث الصوتى !

●●● التلوث الصـوتى :

● لعل الموسيقار عبد الوهاب يقصد ما انتشر مؤخراً من أغنيات هابطة وما تسمى الأغنيات الشبابية ؟

ـ إننى بالفعل أقصد أن موجة الغناء الحديث تركز على عنصر الإيقاع لمخاطبة الجسد بدلاً من الروح . . أين منى الآن مقطوعة موسيقية حالمة . . أو أغنية رقيقة تخاطب وجدانى ؟ لا أحد إلا نادراً . . فالمنتشر الآن أغنيات سريعة الإيقاع لا معنى فيها ولا لها . . لدرجة أن لو واحد صاحبك قابلك يقول لك سمعت آخر غنوة ؟ وكأنه يقول لك : سمعت آخر نكتة ؟! فهى قد أصبحت نكتاً غنائية . . وأنا أرفض أن أسميها أغانى شبابية . . فليست هناك أغانٍ للشباب وأغان طفولية وأغان شيوخية ! المفروض أن الأغنية الجيدة ترضى جميع الأذواق ويغنيها الجميع . . وما ألاحظه أن هذه الأغنيات تخاطب الغرائز . . وتتكلم إلى الساقين فيسرعا إلى الرقص على الإيقاع . . والتقدم الذى حدث فى التكنولوجيا الصوتية أثر على عنصر الإبداع والمشاركة الوجدانية بين المؤلف والملحن والمطرب والفرقة الموسيقية . . فنظام « التراكات » أو القنوات المتعددة للتسجيل فصل بين أعضاء الفريق . . كما ألغيت البروفات ، ولذلك كله أثره على ما نسمعه من أغنيات . .

●●● لا تمنعـوها :

● هل ترمى من وراء هذا الهجوم إلى منع إذاعة هذه الأغنيات ؟

ـ لا . . أنا ضد المنع . . بل إنى أدعو الإذاعة والتليفزيون إلى إذاعة هذه الأغنيات ولكن . . بقدر . . بنسبة معينة . . بحيث توضع فى حجمها . . فلا نظلمها بمنعها . . ولا نعطيها مساحة أكبر من حجمها . .

●●● دور الدولة :

ـ وهنا أحب أن أذكّر الدولة بدورها الأصيل فى حماية وتقديم الفن الجاد البنّاء ودعم رسالته . . لقد أدى التقدم فى التكنولوجيا الصوتية إلى تسهيل عملية الغناء والتلحين لأنصاف الموهوبين . . كما ساعد على الانتشار الرهيب لشرائط الكاسيت . . ومطلوب من الدولة أن تواجه ذلك كله بحماية الفن الراقى ودعمه . . وإفراد مساحات إرسالها له . . والإنفاق عليه . . وتلميعه . . ليتوازن مع ما ينشره الكاسيت . . هذه رسالة أجهزة الإعلام والثقافة فى بلدنا ويجب ألا تغفل عنها .

●●● لولاكى :

● هل سمعت أغنية « لولاكى » ؟

ـ نعم سمعتها منذ أيام قليلة . .

● وما رأيك فيها وتقييمك لها ؟

ـ ينطبق عليها ما ذكرته لك الآن عن هذه الموجة . . إننى حاولت أن أبحث عن مؤدى الأغنية فلم أتبين صوته ، لأنه ضائع بين الإيقاعات الصاخبة . . وللأسف أنك يمكنك أن تبدل مطرباً أو مؤدياً آخر مكانه

فى هذه الأغنية ولا تحس بفرق . . وهذا أمر خطير . . معناه . . أنه لاتوجد شخصية غنائية . . أو وجهة نظر . . رؤية . . يقدمها نوع أداء معين يختلف عن أداء آخر . . لقد أعادت المطربة نجاة غناء « يا مسافر وحدك» و « محلاها عيشة الفلاح » و « مكانش ع البال » وهى من أغنياتى القديمة . . أعادت غناءها بصوتها بتسجيل حديث وفرقة موسيقية مختلفة . . وهذا هو ما أقصده . . لقد كانت نجاة مختلفة عن عبد الوهاب . . طريقة أدائها كانت عبارة عن وجهة نظر . . يعنى تقول المفروض أن أغنى هذه الأغنية بالطريقة الفولانية . . هذه وجهة نظر تؤكد الشخصية الغنائية . . . ولكن فى موجة الأغانى الحديثة . . لو شلت المطرب ووضعت بدلاً منه مطرباً آخر أو حتى أى مواطن من الشارع لا تجد فرقاً . . !! وبذلك انعدم السباق الفنى والمنافسة الإبداعية وأصبح السباق على عدد الأغانى وقدر الثروة والسيارات والبـدل !

●●● من غيـر ليـه ! :

● هل تقول إن أغنيتك الأخيرة (من غير ليه) قد أوقفت مد الهبوط وكسرت من شوكة موجة الأغانى التى تسمى شبابية ؟

ـ أرجو هذا !

● الموسيقار عبد الوهاب . . لاحظنا أن أغنية من غير ليه تبلغ مدتها حوالى اثنين وثلاثين دقيقة . . وهى بهذا تعتبر طويلة إلى حد ما . . فهل يعتبر هذا الطول وجهة نظر منك . . أو رداً على موجة الأغانى الحديثة القصيرة ؟

ـ والله إذا كان مقياس الأغنية الشبابية أن تكون سريعة وقصيرة . . فهل مثلاً (غنى لى شوى شوى) أو (توبة) أو (انسى الدنيا) أغان طويلة ؟! إنها أغان قصيرة وسريعة . . فلا يصح أن نربط الأغنية بهذا المقياس ، وإنما نقول إنها أغنية تعبر عن عصر . . حتى كل أغانى الأفلام تعتبر قصيرة . . وأنا فى تصورى أن ما يحدث أن هذا العصر الذى نعيشه عصر مرير . . متعب مرهق . . فى كل شىء . . من كثرة تعقيداته . . فى المواصلات . . السكن . . الكهرباء . . الروتين الوظيفى عصر متسارع الإيقاع أصبحت فيه الدنيا سريعة والحياة مرهقة من ناحية الرزق وصعوبته . . كل هذا أدى إلى صياغة عصر جديد كله سرعة و إرهاق . . وعصبية وعنف وخشونة . .

●●● فن العصر :

ـ هذا العصر جاء بفنه . . كما جاء بكل شىء . . وفنه هو الفن الذى يتناسب مع صفاته . . وهى العنف والسرعة والعصبية والقلق . . وهذه هى سمات موسيقى العصر . . وهذا مبرر ومعقول . . ولا شك أننى أحترم الكثيرين ممن قدموا هذا اللون من الفن . . وهم الذين على دراية طيبة بالموسيقى من هؤلاء الشباب . . وهم متعلمون ومثقفون . .

● مثل من يا افندم . . ؟

ـ والله لا أذكر أسماء . . لأن ذاكرتى بكل أسف ـ وبكل سرور ـ ذاكرة رديئة . .

● **أعتقد أن السرور أكثر من الأسف لديك ؟**

ـ نعم . . لأنى لا أحب أن أتذكر الماضى لكى لا أعيش فيه . . وأحب أن أعيش دائماً فى الحاضر والمستقبل . .

إذن هؤلاء الشباب منهم ناس كويسين . . وقد استغلوا بذكاء هذه التكنولوجيا الصوتية الجديدة . . وأغانيهم جيدة ونقية . . ولو يسر لهم الوقت لإنجاز أعمالهم ، والمادة لكى لا يلهثوا وراء رزقهم ، لأبدعوا أعمالاً أحسن ، لأن لهاثهم وراء لقمة العيش يجعلهم ينجزون أعمالاً عديدة متلاحقة من أجل الكسب والرزق ، مما يحرمهم من فرصة الإتقان والتجويد والبروفات التى كانت تكتمل فيها العائلة الموسيقية مع بعضها البعض .

●●● قفوا فى وجه الطوفان :

ـ ولكن من الملاحظ أيضاً انه فى فترات الانتقال بين العصور يحدث نوع من الغوغائية . . وتنمو الطفيليات إلى جانب العناصر الجيدة . . وذلك مثلما يأتى الطوفان فيحمل الحابل والنابل . . « أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » ؟ نعم . . لذلك أقول إننا لا يجب أن نخشى من هذه الظاهرة . . فهى ظاهرة طبيعية . . ولكن ينبغى أن نقاومها . . فلا يجب أن نقف مكتوفى الأيدى أمام أى طوفان . . وذلك بالعمل والإنتاج والمعاونة ودراسة ما يمكن أن يوقف الطوفان أو يمنع أخطاره . .

●●● حـذاء المطـربـة :

ـ فمثلاً اختفت المسارح التى كانت تقدم عليها الأغنيات الراقية . . وأصبح المنبران الوحيدان المتاحان الآن هما الراديو والتليفزيون . . ومعنى ذلك أنهما القادران على إصلاح هذا الوضع إلى حد كبير . . وخاصة الراديو لأنه وسيلة الاستماع المحببة . . لدرجة أن الإنسان إذا أحب أن يسمع أفضل فإنه يغمض عينيه . . لكى يركز . . والتليفزيون بحكم الألوان والملابس أيضاً . . لأن مظهر المغنية أصبح الآن جزءاً لا يتجزأ من فنها. . فأصبحت حتى «الجزمة» لها قيمة للمغنية الآن ! . . ويتكلمون الآن عن شعرها وفستانها وما إلى ذلك . . لأن هناك صورة مرئية . . وأحياناً استعراضات تسرق البصر . . ولا يجب تجاهل ذلك على الإطلاق أو الاكتفاء بالفرجة على ما يحدث . . بل لا بد من مواجهته بعمل ما . .

● ولكن لو أذن لى الموسيقار عبد الوهاب . . نحن ضد التعميمات . . فلا شك أنه ليس كل ما نسمعه الآن هابطاً أو رديئاً . . بل هناك أغنيات راقية . . وهناك أغنية مصرية جديدة احتلت مساحة لا تخطئها الأذن المدققة فى الوجدان العربى . . ألست معى فى هذا ؟

ـ لا شك . . وأنا قلت إن فيهم فنانين دارسون وموهوبون . . بشرط أن يتفرغوا للإبداع . . وألا يكونوا مقيدين بشريط كاسيت لا بد أن يستوعب خمس أو ست أغنيات تضطرهم أحياناً إلى سلق البيض . .

●●● الاجتهــاد :

ـ ففى مجال الفن يوجد أيضاً اجتهاد . . وليس الاجتهاد فى استنباط الأحكام من الشريعة فقط . . ففى الفن اجتهاد . . ومثلما ذكرت لك أن هناك ألحاناً يغنيها أكثر من مغن . . فى هذه الحالة . . اللحن ينادى على الأصوات. . ويقول تعالوا غنوا . . كل مطرب يقول رأيه إيه بصوته وأدائه فى هذه الأغنية ! ولكن حينما تكون الأغنية شديدة القصر سريعة الإيقاع لن يكون هناك مجال لهذا الاجتهاد . . ! فالأصوات هنا لن تصبح لها نفس القيمة . . والأداء مش حيفرق كتير . . لأن العبرة هنا بالإيقاع الحلو والتوليفة . . واختراع الكلمة التى تعلق مع الناس مثل الهـزار. .

●●● سيد درويـش :

● لو أذن لى الموسيقار عبد الوهاب . . أن بعض مبدعى الأغنية الحديثة يقولون إن تميزها ليس فقط فى القصر وسرعة الإيقاع وإنما فى التزامهم « بفورم » أو شكل أو قالب للأغنية . . كما أنهم يعتبرون ما أخذته عليهم من انعدام الشخصية الأدائية فخراً ونجاحاً لأنهم يعتبرون أنهم يقدمون أغنية يستطيع أن يغنيها أى شخص وليس بالضرورة أن يكون مطرباً محترفاً . . بل أى مستمع . . وهذه ـ فى نظرهم ـ ديموقراطية فنية . . سبقهم إليها السيد درويش بأغانى الطوائف وشعبياته الشهيرة . . فما مناقشتك لهذه المقولة ؟

ـ أنا أختلف معك ومعهم . . فإذا كان كل شخص يستطيع أن يغنى

الأغنية . . فما هو دور المطرب المحترف ؟ وأين المواهب والعبقريات إذا تساوى جميع الناس ؟ ولماذا يظهر طه حسين أو أحمد شوقى أو أم كلثوم إذا كان أى شخص يمكن أن يحل محلهم ؟ ثم إن أغانى أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم القصيرة التى سقت أمثلة منها منذ قليل يستطيع أن يغنيها الناس بسهولة . . مثلاً أغنية (توبة) لعبد الحليم يمكن لأى شخص أن يغنيها . . هذه ليست مشكلة . . . . أما ارتداؤهم لقميص سيد درويش فهذه حجة باطلة . . ودعنى أكشف لك هذا السر التاريخى . . إن أغانى سيد درويش التى تحسب له ليست أغانى السقايين والعربجية والتحفجية والحشاشين . . فقد اضطر لهذه الأغنيات اضطراراً ، لأن عصره ـ بعد الحرب العالمية الأولى ـ كان عصراً استعراضياً بحتاً . . فكانت المسارح الاستعراضية تقدم الاستعراضات والفتيات الراقصات الجميلات . . أساساً ـ مثل كشكش بيه وعلى الكسار وما إلى ذلك . . فتقدم هذه المسارح بين فصول هذه الروايات ـ لكى لا يمل المتفرجون ـ هذه النوعية من أغانى الطوائف وما إليها . . وليس هذا هو السيد درويش . . السيد درويش هو أدواره . . ورواياته . . والفكرة التى بذرها وزرعها فى أنه يجب أن يكون هناك نبرة جديدة فى اللحن ـ وليس فى الصوت ـ فلا ينبغى أن يتمسكوا بالسيد درويش فى أقل أعماله . . لا . . إن له سبعة أو ثمانية أدوار تعتبر شيئاً نادراً بالفعل . . مثلاً أنا هويت وانتهيت . . وضيعت مستقبل حياتى . . وأنا عشقت . . وياللى قوامك يعجبنى . . إلخ . . هذه الأعمال كنا ندرسها . . وهى التى بقيت له حتى الآن وستبقى . .

●●● وظيفة الأغنية فى هذا العصر :

● هل تغيرت وظيفة الأغنية فى هذا العصر ؟ وإلى أين ستقودنا هذه الموجة من الغناء الحديث ؟

ـ والله سأعيد عليك مقولة للأستاذ عباس العقاد . . يقول إنه أحياناً تأتى فترات من الزمن على البلاد ، تنتشر فيها ظواهر معينة يمارسها الجميع بلا استثناء . . وهذه الظواهر ـ لو اختفت ـ لما تذكرها أحد ولا تصور أحد انها كانت تملكنا إلى هذا الحد . . ! إنه يشير إلى الفارق الشاسع بين الرواسخ وبين الزائلات فى الحياة . . هناك أشياء باقية وأشياء زائلة . . إذا بقى شىء فأهلاً به . . أما إذا زال فلا تسأل عنه . . لذلك أنا أُوكِلُ أمر هذه الظاهرة إلى الزمن وذوق الجماهير وتصفية الزمان . . بحيث لا يبقى إلا الجيد والراقى ويذهب الزبد . .

●●● الملحن العبقرى ! :

ـ أين عصر التجويد والإتقان ؟ كانت أم كلثوم تقدم فى كل عام لكل ملحن أغنية جديدة . . معنى ذلك أن هذا الملحن لا يشغل نفسه طوال العام إلا بهذا اللحن الواحد . . فيقتله تجويداً وإتقاناً وإحساناً . . أما الآن فإن كل ما حول ملحن العصر يقول له اعمل . . أسرع . . اشتغل . . بيته . . أولاده . . عصبيته . . لقمة العيش . . مطالب الحيـاة . . المنتـج . . المطرب . . إلخ فيضطر إلى قبول أربعة أو خمسة وأحيانـاً عشرة أعمال فى وقت واحد . . أغنية وطنية وبجانبها أغنية عاطفية . . وبجانبها

أغنيـة مدرسية . . ثم أغنية دينية . . إلى آخره . . فهـل هـذا معقـول؟!

●●● التكنولوجيا الصـوتيـة :

● كنت يا أستاذ عبد الوهاب من غلاة المتحاملين على استخدام نظام (التراكات) فى تسجيل الأغانى . . وفوجئنا بك تلجأ إليه فى أغانيك الأخيرة مثل (من غير ليه) فكيف هذا ؟

ـ أنا لم أرفض التكنولوجيا الصوتية الحديثة . . ولكننى رفضت إساءة استخدامها . . وقد استخدمتها فى بعض ألحانى الأخيرة . . ولكننى ضد إساءة استخدامها بشراسة . . فأنا لا أفهم أن تكون مقطوعة فيها سبعة أو ثمانية عازفين أو أنواع عزف . . مثلاً آلات وترية كالكمنجات والشيلّوهات والباص . . وآلات إيقاع مثل الرق والبونجز إلى جانب جيتار وأورج وما إلى ذلك . . لا أفهم كيف ـ بدون داع ـ يقول كل عازف لوحده ويمضى ثم يأتى الذى بعده ليسجل وهو لا يعرف ماذا سجل قبله وما سيسجل بعده ؟! إن هذا الأمر يقتل الإبداع الفردى ويفكك العائلة الموسيقية . لذلك حينما استخدمت أنا نظام التراكات استخدمته فى المواضع التى لا تحرمنى من حريتى كفنان يقول ما يريد أن يقوله . . لذلك لم أكن أسأل عن المكتوب فى النوتة الموسيقية بقدر اهتمامى بما كنت أريد أن أقوله وإن وجد اختلاف يسير لا يصل إلى حد النشاز ! . . لذلك تجد حرية فى أداء بعض المقاطع وموالاً حراً لا يمكن أن يخضع للتراكات والقنوات الصوتية المحكمة !

يحيى حقى



عاشق الفن

تاريخ التسجيل ١٩٨٣/٢/١٧

★ **حقيقـة :**

لا يوجد شعب يستغنى عن الأغنيات التافهة أبداً !

★ **اقتـــراح :**

تغيير الثوب بدلاً من ترقيعــه !

★ **رأى :**

مفتاح غلق الراديو .. هو أعظم إنجاز وأروع اختراع !

★ **قـل ولا تقـل :**

وحدة الثقافة لا وحدة التاريخ .

ضيفنا فى هذه الحلقة نهر يتدفق حكمة وعطاءً ، مقل فى عدد الصفحات مكثر فيما يخرج به من لآلىء من أعماق هذه الصفحات . . معنا فى هذه الساعة بتجربته الطويلة العريضة التى رصد خلالها هذا العصر من بداياته الأولى حتى الآن . .

●●● عاشق الفن :

● الكاتب الكبير الأستاذ يحيى حقى ماذا لو كتب تقديماً لنفسه أو قال لنا الآن ما هو التقديم الأمثل الذى يراه فى مثل هذا البرنامج ؟

ـ أسمح لنفسى أن أمدح نفسى الآن وأقول : « رجل يعشق الفن ، ويحاول أن ينقل شعوره بهذا الفن إلى غيره بصدق وأمانة » .

●●● بين الأصالة والمعاصرة :

● من هذا المنطلق ، عشق الفن ، وطبعاً الإذاعة أو هذا البرنامج الذى نتصور أنه متفرع عن أحد الفنون وهو أحد الألوان الفنية ، اليوم نطلب شهادتك على هذا العصر الذى نعيشه ؟

ـ إن القضية التى تشغل جميع الناس حالياً ، المفكرين والمثقفين هى قضية الأصالة والحداثة ، وهذه القضية لا تمتد فقط إلى الفكر والأدب والفنون بل تدخل فى مجال الاقتصاد ، فنحن الآن أمام فكرتين :

الاقتصاد القائم على فكرة الشريعة الإسلامية والتى تنهى عن الفائدة وتحض على الزكاة . . والاقتصاد القائم على الأساليب التى استقدمناها من الغرب سواء من الحد الاشتراكى أو الحد الرأسمالى الحر ، فهذه هى قضية اليوم ، الصدام بين الأصالة والمعاصرة أو التناقض بين الشرق والغرب أو بين الحضارة الحديثة وتراثنا وهذه القضية قد بدأت تنمو حين التقى الشرق والغرب ونحن قد التقينا فى الماضى مرتين :

مرة فى عهد العباسيين وأثبتنا أنفسنا وتقدمنا علمياً على أوروبا . . ثم التقينا أيام الصليبيين أيضاً عندما أرسل صلاح الدين طبيبه إلى «ريتشارد قلب الأسد» وأثبتنا أيضاً أفضليتنا عليهم . . ثم جاءت النهضة فى أوروبا وقضت على تقدم الشرق ، وهذه نقطة مهمة تستحق من جميع المؤرخين أن يبحثوها جيداً : « أين وقف تقدم الشرق ولماذا ؟ » .

حدث بعد ذلك لقاء خطير جداً بالنسبة لمصر وبالنسبة للعالم العربى كله وهى الحملة الفرنسية ، وجدنا صداماً بين العلماء الأجانب الذين أحضرهم نابليون معه وبين المصريين ، كان هؤلاء العلماء مهتمين بالكيمياء والآثار ورسمها ودراستها، وكذلك بالعلوم الطبيعية وغير ذلك، وحدثت ثغرة . ثم جاء بعد ذلك، عصر محمد على ، واستعان

محمد على بالفرنسيين الذين تركتهم الحملة فى مصر ، استعان بهم فى الجيش ، فتجد جنرال سيف الذى ساعده فى بناء الجيش وغيره ، واستعان بهم فى الطب وفى إنشاء المدارس الحديثة . . ونرى أن محمد على فجأة وبضغط الفرنسيين قال للأزهر « قف عند هذا الحد وأنا سأفتح مدارس حديثة » . . وأنا أعتبر أن هذا اليوم ـ يوم تم الانفصال ما بين محمد على والأزهر ـ يوما من أسوأ وأسود الأيام فى تاريخ مصر الحديث ، لأنه شق الأمة المصرية شقين ، ففى هذه الفترة تقرر مصيرى أنا الآن ، تقرر أن أحدثك وأنا أرتدى بدلة . . وكان من الممكن أن أحدثك الآن وأنا أرتدى عمامة وقفطان ، فالأزهر فى ذلك الوقت كان يمثل جامعة من أعرق جامعات العالم ، يجوز أن يكون بواب الأزهر أعمى ، أى أن أى يد تطرق بابه يفتح الباب فوراً ولا ينظر إلى لونه ولا جنسه ولا عمره ويقول له سؤالاً واحداً وهو :

« هل تحفظ شيئاً من القرآن ؟ » . . فإذا قال نعم سمح له بالدخول .

● **هل هذا هو جواز المرور ؟**

ـ نعم ، أنت ستسكن ، سنعطيك خبزاً وأنت الذى ستختار معلمك ومواد الامتحان كذلك ، فقد كان الأزهر يتمتع باستقلال تام بفضل المسلمين الذين تركوا فى أوقافهم خيرات . وكان الأزهر حرماً غير مسموح للبوليس بدخوله ، كان الشعب يحتضن الأزهر وكان يستمد طلبته من أعماق الصعيد من جميع نواحى القاهرة ، وكانت هناك مشاعر

قوية تجاه علماء الأزهر . . وحماس وحرص على استمرارية الأزهر . . وكانت هناك وحدة عاطفية بين الأمة وبين مؤسسات التعليم . وعندما حدث الانشقاق ، انشقت مصر شقين ؛ حى أفرنجى وحى عربى وهو ما حدث فى كل بلد دخلها الأجانب ، حتى « حى مصر الجديدة » تجد حى السرايات للأجانب وحيًّا للعرب فى مكان آخر بجانب جامع . . وشتان الفارق بين هذا وذلك ، وكذلك الحال فى بورسعيد . . لقد حدث انشقاق غريب جداً حتى قامت ثورة سنة ١٩١٩ وحدث فيها التحام قوى بين جميع طبقات الشعب .

● **إذن الفجوة التى حدثت رئبت سنة ١٩١٩ ؟**

ـ نعم ، أو على الأقل فى بداية المطالبة بالاستقلال فى ظل الحماية الإنجليزية أو الاحتلال الإنجليزى ، وأنا لا أنسى جهاد مصطفى كامل فى فتح المدارس ، والمطالبة بفتح الجامعة المصرية الأهلية ، ففى ثورة سنة ١٩١٩ بدأ نوع من الانبعاث مرة أخرى، فالثورة قامت فى الأزهر وكان كثير من رجال الأزهر قد دخلوا فى السياسة ، سعد زغلول نفسه كان أزهرياً . . فكان هناك نوع من الالتحام بين هاتين الفئتين، وكنا نأمل فى أن نحقق نوعاً من الارتقاء لكن لم يحدث . . والسؤال ما الحل ؟

ـ الحل الذى اهتدينا إليه بعد أخذ ورد ، هو استيراد المنهج وطريقة التفكير على أن تكون طريقة التنفيذ والخطط اللازمة لتنفيذ هذا المنهج نابعة من أصلنا ، وخاصة ونحن نملك تراثاً كبيراً جداً يمكن الرجوع إليه

ودراسته و إحيائه . . فالمسألة تتطلب جهداً مزدوجاً من أبنائنا كلهم .

● لى تعقيب بسيط على فكرة استيراد المنهج وهو هل نحن فعلاً محتاجون إلى استيراد منهج ؟

ـ هى الفكرة إيه ؟ . . ما هو المنهج ؟ عندما يكون أمامك مشكلة علمية أو أى بحث، ما هى وسائل البحث العلمى مثلاً . . وسائلها . . ظروفها . . منشؤها، وتعمل دراسات ميدانية، وتجمع كل المراجع عليها، وتضع الخطة . . لا علاقة لك بهذه المسألة فى حد ذاتها وعلاقاتها بالمسائل الأخرى . . هذه هى طريقة حل هذه المشكلة : طريقة المنهج !

●●● لا للتباكى :

● بعدما ألقينا نظرة على هذا العصر والتصدعات التى حدثت فى المئتى سنة الأخيرة حتى وصلنا إلى العصر الحالى أو اللحظة الحاضرة . . أسأل كاتبنا الكبير الأستاذ يحيى حقى عن مقومات هذا العصر الذى نعيشه الآن . . وعن موقع الإيمان والفن والحب من حياتنا المعاصرة ؟

ـ أنا لا أريد أن أبالغ بأن أخضع كل هذا للظروف الاقتصادية وأقول إن زحام السكان أضعف العِشرة ما بين الناس ، وزحام المواصلات قطع الصلات بين الناس، لأنى أعتقد أن الإنسان شعاع من الله وأن الفضائل كامنة فيه . . وأنه سيبقى دائماً قادراً على أن يحب ويتمنى أن يحب وهذه حقيقة لا جدال فيها فى أى زمان وأى مكان ، ثم أنا لا أحب الظاهرة الجديدة المتمثلة فى حلقات اللطم على الخدود ! فكلما أجلس فى

مجلس أجد التباكى واللطم على الخدود حزناً على الحالة التى وصلنا إليها، وهذا يشعرنى بإعياء شديد ، وأشعر أننى حتى ولو كنت قادراً على عمل أى شىء سيذهب سدى ، ولذلك أتمنى من كل شخص يحضر مثل هذه المجالس أن يصمت أولاً ، وأن يصمم فى داخله على ألا ينهزم أمام هذا السيل من الشكوى والنواح ومثل هذه الأشياء ، « واللى يقدّره ربنا على عمل خير يعمله » . .

● وخاصة أننا نملك مقومات الأمل وليس مجرد حلم طوبوى عند المصريين ؟

ـ يكفى أننا الآن نحصى عدد الذين تعلموا عندنا فى السنوات الأخيرة بالآلاف وكلهم موجودون فى البلاد العربية ، وهم هناك يؤدون أعمالاً أفضل كثيراً مما يفعلونه هنا .

●●● إعجاب وتقدير :

● الكاتب الكبير الأستاذ يحيى حقى هل ترى أى تغير فى الشخصية المصرية والتى بدأت حضرتك هذه الحلقة بالحديث عنها ؟

ـ أنا معجب جداً بالشخصية المصرية خصوصاً بالصعيد الذى عشت فيه عامين ، لأنى وجدت أن الإنسان المصرى فى الصعيد مثال فذ ، فالصعيدى يعيش وعنده إحساس كونى بالكون وسأضرب لك مثلاً :

أنا كنت فى عيادة طبيب فى مستشفى ، وجاء صعيدى ليكشف

عليه، دخل من باب المستشفى ولف فى ممر على اليمين واليسار والطبيب لففه حول نفسه ثم قال له أرقد فى حجرة مظلمة ، ثم سأله : « أى جنب يؤلمك ؟ » فقال له : « جنبى البحرى » . . فتصور هذا الفلاح الذى يجلس فى هذه الحجرة كيف أن إحساسه بالجهات الأربع يبلغ هذا الحد ! يعنى أنا متأكد أنك لو قذفت به من البراشوت سيقول لك : «جبل علىّ! » فهذا الإحساس يعنى أن المصرى لديه قوة غريبة جداً ، خصوصاً فى الصعيد الذى هو صلب الشعب المصرى ، والهرم الأكبر عندنا أضلعه الأربع فى مقابل الجهات الأربعة ، فهذا الفلاح الذى رأيته هو هذا الهرم وهو بانى هذا الهرم بهذه النسب الهندسية الدقيقة .

● أى أن إحساسه بجغرافية الكون موجودة ؟

- نعم وكلمة بحرى نسبة إلى البحر ، كذلك فإن لدينا النهر العظيم والذى تستطيع أن تركب فيه من منبعه إلى مصبه المركب . . لأن التيار يدفعك وفى العودة تدفعك الرياح ، ففى مصر خصائص غريبة جداً يحسن أن يصل إليها الفنانون والكتاب ، خصوصاً كتاب القصة لأن الصعيد - حتى الآن - لم يدرس دراسة كافية فى القصص ؛ لأن الظروف الاقتصادية الحاضرة قللت من أهمية الصعيد عندنا ، لكن يكفى فى مدحى للصعيد أن أقول لك إن الصعيد هو الذى قدم لنا الفنون ، الأغانى الفولكلورية مثل « يا وابور الساعة ١٢ » ، « محمد ولدى » و «يا بهية خبرينى عن اللى جتل ياسين » . . وأنت لا تجد مثل هذه الأغنيات فى الدلتا . . أيضاً أثناء عملى فى الصعيد كانت هناك فتاة

اسمها «ناعسة» فى قرية اسمها « مزاتة » ووجدت الصعيد كله يتغنى بها وكان هذا بمثابة نموذج أسطورى لفتاة مثل « تاييس » فى العصر الهلينى، فى مصر كانت هناك « ناعسة » ، مثل هذه الأمثلة لا تجدها فى الدلتا . . .

●●● الأغنيـة المصرية :

● وما رأيك فى الأغنية المصرية المعاصرة كعمل متكامل ؟

- أتكلم عن ماذا ؟ أتكلم عن التلحين . . أعتقد ان أهم وأنفع اختراع ربنا خلقه هو مفتاح غلق الراديو ، هذا أبرك اختراع للعلم . . .

● هذه إهانة رهيبة جداً ! !

- الحقيقة ، أنا أنزعج انزعاجاً شديداً جداً ، بأمرض . . والله من الشعور بالرتابة والملل الشديد من التلحين أو « سلق البيض » الذى يحدث هذه الأيام . . الأعمال الفنية لا تخرج هكذا ، كلهم يفعلون نفس الشىء ومنير مراد - رحمة الله عليه - قال :

« نحن جميعاً نعمل عملاً واحداً مثلنا مثل الذى يكوى قميصاً ، أحـدهم يكويه من اليمين إلى الشمـال والآخـر يكويه من الشمال إلى اليمين » ، إذن ليس هناك مجهود يبذل فتجد شخصاً يقول :

« أخذت النص من الإذاعة وعندما عدت إلى المنزل اتصلت بهم تليفونياً وأمليت لهم اللحن » .

كيف يحدث ذلك ، لا أعلم ، هل المسألة لهو ؟

● أستاذ يحيى حقى أنا أعتقد أن شباب هذا الجيل ليس مختلفاً كثيراً فى ذوقه عن الأستاذ يحيى حقى بدليل انصرافهم إلى الألوان الأخرى ؟

- حقيقة كان المفروض أن نبنى على أساس سليم ، عندنا التواشيح والبشارف ، التواشيح كغناء والبشارف كموسيقى صامتة وكان يجب أن تكون التواشيح والبشارف هما الخطوتان اللتان نمشى بعدهما ونحاول أن نطور . وطبعاً أنا لا أحب الذى يقول لك « ما هذه الأغانى البذيئة والتافهة ؟ » . . فى كل شعوب العالم هناك أغانى الشوارع والكباريهات وهى ما يطلق عليها فى الدول الأوروبية Silly Songs أى الأغانى التافهة ، ولا يوجد شعب يستغنى عن الأغانى التافهة أبداً ، فلا يصح أن ننزعج من الأغانى التافهة ، وأنا أرى أننا تحدثنا كثيراً فى هذا الموضوع وأنا أرى أن نترك هذا الموضوع وألا نشغل بالنا بهذا الموضوع وهذه القضية، وأرى أن نترك هذه الظاهرة إلى أن تختفى ، على أية حال أنا أعتقد أن هناك - إلى جانب هذه الأغنيات - دراسات ومحاولات جادة لوضع أغانٍ جيدة.

●●● عودة إلى قضية العصر :

● والآن نعود إلى قضية العصر . . .

- نعم ، ما هو الوصف الحقيقى للمحاولات التى نبذلها فى اللقاء بين حضارتى الشرق والغرب ؟ يعنى مثلاً فى شبابنا كانت هناك حملات

ضدنا ، كان الإسلام فيه رق . . وتجد شفيق باشا وقد كتب بحثاً للرد على ذلك مؤكداً انه لم يكن فى الإسلام رق . . وتجد حملة أخرى ضد تعدد زوجات وتجد أيضاً من يرد على هذه الحملة شارحاً حكمة الإسلام فى تعدد الزوجات . . أو على من يزعمون أن الإسلام فيه تواكل فتجد محمد عبده وقد وجه « رسالة التوحيد » للرد على هذا الزعم .

كان الهجوم فرعياً وكانت الردود فرعية ، وكان المفروض ألا نرد فى فرعيات بل كان يجب أن نقنن من أوروبا تصوراً شاملاً لمعنى حياة أمة إسلامية تريد أن تطبق شريعتها وكيف يكون ذلك ؟ إن ما تفعله الآن أشبه ما يكون بترقيع الثوب والمفروض أن نخلع الثوب كله لتلبس ثوباً ثانياً نتخذه من أصالتنا ومن حضارتنا .

●●● خير الأمور الوسط :

● إذن أنت تطالب بتصور شمولى ورد شمولى ؟

ـ تصور شمولى مع الاعتراف بأنه **قد يكون من المستحيل التطبيق فوراً** لأن الآن الحياة متشابكة . . رؤوس الأموال متشابكة ، التبادل التجارى متشابك ، الاتصالات متشابكة ونحن لا نستطيع أن نفصل مرة واحدة بين هذا وذاك ، ولكن لا بد من التدرج وأن نكسب كل يوم أرضاً جديدة، على أن يكون فى ذهننا فى نهاية الأمر صورة الأمة أو الدولة التى تطبق تراثها ، وتكون قادرة على مسايرة العصر الحديث ، وهذا يقتضى أيضاً من النواحى السياسية أن يحدث اتحاد بين الدول العربية ثم بين

الدول الإسلامية ، حتى يسهل علينا عندما نضع مجالاً خاصاً بنا أن نجد مجالاً لتطبيقه بدون التعرض لأى أذى ، أى أن يكون هناك أرض للمناورة متسعة الرقعة .

● ونصبح بذلك مثلنا مثل الأمة الإسلامية فى عنفوانها ؟

- نعم ، ولحسن الحظ نحن أمامنا تجربتين يجب أن ندرسهما بعمق ؛ تجربة مصطفى كمال فى تركيا عندما قرر أن تتحول تركيا فوراً من دولة دينية إلى دولة علمانية . . والتجربة الثانية تجربة إيران . . مصطفى كمال ذهب إلى منتهى التطرف فى اتجاه ، وإيران فعلت نفس الشىء فى الاتجاه المضاد . وأعود وأقول إن من حسن الحظ أن مصر أمة وسط وأنها على مدى التاريخ كرهت العنف وكرهت التطرف ، وأمسكت بكل النظريات ووصلت بها إلى حد الوسط ، فمصر ذات موقع جغرافى وسط وطبيعة وسط ومزاج وسط أيضاً ، ونحن عندنا استعداد كبير أن نشق طريقنا بدون أن نتطرف إلى اليمين أو اليسار .

●●● لغة القرآن لغة بسيطة :

● أستاذ يحيى حقى أنت عندما كتبت قصة « قنديل أم هاشم » كانت شهادة على عصرك ، فما شهادتك على هذه القضايا ، قضية التغريب وقضية الحيرة بين الشرق والغرب ، قضية التحديث والأصالة ، وهذه القضايا كلها مطروحة فى هذا العصر ؟

- نحن محتاجون إلى ما يسمى بوضوح الرؤية أى أن نرى رؤية

صحيحة وبدون أى مبالغة ، يعنى مثلاً هل هناك أى شك فى أن الدين الإسلامى والقرآن يحث الإنسان على استخدام عقله ، هذا الكتاب يأمرك سح فى الأرض امش وانظر واستعبر وافتح عينك .

● **« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » !**

ـ وأعود لأتحدث عن ظاهرة غريبة جداً من حيث اللغة ، تجربتى مع القرآن بدأت فى المرحلة الابتدائية عندما كنت أنشد قصار السور مع طلبة الفصل بنغم رقيق جداً كان يهز شعورنا ووجداننا ، وعندما كبرنا بعض الشىء قل هذا الإحساس وبدأنا نتلقى هجوماً على القرآن من الأجانب ومن بعض المصريين ، وكان هذا الهجوم موجهاً لصعوبة لغة القرآن ، ثم فى أواخر عمرى انتبهت لظاهرة غريبة جداً ، فأنت إذا استثنيت بعض كلمات تعد على أصابع اليد الواحدة ، تشعر أن القرآن مكتوب الآن ، فلغة القرآن لغة بسيطة جداً إذا قورنت بالشعر الجاهلى ، فالشعر الجاهلى أصعب مائة مرة ، لكن القرآن شىء مذهل ، فكيف تستطيع لغة أن تعطيك هذا الإحساس بأنها كتبت منذ أربعة عشر قرناً وكأنها كتبت الآن؟!

● **الحقيقة هذا رأى جديد تماماً ويحتاج بعض التفصيل والتوضيح من كاتبنا الكبير الأستاذ يحيى حقى حول القرآن وقراءته فى هذا العصر ؟**

ـ أريد أن أروى لك علاقتى بالقرآن الكريم ، طبعاً وأنا صغير كانت قراءة القرآن لا تنقطع فى بيتنا ، لكن لقائى العاطفى الشديد جداً بالقرآن

بدأ وأنا تلميذ فى السنة الأولى من المرحلة الابتدائية عندما كان الفصل كله ـ وكان الفصل اثنين وخمسين تلميذاً ـ بصوت واحد يقرأ آيات جزء عم القصيرة ، وهذه الآيات كان لها شاعرية غريبة جداً فى قلوبنا خصوصاً وأن هذه الآيات كانت تتحدث عن آيات تمس قلوبنا مثل العناية باليتيم ، فهذه النغمات جعلت القرآن يسرى إلى قلوبنا وآذاننا وأعصابنا كنغمة أكثر منها معنى ـ يجب أن نعترف بذلك ـ بعد ذلك حين كبرنا وتحولنا من ا لسماع إلى القراءة ، وجدنا شيئاً من الصعوبة فى الفهم ، ثم اختفت العلاقة لاختفاء تعليم القرآن فى المدارس بعد السنة الثانية أو الثالثة من المرحلة الابتدائية ، بعد ذلك أصبحنا ـ عندما كبرنا وتعلمنا فى أوروبا ـ ضحية لأقوال متعددة تقول إن اللغة العربية لغة مهجورة ولغة قديمة ولغة معقدة ولغة صعبة وأن القرآن يحوى كلمات لا يفهمها أحد ويختلف المفسرون فى تفسيرها .

● وما يقال عن اللغة العربية من أنها لغة شفوية ومثل هذا الكلام للمستشرقين ؟

ـ المستشرقون ؟ ! يا سيدى فى هذا السن الذى بلغته أقرأ القرآن وكأننى أكتشفه لأول مرة ! والله إنك فيما عدا كلمات قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة يخيل إليك أن القرآن مكتوب بلغة معاصرة وأكاد أن أقول إنه مكتوب بلغة الصحف ، أى أنه كلام سهل جداً يستطيع أى طفل عمره تسع سنوات أو عشر سنوات أن يقرأه بمفرده . فالإنسان يتحول من هذا الشعور إلى شعورٍ آخر ، ما هذه اللغة التى استطاعت عبر أربعة عشر

قرناً أن تظل محتفظة بشخصيتها وقدرتها على الإبانة والتعبير بأيسر الطرق وأسهلها ، فماذا يقول لنا المستشرقون ؟!

هذا كنز وعبء فى آن واحد ، لأنه ليس من المعقول أن تتحجر اللغة . .

أنتم تزعمون أن اللغة لم تتطور منذ أربعة عشر قرناً إلى الآن ، ولكن نحن الحقيقة نشعر أن هذا هو الكنز وليس العبء ، لأن ما هى قيمة اللغة؟ . . اللغة هى استمرار واتصال وانتقال من جيل إلى جيل ، فهل هناك لغة أخرى جعلت كل جيل يسلم المشعل إلى الجيل الذى يليه ، غير القرآن ؟ لا يوجد ، وهذا هو سر القوة . . !

● واللغات الأخرى عمرها بضع مئات السنين فقط ؟

ـ نعم ، وأنا دائماً ما أقارن حال شبابنا بحال شباب مثقف انجليزي يعود إلى بيته ويتجه إلى مكتبته ، يمد يده ليأخذ كتاباً يقرأه فلا يجد كتاباً عمره أكثر من ثلاثمائة سنة أو أربعمائة سنة . . لكن أنا أجد ديوان امرؤ القيس والذى قد يجد من يقرأه على مدى أربعة عشر قرناً وأكثر ، ولذلك فإن العبء على المثقف العربى أكبر منه على نظيره الإنجليزى ، فالإنجليزى يتعلم اللغة الجارية فقط ، لكن الشاب العربى كى يشعر بانتمائه لا بد وأن يوثق صلته بكل التراث ، ستقول لى هذا صعب ، نعم وهل فى الدنيا شىء سهل ، هل هناك لغة بلا قواعد صعبة ؟!

على أية حال الأمة العربية والإسلامية مرت بمواقف انحدار وانهيار

كثيرة وأصبحنا نرى اللغة زخارف وكلمات ومترادفات ، وهذا راجع إلى المجتمع نفسه ،ففى ضعف المجتمع ضعف اللغة ، فاللغة هى نتاج المجتمع .

●●● سماحة لغتنا الجميلة :

● ولكن الآن يا أستاذ يحيى ، اللغة ، ككائن حى يعيش بيننا ونعيش به فى هذا العصر ، إلى أين وصلت ؟

ـ أنا شخصياً مررت بتجربة غريبة جداً ـ وللعلم : جميع أفكارى ، آرائى فى الفن أو القصة لا أستقيها من الكتب وإنما أستقيها من معاناة شخصية ـ وهى أن كان عندنا مجلة الـ Readers' digest وهى مجلة أمريكية مكتوبة بأسلوب أمريكى ، وتقرر إصدار نسخة عربية من هذه المجلة وأسموها « المختار » وأوكلوا رئاسة تحريرها إلى فؤاد صروف وسكرتارية التحرير إلى محمود شاكر ، وعملت أنا فيها بالترجمة ، وتعاهدنا على أن نلتزم منتهى الأمانة فى نقل النص الأمريكى الحديث للقرن العشرين إلى اللغة التى يقال عنها إنها تجمدت وتحجرت وأصبحت لا تتماشى مع هذا العصر ، وأؤكد لك أن أى شاب يدرس اللغة العربية، لو رجع إلى هذه الأعداد التى صدرت من مجلة « المختار » لدهش إذ كيف أمكن لأسرة التحرير ـ وبفضل الأستاذ محمود شاكر الذى كان يراجع كل مقالة ـ أن ننقل الأفكار والتعابير وكل ما هو فى عالم الماديات والمعنويات من مجتمع أمريكى فى القرن العشرين إلى لغتنا العربية . . إذن فالمسألة مسألة وجود ، مسألة عمل . .

وأنا أستمع كذلك إلى محطة القرآن الكريم ويعجبنى جداً برنامج «علم التجويد » ، إننى والله أنتشى عندما أجد وصف كل حرف من حروف اللغة وطريقة نطقه وتنوينه وتنغيمه ، يعنى لم يحدث فى أى لغة أن درس كتاب من جميع جهاته كالقرآن .

كذلك أنا متتبع لأسئلة القراء فى المسائل الدينية ولكنى أجد جميع الردود تتحول من السلوك إلى النصوص والطقوس والتفسيرات ، نحن نريد الأحكام ونمط السلوك .

● باعتبار أن العمل عبادة والدين سلوك إلى جانب أنه منهج حياة ؟

ـ كنت أحلم دائماً وأسأل نفسى عن النمط الإسلامى ، يقال النمط الانجليزى ، النمط الساكسونى ، أو النمط الألمانى والنمط الإيطالى ، فأنت ترى رجلاً فى الشارع فتقول هذا انجليزى أو إيطالى أو ما إلى هذا ، لكن ما هو النمط الإسلامى ؟

أنا أحاول كثيراً أو من حسن الحدس أننى أستطيع أحياناً أن أتبين شخصاً أو اثنين وأقول هذا هو النمط الإسلامى الذى أنشده . .

● مـا هـو ؟

ـ يعنى عندما ترى فى وجهه الصراحة والاستقامة والجدية ، وتشعر أنك تستطيع الاعتماد عليه وأنه رجل شريف نبيل . .

●●● الأصالة والمعاصرة وحياتنا :

● وأنت وقد رصدت ظاهرة عامة وهى الغرب والشرق ، الأصالة

والمعاصرة ، فهل ترجمت هذه الظاهرة إلى ظواهر فى الشارع والبيت المصرى وفى المجتمع المعاصر ؟

ـ الآن ماذا ترى العين فى الشارع أول ما ترى ؟ سترى مثلاً عمارة وهذا يعطيك مثالاً لـ كيف اغتالت العمارة الغربية عمارتنا الأصيلة ، وإن كان ـ مع الأسف ـ بعض الأجانب هم الذين نصحونا بالاستمساك ببعض الأمثلة من عمارتنا الصميمة ، مثلاً حى مصر الجديدة ، عندما تلاحظ العمارات الأولى التى بنيت تجد أنها بنيت على التراث الأندلسى . . البواكى . . لأننا بلد حار ونحن محتاجون لنظام البواكى مثل شارع محمد على وإن كان الخديوى إسماعيل كان يقصد من شارع محمد على تقليد شارع ريفولى فى باريس ، أما الذى بنى مصر الجديدة فكان يقصد طابعاً محلياً لتتميز به الدول الإسلامية . وأنا أدعو معماريينا أن يدرسوا العمارة العربية ولو أن طغيان الحضارة الحديثة لا يسمح بالوقوف أمام هذا الغول وهذه المشكلة ، ومع ذلك هناك بعض الدول الإسلامية مثل تونس ومراكش استطاعوا الاحتفاظ ببعض الطوابع المعمارية العربية . أما نحن فقد بذلت بعض المحاولات فى عهد كتشنر ولم تستمر ، ومرة أخرى أدعو لدراسة الطراز العربى ، مثلاً عند بناء المساكن الشعبية ، لماذا لا ننظر إلى نظام « الرَّبع » والرَّبع عبارة عن مبنى طولى فيه ممر مكشوف تفتح عليه كل الغرف ، إذن ليس من المهم أدوار عالية ، يعنى يجب أن ننظر إلى هذه الأشياء أو على الأقل ندرسها .

● هذا طبعاً نراه فى كل المجالات ، فإذا كنت حضرتك قد تكلمت عن العمارة الآن وشكل الشارع ، أيضاً هل نجد مثل هذه الظاهرة فى مجال الأدب والفكر والفن ؟

ـ نعم ، فنحن عندما نعود لبداية الحركة الفنية بعد سنة ١٩١٩ ، يجب أن نعترف أنه كان هناك شىء اسمه اقتباس ، حدث فى المسرح ، فتجد أغلب مسرحيات يوسف وهبى ونجيب الريحانى مقتبسة ... حتى المصورين الأوائل كانوا ينقلون نقل مسطرة من الفن الكلاسيكى فى أوروبا ، كذلك بعض كتّاب القصة القصيرة ، كما قيل إن عبد الوهاب اقتبس أيضاً بعض الحانة . . ثم بعد ذلك طلبنا الأصالة وأن يكون لنا أدب خاص بنا ، وتراجعت فكرة الاقتباس وأصبح عندنا أدب مصرى خاص محلى يعبر عنا أحسن تعبير ، وذلك بفضل كتاب عظام أمثال ؛ نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم .

●●● وحدة تاريخ أم وحدة ثقافة :

● فى الحقيقة كثير من الشباب رفض الانتماء المصرى إلى الثقافات والحضارات ووقعوا فى هذه الحيرة كثيراً ، وأنت قد حدثتنا عن إنسان الصعيد وهذا الإحساس الكونى الذى يملكه ، فهل هذا يؤكد وحدة التاريخ المصرى منذ الفرعونية وحتى الآن ؟

ـ نعم ، لكن يجب أن نزيل لبساً خطيراً ، وحدة التاريخ شىء والثقافة شىء آخر ، ويدعونا هذا إلى تساؤل هو : ماذا ترك لنا

الفراعنة؟ تركوا لنا الآثار من أحجار وقبور وبعض الرسوم وتماثيل لها قيمة فنية كبيرة جداً بلا جدال ، لكن منذ دخول الإسلام واللغة العربية فى مصر ماذا حدث ؟ حدث أننا نتكلم اللغة العربية ونفكر باللغة العربية ، إذن فإن اتصالنا الثقافى مرتبط باللغة العربية ، ولا أستطيع أن أقول إننى منفصل عن الثقافة العربية .

● هذا هو الانتماء ؟

ـ أنا منتم لمصر وتاريخها فى كل شىء ، إنتماء فى التفكير ، فى تدبر أمورى ، فى قدرتى على التعبير ، فى تذوق الجمال ، الكلام ، فى صياغة الكلام ، لا بد أن أكون وثيق الصلة بتراث اللغة العربية ، إذن لا بد من عمل موازنة بين تراثنا الحضارى وتراثنا اللغوى والجمع بين الاثنين ، لماذا نفصل ؟ وما هو التعارض من أن أقول إن جميع عادات الجنازات عندنا فرعونية وبين انتمائى إلى تراثى العربى ، وكيف أنفى أننى أقف مذهولاً أمام تماثيل ورسومات الفراعنة ، والتجريد فى التصوير ، وهذه المهابة وهذا الجلال فى التماثيل ، كل هذه الأشياء هى أيضاً من تراثى ، ولا بد أن أنتمى إليها وأن أحاول التعبير عنها لكن من حيث الثقافة فأنا أتحدث العربية وأفكر بالعربى لا بالهيروغليفى .

● إذن عندما يمر الأستاذ يحيى حقى أمام تمثال نهضة مصر يجد فيه الاستمرارية للإنسان المصرى والحضارة المصرية التى صنعت الحضارة المصرية الفرعونية القديمة ؟

ـ نعم بلا جدال ، أنا حتى أذهب إلى حد القول بأن العبقرية الفنية فى مصر هى النحت لا التصوير . . بدليل أن ما فعله الفراعنة أهم بكثير من الرسم فى نظرى بالرغم من أننا عندنا لوحات لا يتصورها عقل . . لكن النحت وجلال النحت هو الفن الأول عند قدماء المصريين وعندنا، لماذا ؟ . . مختار جاء ولم يجد فرشة أو ورقة أو ألوان إنما وجد طين يستطيع أن يشكله بيده على الترعة .

● وهل هذا يعطى أيضاً مؤشراً على تواصل واستمرارية الحضارة فى مصر ، وأنا أذكر هنا أن أحد المؤرخين كان يقول : إنه عندما يلتقى بالفلاحين المصريين على شاطىء الترعة مثلاً كان يخيل إليه أنهم رسوم خرجت من على حوائط المعابد الفرعونية ؟!

ـ طبعاً ، خصوصاً فى الأجواء التى لم تختلط بالدماء الأجنبية كثيراً مثل الصعيد الجوانى ، وهذا الصعيد هو ما أعتبره أنا العمود الفقرى لمصر والرقبة الممتدة ، والرأس المرفوعة والصلابة الشديدة جداً فى الأخلاق وفى العمل وفى كل شىء .

● أستاذ يحيى حقى لغة الصحافة والمقصود بها الإيجاز والإقلال فى عدد الكلمات والأسلوب التلغرافى ولغة الإذاعة والمقصود بها اللغة التى تمسك بالأسماع ، تعبيران أو تعبيرات دخلت حياتنا فى العصر الحديث ودخولها يدل على ظاهرة ثقافية موجودة ، فعلى ماذا تدل وما هو تقييم حضرتك إلى ما وصلت إليه وما ترتب عليها من آثار ؟

ـ يكفى أن تقرأ فى الأهرام كادر كتب عليه « فى الأهرام منذ مائة سنة» وتقرأ كيف كانت تكتب اللغة العربية فى ذلك الوقت وتقارنها الآن بلغة الصحافة ، وأقول لمن يقولون لم تحدث نهضة فى مصر ، إن «الأهـرام» و«الأخبار » و « الجمهورية » كل هذه الجرائد تعطيك أخبار العالم كله سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية وذلك بلغة سهلة مفهومة وفصيحة خالية من أى ركاكة أو تعقيد ، فذلك فى حد ذاته نهضة كبرى . . كذلك نجد أن جميع فروع العلم الحديث وقد ترجمت مصطلحاتها إلى اللغة العربية ، والغريب أن الفنون والآداب والنقد هى التى لم تترجم بعد كل مصطلحاتها ، لكن يجب أن يشعر أصحاب الصحف بمدى المسئولية التى تقع على عاتقهم ، وأنا أطالب بإدخال الشكْل على بعض الكلمات فى صحفنا خصوصاً الفعل المبنى للمجهول يعنى أنا لا أطالب بتشكيل كل حرف ولا كل كلمة فأنا أعتقد أن الصحف عليها واجب قومى ، واجب وطنى .

● بالنسبة للمجلات الثقافية القائمة حالياً ، فأنا لا أعرف رأى الأديب الكبير يحيى حقى فيها . . ومقارنتها بمجلات الأربعينيات أو الخمسينيات؟

ـ المشكلة ما هى طبيعة المجلة ؟ فهى إما أن تكون مجلة صادرة للتبشير والدعاية لمذهب أدبى جديد ، فتجمع حولها آثار هذا المذهب وتدعو إليه وتفسره وتشرحه، ويصبح لها شخصية واضحة معروفة . . وإما أن تكون مجلة ثقافية عامة ، مائدة تعد لك مائة طبق وطبق ، فنحن

لا يوجد عندنا مجلة تدعو إلى مذهب جديد ، فلا يوجد مذهب جديد فكل المجلات مضطرة أن تكون مائدة عامة متنوعة الأصناف والأطباق ولذلك من الصعب أن تحدد ذوق القارىء .

● **هنا لنا وقفة مع الأستاذ يحيى حقى ، فأنت تقول لا يوجد مذهب جديد مع أن هذا العصر يموج بعشرات المذاهب الجديدة التى أحياناً تكون متناقضة ؟**

ـ أدبية أم سياسية ؟

● **كلــه !**

ـ قل لى أين المذهب الأدبى غير الشعر الحر أو الكلاسيكى ، هل عندك ناقد الآن أوجد لنا فى كتابة الرواية أو القصة مذهباً جديداً ؟ . . ألسنا نستورد جميع تعبيرات النقد الحديث من أوروبا ، عندما نقول «الشيئية» و « العينية » ومثل هذه الأشياء أليست منقولة ؟ ثم للأسف الشديد أن الذى أرهق مجلاتنا الثقافية هو الانقسام العقائدى « » بين اليمين واليسار . . وهذه نكبة كبرى أنا صادفتها عندما كنت رئيساً لمجلة « المجلة » وتسمح لى أن أروى لك حادثة توضح لك الصعوبة التى واجهتها ؛ خرج كثير من الشباب من السجن وجاءوا إلى ورأيت أنهم فى حاجة إلى المساعدة ، فقلت لهم أنا لا أنظر إلى ألوانكم ، إنما اكتبوا لى موضوعياً مقالات ذات قيمة وسأنشرها ، وأنا لا شأن لى بلونكم السياسى ، وكلفت أحدهم وكان متخصصاً فى علم النفس بكتابة مقال

فى علم النفس ، فقدم لى مقالاً لبابلوف رئيس النهضة فى علم النفس .

● اختار عالما روسيا أيضاً ؟

- نعم وهذا التعنت من الأيدلوجيات هو الذى أفسد المجلات الأدبية .

● المدهش يا أستاذ يحيى أن الناس فاهمين أنهم لا بد أن يكونوا إما يمين أو يسار . . فهذه ظاهرة فى حد ذاتها ؟

- ولذلك هنا يأتى الكلام عن قيمة الفن فى المجتمع يعنى يجب أن نقفز فوق هذه الفوارق لنصل إلى مرتبة عليا اسمها الفن ، نريد من الجميع أن يتذوقوا الجمال ويتذوقوا الفن ، ثم ينقسمون بعد ذلك ، فجميع المبالغات تتولد من شخص لم ينضج ولا يمكن أن ينضج إنسان إلا على نار الفن .

● إذن فالتمسك بالتقسيمات والاقتراحات أحياناً ما يغرقنا فى تفريعات كثيرة ؟

- طبعاً وأعود للحديث عن القرآن وإن كنا أحياناً نتناوله تناولاً فيه نوع من العبث ، عبث طفولى ، وأنا أرى أننا لا بد من مقاومة هذا العبث حتى ولو كان الذى يقوم به أحد كبار الرؤوس ، وأنا أذكر أننى عندما كنت مديراً لمكتب خشبة باشا ، جاءتنا هدية عبارة عن القرآن الكريم مكتوباً فى صفحة واحدة ، وقال لى خشبة باشا رد على هذه الهدية فكتبت رسالة شكر وعرضتها عليه فقال : « إنك رجل أحمق لأن هذا

الرجل الذى أنفق وقته فى هذا العبث يجب أن نزجره لا أن نشكره ، فكيف لى أن أزجره ؟ » .

فقلت فى ردى : « لو أنك بذلت جهداً فى جمع القرآن وتفسيره والإشادة به ما بذلته فى هذا الخط الدقيق لكان هذا أولى لك » .

● نخلص من كلام الكاتب الكبير يحيى حقى أن رؤيتك للعصر ترصد ظاهرة هامة جداً وهى الانقسام إلى نظرة إلى الشرق وأخرى للغرب والأصالة والمعاصرة ؟

ـ فعلاً ونرجو أن نجتاز هذه المرحلة سريعاً ، وكما قلت لك المسألة ليست مسألة ترقيع ثوب ، يجب أن نعيد النظر إلى الثوب ، فإذا كان لا يناسبنا فلنبدله بثوب آخر لائق مستمد من تراثنا وليكن هذا عندما تكون الظروف مناسبة .

● وأنت تطالب باستيراد المنهجية وليس المنهج أو الوعاء مثلاً إنما يملأ تراثاً وديناً ؟

ـ أركز على ضرورة الاعتناء باللغة وإحيائها لأنها وعاء الفكر .

●●● شهادة على العصر :

● بعد هذا الحوار الممتد ما هى شهادتك على هذا العصر فى سطر أو سطرين ؟

ـ والله هذا عصر يصيب الإنسان بالدوار ، فلو قلت لك عدد

الحروب التى عاصرتها وعدد المخترعات الحديثة التى عاصرتها بعينى ، فالإنسان يلهث وكأنه يضرب بسوط ليتأمل ، وهو يحتاج لوقفة تأمل قوية جداً ، والبحث عن الأساسيات التى مهما تغيرت الأحوال تظل ثابتة كالأخلاق، والفضائل والشهامة ، والشجاعة والوقوف إلى جانب الحق ، والدفاع عن المبدأ ، والنبل والجرأة ، وفعل الخير ، هذه هى الركائز التى يجب أن تتشبث بها كما يتشبث الغريق بقشة فى بحر هذا الزحام ونترك الجرى واللهثان الذى من شأنه أن يصيبنا بالدوار إن لم نصب بالجنون ! !

أنيس منصور



شاهد على عصر الحيرة

تاريخ التسجيل ١٩٨٧

★ رأى :

مــا الكاتب إلا عــرّاف حديث !!

★ حقيقــة :

تاريخ الإنسـان .. هو تاريخ حريته !

★خارج المنافسة :

الأصدقاء كثيرون ولكن أبرزهم البحترى والبهاء زهير !

★حكمــة :

من الصعب أن تكون شاباً وأن تكون معتدلاً ..

إنمــا الشــباب تطـرف !

★ خـلاصـة :

العنف .. ظاهرة شــبابية !

★ خـلاصـة :

تغيير قواعد اللعبة دون إخطار سابق !

هــو المســئول عن تنــاقض الكتّـــاب !

شاهد على العصر قمة مصرية من قمم الفكر والإبداع . اشتهر ككاتب بأنه ضارب الأرقام القياسية فى التوزيع والجوائز ، وكصحفى استطاع الاقتراب من معظم زعماء العالم ، وكمفكر استطاع أن يلفت انتباهنا إلى فلسفة العصر ، لنا معه حوار نستطلع فيه شهادة نتوقع أن يكون لها مذاق كتاباته المتميزة .

●●● دور وهوية الكاتب فى هذا العصر :

ـ الكاتب هو مرآة لعصره بمعنى أنه أكثر الناس إحساساً بما يجرى أو لا يجرى فى مجتمعه ، والكاتب يقوم بدور العرّاف الحديث . . ففى العصور القديمة كان هناك عراف أو عرافة يلجأ إليهما الناس ليعرفوا مستقبلهم ، أما فى العصر الحديث فالكاتب هو القائم بدور العرّاف ـ مع عدم إيمان الناس بهذا النوع من التعريف ـ يعايش مجتمعه ، يصوره ، يعكسه ، وفى نفس الوقت يتقدم بما يستطيع من حلول . . رغم أن الكاتب ليس بالضرورة هو الطبيب الذى يشخص والذى يعالج لكن يكفى أن يشخص الداء ، وعلى الدولة أو الأجهزة الأخرى أن تتولى العلاج .

● أستاذ أنيس أعتقد أن هناك عنصراً أنت لم تذكره من فرط بديهيته وافتراض أنه لا بد وأن يكون موجوداً عند هذه النوعية من الكتاب الذين تعنيهم وهو عنصر « الصدق » فالكاتب يكون شاهداً على عصره عندما يكون صادقاً .

ـ هو المفروض أن يكون صادقاً ، ولذا كنت سأعود إلى كلمة « المرآة » . . فهناك أنواع من المرايا ، مرايا مكبرة ، مرايا مقعرة . ومرايا محدبة ، لكن المفروض أن يكون الكاتب مرآة لعصره ؛ أن يصدق مع نفسه وبالتالى يصدق مع الآخرين ، ومن هنا كانت فكرة « الإلزام والالتزام » فالكاتب الملتزم هو الذى يرضى ما ارتضاه المجتمع من صيغة سياسية أو دينية أو فكرية أو اقتصادية ، هو اقتنع بها ولذلك يجب أن يوضحها وأن يقنع الناس بها ، هذا هو الالتزام الأدبى ، وكل كاتب أو أديب أو مفكر ملتزم بقضايا عصره ، أما الإلزام فيكون حيث لا توجد حرية ، بمعنى أن الكاتب المُلْزَم هو من يكتب ليؤيد . . إذن هو ليس كاتباً إنما هو رجل التزم بقضايا حزب سياسى ، ورأى أن يعبر عن هذا الحزب أو هذه النظرية دون أن يكون مقتنعاً بذلك ، إنما أُمِـرَ أن يكتب فكتب ، وأُمِـرَ أن يصور فصور . . وهنا تنتفى عنه صفة الحرية التى لا بد من وجودها ليكون الإنسان مسئولاً عما يكتب لأنه :

« حيث لا توجد حرية لا توجد مسئولية » .

● هل هذا ما يطلقون عليه « الرؤية المقيدة » ؟

ـ لا أعرف هذا التعبير ، لكن أنا أرى فقط ، والذى أشعر به أراه ،

لكن يجوز كل رؤية مقيدة بالمجال ، لأنك لا تستطيع أن ترى كل شيء، لكن أنا أرى بوضوح ما هو أمامى ولا أستطيع أن أستوعب فى نظرتى كل قضايا العصر .

●●● قضية الإلزام والالتزام :

● هى كقضية من قضايا العصر يا أستاذ أنيس منصور أيضاً فرضت نفسها فى فترة من فترات التاريخ الفكرى والسياسى والأدبى الحديث فى مصر ، أعتقد يمكن فى الستينيات ، قضية « الإلزام والالتزام » وارتباط الكتابة بالاتجاهات السياسية القائمة ، فمثلاً كثير من القضايا الفكرية والأدبية والفلسفية التى مدت ظلالها على هذا القرن ولم تذكر فيها الكلمة الأخيرة حتى الآن ، فما تحليل هذه الظاهرة من وجهة نظرك ؟

- الالتزام والإلزام أعتقد أنها قضايا وجدت مع الحرية أو انعدام الحرية ، فأنا حر فى أن أنتقى من القضايا ما أشاء ، وفى أن أختار الأسلوب الذى أعبر به عن هذه القضية لأن تاريخ الإنسان هو تاريخ حريته ، كل ما نفعله على مدى التاريخ ليس إلا محاولة مستمرة للحصول على المزيد من الحرية ، أو لتوسيع رقعة أو عمق الحرية الفردية والحرية الاجتماعية ، يمكن نحن أخذنا فكرة الإلزام والالتزام بصورة أوقع وأوضح مما كتبته الفلسفة الوجودية . . لأن فكرة الالتزام بالفرنسية هى Engagement و بالإنجليزية Commitment . . أن الكاتب يلتزم بقضية من قضايا عصره وفى هذه الحالة يكون حراً ويكون مؤرخاً أيضاً

لأنه بحريته يؤرخ لعصره ، يمكن أن نكون أسرفنا على أنفسنا حتى فى الكتابة عن الالتزام فى خمسينيات هذا القرن ، بظهور الفلسفة الوجودية الفرنسية بخاصة ، كما كتبها ودعا إليها الفيلسوف الفرنسى «جان بول سارتر » و « ألبير كاميه » و « جبريل مارسيل » وغيرهم .

ولا انفصال بين حرية الكاتب والتزامه بقضايا مجتمعه ، يعنى مثلاً «سارتر » ألف كتاباً من ألف صفحة كى يهاجم كاتباً عظيماً ، فى حين أنه كان يستطيع أن يهاجمه فى صفحة واحدة ، لكنه قرر أن يهاجمه فى ثلاثة أجزاء، وهو الكاتب الفرنسى العظيم « جوستاف فلوبير » . وكان رأى «سارتر» فيه أنه نموذج لما لا يجب أن يكون عليه الكاتب ، لأنه عاش عصره ولم يلتزم بقضاياه ، رجل تشرنق أو تقوقع ، وشعر أن فرديته تعادل فردية المجتمع ، وأنه سيد هذا الكون ؛ يستدعيه ويأمره ويفعل فيه ما يشاء ، ويرتب الكون كما يشاء بغض النظر عن مدى استعداد أو تهيُّؤ المجتمع لذلك ، ولذا رأى « سارتر » فى « فلوبير » كاتباً عظيماً ولكنه غير ملتزم .

●●● الفن من وإلى المجتمع :

● وكأنى أسمع نفياً من الأستاذ أنيس منصور لنظرية الفن للفن بهذا الكلام الذى قاله سارتر ، وأجدك تؤكده ، فأنت تتجاهل تماماً فكرة الفن للفن التى كانت أيضاً إحدى القضايا الرئيسية التى مدت ظلالها على هذا القرن ؟

ـ لا يوجد شىء اسمه الفن للفن ، الفن أن أكتب للناس ، أغنى للناس ، أؤلف موسيقى للناس ، فى جميع الأحوال يجب أن أتصور أن هناك طرفاً آخر أقوى ، بغيره لا أعيش ، بغير المجتمع لا حياة للفن ، بغير الناس لا حياة للأدب ، فالمجتمع طرف آخذ منه وأعيد إليه ما أخذت بصورة مختلفة ، الفن هو تكثيف وتنظيم للواقع ، عندما أكتب قصة أنا آخذ من مادة المجتمع وأوظفها فأستخدم حرفنة الكتابة فى صنع البداية والنهاية ثم أعيدها على المجتمع أكثر كثافة وعمقاً ونظاماً ، فيقرأها الناس ولا يستغربون لها . . لماذا ؟ . . لأنها حدثت لهم . .

ما أساس الأدب والمسرح والسينما ؟ كلها ما هى إلا أكذوبة متفق عليها بين المؤلف والقارىء أو بين الممثل والمشاهد ، فما أساس هذه الأكذوبة ؟ إنها لم تحدث ، المشاهد يعرف ذلك والممثل يعى ذلك ، لكن الممثل يمثلها ويعبر عنها ويوهمك أنها حدثت . وهنا تكمن مقدرة الكاتب أو الممثل أنه ينقل الكذب بمنتهى الصدق . . إذن القصة أو المسرحية أو الرواية هى أكذوبة متفق عليها بين المؤلف والمشاهد ؛ شىء لم يحدث مطلقاً لكنك ستشعر أنها حدثت ، لكن ماذا تعنى بالفن للفن؟ يعنى « اللى يطلع فى دماغى أعمله » ؟! يمكن يكون حدث هذا فى المدارس السريالية أو المدارس فوق وتحت الواقعية ، حدث أن أرسم الذى يخطر على بالى سواء فهمته أم لم أفهمه وهى القضية القديمة التى قامت أيام أبى تمام ، يقال له : « لماذا تقول ما لا يفهم ؟ » فيجيب

«ولماذا لا تفهم ما يقال ؟ » لكن الأصح أن يقول ما يفهم لأنك تتحدث مع الناس بشروطهم .

●●● مدارس فكرية وأدبية أجنبية فى مصر :

● الكاتب الكبير الأستاذ أنيس منصور ، لقد ذكرت الآن المدارس السريالية وهذا يذكرنى بقضية اتصال مصر بالعصر واقترابها وابتعادها عنه على مدى تاريخها الحديث ، فهل وجدت هذه المدارس الفكرية والأدبية ـ والتى لها مظاهر فى العالم فى مصر ؟

ـ من المؤكد لأننا اليوم ونحن فى القاهرة نرى رائد الفضاء الأمريكى وهو ينزل على سطح القمر ، كذلك نشاهد مباريات كرة القدم فى البرازيل . . انتهت المسافات بين الشعوب ، وبذلك انتهت أيضاً العزلة العاطفية أو الوجدانية أو التجارب السياسية . . فنحن نعايش بعضنا البعض ونتأثر ببعضنا البعض . ومن الممكن أن نجد فى الأدب المصرى أو فى الفن المصرى أثر السريالية أو التكعيبية أو الحوشية أو التجريدية أو الرمزية أو الانطباعية والتأثيرية ، كل هذا ظهر فى مصر لأن وحدة الشعور أو وحدة الوجدان عند كل الشعوب واحدة . . الإنسان هو الإنسان فى كل الظروف ، الفارق الوحيد هو الغلاف الخارجى فقط أما فيما عدا ذلك فكلنا سواء ، ويبقى المذهب السياسى أو الأدبى أو الفنى على قيد الحياة فى أى مجتمع ما دام المجتمع محتاجاً إليه . . فإذا استغنى عنه تجاوزه . ولذلك كل المدارس الأدبية مدارس مرحلية يعيشها المجتمع

ويعيش بها حتى يكبر عنها ينزعها ويبحث عن زى فكرى آخر مثل ملابس الأطفال . . وأنت صغير تكون ملابسك صغيرة ثم تكبر ولذلك يقال : « شب عن الطوق » . . وقد جربنا فى الثلاثينيات والأربعينيات السريالية فى الرسم وفى الشعر وفى الأدب ثم جربنا الواقعية وظهرت أكثر على المسرح وفى السينما ثم مع بداية الخمسينيات ظهرت الفلسفة الوجودية على أقلام الأدباء والنقاد وإن لم يكن ظهر لها نظير فى المسرح أو فى السينما . . وبعد الفلسفة الوجودية التى تجاوزناها فى الخمسينيات والستينيات . ظهر مسرح اللامقعول فى مصر وهو مسرح جربته أوروبا وأساسه الشعور بلا معقولية الحياة وعدم جدوى الألفاظ، انتشر هذا الاتجاه فى مصر وظهرت مسرحيات العبث لأونسكو وبيكيت وآدموف وظهرت مسرحيات لتوفيق الحكيم أيضاً منها « يا طالع الشجرة » و«طعام لكل فم » وغيره وكلها مسرحيات عبثية ، لم يستسغها عميد الأدب العربى طه حسين ، واعتبرها إفلاساً فكرياً !

●●● الأصالة والمعاصرة :

● أستاذ أنيس منصور هل يأخذنا هذا الموضوع إلى قلب قضية الأصالة والمعاصرة ؟يبدو أن حوارنا اليوم سوف يدخل إلى هذه القضايا التى مدت ظلالها كما قلت من قبل على هذا القرن بأكمله ، أيضاً قضية الأصالة والمعاصرة والعقل والنقل ، فما شهادتك عليها الآن وما وصلت إليه قرب نهاية القرن ؟

ـ أولاً أنا لا أعرف ما هو المقصود بالأصالة والمعاصرة ، إنما هما كلمتان متلازمتان أصبحت لهما شعبية على أقلام الكتاب ، وأنا لا أفهم وجه المفارقة أو التقابل بين « الأصلى » و « المعاصر » . . فى اللغات الأوروبية هناك كلمة Originality بمعنى « أصالة » و authertic بمعنى « حقيقى » ، ما هو المعاصر وما هو الأصيل ؟ هل المعاصر ليس بأصيل ؟ لا ، من الممكن أن يكون معاصراً وأصيلاً . . ثم ماذا تعنى كلمة أصيل ؟ هل تعنى القديم؟ هل الأصلى هو الأصولى ؟ . . لا ، ليس الأصلى هو الأصولى وأنا لا أعرف إذا كان المقصود بالأصلى أو الـ Original الشىء الذى كان موجوداً من البداية ثم جاء عليه حين من الدهر ولم تعد له سوى قيمته التاريخية، مثل الأحجار ، النقوش الصخرية أو الرواسب ، الكائنات البحرية الحية ، إن كان هذا هو القديم . فيجب أن يظل على قدمه ونتركه لنبحث عن شىء جديد يعايشنا ويتمشى مع احتياجاتنا . . تجد مثلاً حجر رشيد وهو شىء قديم استطاع شامبليون أن يجعله معاصراً له فى القرن التاسع عشر وهو قديم عمره ألوف السنوات ولكن استطاع شخص موهوب أن يعيد قراءته ويجعله معاصراً بما كشف فيه من ألغاز اللغات القديمة ، والهرم نحن نراه كما هو حتى جاء شامبليون وفسر لنا ما نرى ، كل هذا له معنى واحد وهو أن تجعل قديمك له دلالة حديثة إن صح هذا التعبير . . أى أن نجعل الأصيل معاصراً أو نقوم بعملية تحديث Modernization أو ما يسمى Upgreeding أو Updating فى اللغة الإنجليزية أى تجعل قديمك معايشاً لك .

● **هل حاول الكاتب الكبير أنيس منصور إعادة قراءة القديم برؤية جديدة ؟**

ـ والله يا سيدى العزيز أنا أجد فى تجاربى اليومية فى القديم جديداً . . يعنى أنا مثلاً لا أمل قراءة شعر البحترى أو البهاء زهير ـ وهو من أظرف وألطف الشعراء على الإطلاق ـ ولا أشعر بأى فارق لا زمنى ولا لغوى ولا عرقى ولا أى شىء بينى وبين هذين الشاعرين ، أنا أقرأه وأستمتع به ولا أسأل نفسى إن كان معايشاً أو ليس معايشاً لأنه استطاع بعبقريته وفنيته أن يتجاوز الأجيال ويصل إلى القرن العشرين كأنه معايشٌ أو معاصرٌ له .

● **أستاذ أنيس منصور هل توافق على حاجتنا إلى قراءة جديدة لتاريخنا ولما مضى ، وأن نعيد تحليل الأشياء برؤى جديدة ؟**

ـ كما يحدث فى مجال العلوم أو على الأصح كما يحدث فى مجال الجيولوجيا ، فقراءة الصخور أو الأحجار مستخدمين أدوات حديثة يجعلنا نرى شيئاً جديداً مثلاً ؛ كيف لنا أن نعرف أعمار الصخور أو الأشجار أو المعادن ؟ وكيف عاشت ومتىْ نقشت ؟ نحن نحول جزءاً من هذا المعبد إلى كربون ١١ ، ١٥ ومن هذا الكربون نحصى عدد الذرات التى تآكلت وبذا نصل إلى عمره . . إذن نحن نستخدم وسائل حديثة لاقتفاء رموز الواقع ، على سبيل المثال نجد فى التوراة سفراً قديماً اسمه « سفر حزقيال » فى هذا السفر يروى هذا النبى أنه كان يمشى

بالقرب من مدينة بغداد أو من الموقع الذى يعرف الآن باسم بغداد ، وفجأة نزلت من السماء سفينة لها بكرات وأضواء وضوضاء ولهيب من الخلف ومن الأمام، ونزل من السفينة شخصان مع جلجلة وصخب ، وهو وصف ينطبق على أى سفينة فضاء الآن . . وقرىء هذا السفر عبر مئات السنين وفُسّـر تفسيراً واحداً وهو أن ما وصفه حزقيال ليس إلا نبوءة علمية لما سوف يحدث فى مستقبل الأيام . لكن عندما دخلنا عصر الفضاء واصطنع الإنسان سفن الفضاء وصنع له زى الفضاء ورأينا رواد الفضاء ، لم يكن من الصعب على العلم الحديث مقارنة ما حدث الآن وما حدث أيام حزقيال وانتهائه إلى هذه النتيجة ، وهى أن ما وصفه حزقيال ليس نبوءة لكنه واقع وقع وحدث . إذن ما حدث فى هذا الكتاب القديم أو ما روى وما فسر على أنه حلم أو نبوءة عندما دخلنا فى العصر الحديث وأعدنا النظر فى التاريخ القديم سواء فى هذا السفر أو غيره بالأساليب الحديثة وما وصل إليه العلم ، إذا بنا نكتشف أن شيئاً جديداً وقع أو شيئاً جديداً اهتدينا إليه ، فماذا حدث ؟ . . ما حدث هو ـ إذا كان لى أن استعير التعبيرين غير الواضحين أمـامى وهمـا الأصـالة والمعـاصرة ـ أننا بالعلم الحديث وأدوات البحث الحديث استطعنا أن نمد فى عمر القديم ونجعله معاصراً لنا .

● **لو أذن لى الكاتب الكبير الأستاذ أنيس منصور بمساحة من الاختلاف مع ما ذكرته الآن ، لأنى أرى فيه بعض التناقض مع ما تنادى به فى الأيام الأخيرة فى سلسلة من المقالات فى الأهرام حول النظرة العلمية**

المطلوبة للنهضة الحديثة والتى من أهم شروطها اعتماد العلم والتكنولوجيا الحديثة ، وعدم النزوع إلى الرواسب الأسطورية فى حياة الإنسان ، لا أعرف هل أنا محق فى هذا أم مخطىء ؟

ـ ليس فى كل ما ذكرت شيئاً واحداً يمكن أن يوصف بأنه أسطورى ، الأشياء الأسطورية تجدها فى الكتب القديمة عندما ترجع مثلاً إلى كتاب «ألف ليلة وليلة» تجد كلاماً عن الكائنات الغريبة وعن الرخ والبيضة والحيوانات التى يتحول بعضها إلى بعض . . أو فى ملحمة «جلجامش» عن البطل الأسطورى الذى ارتفع بعيداً عن الأرض ونظر إليها من فوق ثم عاد إلى الأرض مرة أخرى . . أما قصة الطوفان فهى موجودة فى كل الكتب القديمة بأشكال مختلفة ؛ فما من بقعة على الأرض إلا ووقع فيها طوفان وظهرت فيها سفينة نجى بعض من عليها ، فنوح عليه السلام ليس إلا آدم الجديد أو آدم مرة أخرى ، هذا موجود فى الكتب ، والذى حدث أن العلم الحديث حقق لنا ما كان يعد من باب الخرافات . . اقرأ مثلاً ما جاء على لسان عيسى بن هشام للمويلحى وقد رأى أشياء ساذجة جداً وكان مبهوراً بها ، فلو عاش عيسى بن هشام ورأى ما وصلنا إليه لخـرّ صريعاً ميتاً لأن ما تصوره على أنه خرافة أصبح الآن حقيقة .

من يتصور أن أحدهم ينزل على سطح القمر ؟ لو عدنا إلى الوراء قليلاً وفكرنا كما فكر عيسى بن هشام لتولانا الفزع والموت . . إذن ما قلته عن أن العلوم الحديثة وفرت لنا وسائل جديدة لمعرفة ما كان يظنه الإنسان خرافة ، يكون ما يحدث الآن ليس تأكيداً على الخرافة إنما هى

محاولة علمية لإعادة النظر والفهم وقراءة ما حدث قديماً ولم نكن نفهمه ، إلى شيء جديد نفهمه أو يتقبله العقل .

● الكاتب الكبير الأستاذ أنيس منصور فى رصدك لسمات الإنسان المعاصر قلت فى بداية هذه الشهادة أن أبرز ما يميز هذا العصر هو نزوعه إلى حصوله على حريات أكثر ، فماذا أيضاً يميز إنسان العصر من وجهة نظرك ؟

ـ لا بد أن نضع فى الاعتبار ما أصاب الإنسان من خيبة أمل فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، فقد أدت الحرب العالمية الثانية التى أودت بحياة خمسين مليوناً من المتحضرين الأوروبيين إلى أن يشعر الإنسان أمام نفسه بأنه ليس بشراً وإنما هو وحش شديد التوحش كالسائمة ، يدفعه بعض الزعماء المجانين أو أصحاب القوى الخارقة التأثير على الجماهير إلى أن يفقد إنسانيته ويصبح بلا عقل أو منطق ، هذه الحرب أصابت الإنسان بخيبة الأمل ، فقد كانت آماله عريضة فى أن ينجو من حيوانيته وأن يكون متحضراً ، فإذا بعلمه الحديث ونظرياته الجديدة تعيده مرة أخرى إلى عصر حيوان الغابة أو حيوان الكهف . فكان من مصادر الشعور بخيبة الأمل هذه أن ظهرت فلسفات متشائمة تعبر عن هذا الشعور باليأس والمرارة ، ربما كانت أبرز هذه النظريات التى عبرت عن هذا الشعور هى الفلسفة الوجودية أو بعض الفلسفات الفردية أو على الأصح الفردانية . . وأيضاً بعض المذاهب الفلسفية الشخصية أو الشخصانية . . بمعنى أنه خاب أمل الإنسان فى الدولة وفى الحزب وفى

المجتمع وفى الجمهور ، فانسحب فى مواجهة الكل يؤكد ذاته وفرديته وذاتيته وشخصيته . . فهذه المذاهب بهذه الصور كانت نوعاً من الغضب أو السخط أو التعويض ، تعويض الفرد عما لحقه من ذوبانه فى المجتمع . مثلاً الفيلسوف ماركيوز له كتاب اسمه « ثورة الجماهير » هذا الكتاب يقارن فيه بين الصرصار وبين المجتمع ، يقول لك : الصرصار الواحد له شخصية محددة ؛ له أجنحة وأرجل وأنف وخياشيم وجهاز عصبى محدد، من الممكن أن تراه بمنتهى الوضوح، لكن المجتمع كلمة كبيرة ليس لها أى ملامح محددة . . فهذا الفيلسوف الأسبانى الذى أشاد كثيراً وطويلاً وعميقاً بفردية الإنسان فى مواجهة ذوبان الفرد فى الدولة أو ذوبان الفرد فى المجتمع أو فيما ليس محدوداً فكانت هذه المذاهب ردة أو رد فعل عن قدسية الدولة أو قدسية الحاكم، يعنى عندما تنظر إلى واحد مثل هتلر أو موسولينى ، أنت أمام وثن نصبه المجتمع إلهاً وعبده ، وبعد ذلك شكا من ظلمه البين له ، ففى أعقاب الحرب العالمية الثانية ظهرت هذه المذاهب وتألقت تماماً كما يتألق قوس قزح على سحاب أسود ، وكانت بهذا الشكل نوعاً من التعويض أو من تأكيد الذات ورد الاعتبار فى مواجهة ضياع الاعتبار فى مواجهة الفاشية والنازية .

●●● غضب وسخط الشباب :

● الكاتب الكبير الأستاذ أنيس منصور يمكن وجود ملاحظة عابرة أن معظم من قادوا هذه المذاهب الفكرية والفلسفية والفنية والتى ذكرتها

على مدى هذه الشهادة كانوا من شباب العالم شرقه وغربه ، ماذا عن شباب مصر وإسهامهم في الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والفنية والأدبية ؟

ـ الغضب والسخط من صفات الشباب في كل التاريخ من أيام ابن نوح عندما لم يطع أباه « سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء » ولم يكن هناك جبل فغرق ، يعنى فكرة تمرد جيل على جيل أو سخط جيل على جيل من سمات كل الأجيال وستبقى من معالم التاريخ . من سمات هذا العصر وكل عصر ، أن كل الثورات قام بها شباب عندهم شجاعة وعندهم خيال ، وحاولوا أن يجعلوا من الخيال واقعاً بأسرع ما يمكن ليقفزوا بالمجتمع بعده إلى حلم آخر ، وهكذا الثورة الفرنسية والأمريكية ، والسوفيتية ، والثورة المصرية ، كلهم شباب ساخطون أو غاضبون على مجتمعهم ، ثم مزجوا بين هذا الغضب وبرنامج للعمل أو تصحيح المسار السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى عصر من العصور وهكذا . . !

وليس غائباً عنا أن الشباب الذى قاد ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ كلهم كانوا فى الثلاثينيات . وسوف يظل الشباب هو القوة المحركة للتاريخ لأنهم أكثر الناس حساسية للواقع وأكثر الناس تطلعاً للمستقبل وأكثر الناس حرصاً على أن تصبح المسافة قريبة بين ما يحلمون به وبين ما يتمنونه أو ما يمكن تحقيقه فى مجتمعنا . ولأن الشباب أكثر حساسية فهم أكثر عصبية وأكثر تطرفاً ، لأنه فى سن الشباب من الصعب أن تكون

شاباً وأن تكون معتدلاً ، أو من الصعب أن تكون شاباً وأن تكون متوازناً، إنما الشباب تطرف . . نعم أو لا . . لكن لا يوجد ربما ، ويجوز ، وحيث أن، ومثلما، قلت لك: إنه فى أعقاب الحرب العالمية الثانية التى سحقت العالم كله وهزته بالمدافع والقنابل الذرية وكانت لها جذور وامتدادات فى فيتنام وطبعاً فى الشرق الأوسط بين العرب وبين إسرائيل أيضاً وخصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى ووعد بلفور والتقسيم إلى آخر القصة التى نعيشها ، منذ أربعين سنة ، حدث فى العالم كله أن المجتمعات الأوروبية كى ترفع نفسها من الأنقاض المادية والعقائدية راحت تبنى لها قصوراً وكهوفاً فوق هذه الأنقاض ، لذلك ظهرت مذاهب فوق مذاهب ، ولذلك أول ما يبدو عادة من الإحلال والإبدال كما نقول فى لغتنا الحديثة، هو نوع من التجديد أو الترقيع ، إنك ترى شيئاً قديماً ، وبدلاً من الاستغناء عنه تصلح من أمره ، وهو ما يسمى بالتعصير . . ومن مظاهر التعصير أيضاً ومما يدل على ضعف الفكر وبعده عن التعمق ما ظهر فى أوروبا من مذاهب توفيقية أو تلفيقية ، يعنى ليس عندى شىء جديد أقوله فأضيف من هنا إلى هنا ، أختار وأوفق وألفق ، فظهرت فى أوروبا مذاهب فى الأدب والفلسفة والسياسة، مذاهب توفيقية وتلفيقية ، وهذه مواقف مؤقتة إلى أن نستطيع أن نأتى بالجديد ، انظر إلى الشباب تجدهم فى أوروبا كلها وخاصة بعد سنة ١٩٥٦ ، نجد فى انجلترا بصفة خاصة وبعد العدوان الثلاثى ظهر أدب الشباب الساخطين أو Angry Youngmen وكان الأدب أدباً

غاضباً على المؤسسة أو على الدولة أو على ما هو تقليدى فى المسرح وفى الرواية ، وفى الشعر ، فهؤلاء الشباب أو أكثرهم لم يكمل تعليمه الجامعى أيضاً ، كان هدفهم أن يأتوا بجديد ما فنجد مثلاً ما سمى بالخنافس The Beatles ، مطربين من الريف من شمال البلاد عندهم فكرة جديدة فى تأليف الأغنية ، فكانوا يألفون ويلحنون ويغنون . . ونحن عهدنا أن الأخوين رحبانى يؤلفون ويلحنون الأغانى ، لكن هؤلاء أضافوا أيضاً الغناء إلى ذلك . . ولم يعرفوا أى ثورة أحدثوا ، لأول مرة فى تاريخ الغناء نجد أن الأغنية الانجليزية تحتقر المسرح والميكروفونات فى مواجهة السيطرة أو السلطنة الأمريكية على عالم الأغنية والرقص . هذا شىء ، شىء آخر أنه لأول مرة فى تاريخ الأناقة والأزياء تحتكر لندن الشياكة والأناقة ، منتزعة هذا العرش من باريس ، فظهر المينى جيب وقدمته الآنسة كونت التى استحقت أرفع النياشين فى انجلترا هى والخنافس . . هؤلاء الشباب لم يعرفوا عمق الثورة الفنية أو المال الذى دخل بلادهم عن طريق السياحة أو التجارة إلا فيما بعد .

بعد ذلك ظهر المسرح ، كل المسرح كان ثورة على برود واى الأمريكية، عندما أصبحت لندن كعبة للفن المسرحى منتزعة الفن من المسرح الأمريكى والفرنسى . وبعد ذلك ظهر نوع من أنواع الاحتجاج على المجتمع والتقاليد الاجتماعية ؛ تجد الأولاد يلبسون ملابس البنات ، والبنات يرتدين ملابس الأولاد ، كل النصائح التى يقولها الوالدان

تذهب سدى ! . . قصر شعرك والشعر لا يقصر ، عد إلى البيت ، لا عودة بل والنوم فى الحدائق وهكذا .

ثم ظهر الهيبيز وغيرهم ، كل هذه أسماء لدرجات من السخط على المجتمع ، هذا السخط بلغ درجة أعلى بشكل منظم فى حزب الخضر فى ألمانيا . شىء آخر ظهر فى المجتمعات الأوروبية وهو العنف السياسى أو الدينى أو الإرهابى، وقد سمعنا عن المفكر صاحب القلم والقنبلة ، بمعنى أن له مذهباً سياسياً يعتقد أنه المذهب الأصح وأنه وحده القادر على أن ينفذه بالقوة ، وبذا أصبح العنف ظاهرة شبابية فى العالم كله .

● فى العالم كله ، لكن يمكن أن يكون أكثر وضوحاً فى منطقتنا ؟

ـ هو فى العالم كله ، هناك عنف دينى وسياسى وإرهابى وهناك المافيا وهى نوع من العنف لا هو سياسى ولا دينى إنما هم مجموعة من مهربى المخدرات . . أما فى الشرق الأوسط فقد اتخذ العنف شكلاً سياسياً ، لكن هذا العنف رغم أنه صارخ وواضح إلا أنه لا يحل القضية ولا يلقى من العالم كله الآن أى احترام أو تقدير ، بل أصبح الناس الذين يستخدمون العنف إرهابيين سفاحين ، قتلة . . وأدى ذلك إلى عكس ما يريدون ، وهو أن العالم لم يعد يتعاطف معهم بل ويرى أن عنفهم هذا عمل غير مشروع وغير إنسانى أو حضارى .

●●● شهادة فى سطور :

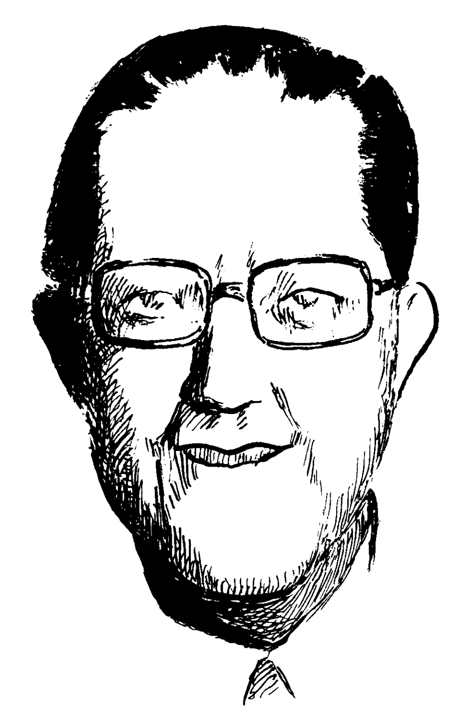
● الكاتب الكبير الأستاذ أنيس منصور وقد اقتربنا من نهاية الشهادة كيف تصف هذا العصر الذى نعيشه فى سطور قليلة ؟

ـ لكثرة النظريات المتطرفة والنظريات التوفيقية والنظريات المعتدلة والنظريات التى تشكل نوعاً من الإحلال والإبدال لنظريات قديمة والترقيع وغيره ، ولذا فهناك مشكلة وهى أن المفكر عنده إحساس أن عامة الناس لم تعد قادرة على استيعاب قواعد اللعبة السياسية والاجتماعية أو الأدبية والفكرية ، مثلما تكون جالساً فى استاد وهناك فرق كثيرة تلعب ، ورغم أنهم يلعبون لعبة واحدة إلا أن كل فريق يتكون من عدد مختلف عن الآخر . . المشكلة التى نعانى منها هى أن لكثرة تغيير قواعد اللعبة السياسية أو الاجتماعية ، لم يعد الإنسان المعاصر قادراً على الاستيعاب ، أو على أن يأخذ جانباً ويتحمس أو لا يتحمس أو يحاول أن يفهم . فى أواسط أفريقيا فى بعض القبائل المعزولة تماماً تجد أن المواطن كل يوم يغير اسمه بدون إشهار أو إخطار ، فالذى يحدث الآن أن كثيراً من الأفكار والنظريات أو المعتقدات أو الفرق تغير قواعد اللعبة دون إخطار سابق ، لا للاعبين ولا للحكام ولا المتفرجين وهذا هو مصدر الحيرة فى هذا العصر .

● **هذا على المستوى العالمى الذى حلق بنا فى أجوائه الكاتب الكبير أنيس منصور ، لو هبطت طائرة تحليقاته إلى مصر ماذا تقول فى سطور قليلة عن واقعها ؟**

ـ أولاً أنا لم أحضر من بلد آخر لأهبط فى مصر ، أنا منطلقى مصر ، الصورة التى أراها فى مجتمعنا أننا نحاول قدر استطاعتنا أن نتفق على قواعد واحدة ثابتة متينة أكيدة للّعبة الاجتماعية والسياسية فى بلدنا . .

موســى صبرى



شـاهد على عصر الجنـون

تاريخ التسجيل ١٩٨٥

★ كدت أن أحترق لأجد « مثلاً أعلى » .. ولم أجد !!

★ صبر أيوب أم صبر السادات !؟

★ أحب الناس عبد الناصر ، وكرهوا الحكم الفردى !

★ قرار أكتوبر أعاد الأرض ، وقرارات ٥ سبتمبر أعادت لنا الأمن ..

★ الذى يجرى فى عروقى : **انتمـاء !**

شاهدنا على العصر فى هذه المرة شاهد فعال ومشارك من موقعه ككاتب كبير ووطنى، دفع ثمن إيمانه بقضاياه فى غياهب الاعتقال تارة، وفى ظلمات الإبعاد تارة أخرى ، وفى ظلم سوء الفهم تارة ثالثة ، لنا معه حوار ممتد فيما كان وما سيكون .

●●● نظرة طائر على ساحة العصر :

● الحقيقة نحن سعداء أن نلتقى اليوم مع شهادة موثقة من شاهد كان دائماً على مقربة من الأحداث ومن صناع الأحداث ، ولا شك أن هذه الشهادة سوف تستوعب حوالى نصف قرن من الأربعينيات وحتى الآن، ولكن قبل أن نتعرض للماضى ، هل لنا فى نظرة طائر على ساحة العصر الذى نعيشه ؛ نظرة تستشرف أهم الظواهر والمتغيرات والملامح التى نعيشها فى هذا العصر ؟

ـ أنا يهيأ لى أنه منذ ثورة ٢٣ يوليو وحتى الآن ، التغيير الجوهرى الذى حدث فى الساحة المصرية ـ إذا صح هذا التعبير ـ هو تغير ملامح الخريطة الاجتماعية ، بمعنى ؛ الإصلاح الزراعى مثلاً ، حدد الملكية

الزراعية فلم يعد يوجد فى الأرض أصحاب الآلاف أو عشرات الآلاف من الأفدنة والذين كان يطلق عليهم اسم « الإقطاعيين » . أما من ناحية ساحة العمل والإنتاج لا شك أن العامل المصرى حصل على حقوق لم يكن يحلم بها قبل الثورة ؛ من ناحية تأمين عمله وتأمين معاشه بعد انتهاء فترة عمله بالسن أو بالعجز . . الظاهرة الثالثة هى شعور كل مواطن بحقوقه ؛ فأى إنسان فى أى موقع له حق، فإنه يطالب به وبإلحاح، على أساس أنه يعيش فى مجتمع يحقق العدل الاجتماعى .

أنا أرى أن هذه هى السمة الأساسية فى التكوين الاجتماعى ، وهى تغير الخريطة الاجتماعية تحت شعار « إذابة الفوارق بين الطبقات » وهذا غير موجود فى أى مجتمع ، إنما هناك « تقريب الفوارق بين الطبقات » وهذا الشعار ما زال مستمراً . . وإن كانت هناك بعض الظواهر الآن نتيجة بعض التحولات الاقتصادية، فهذه ظواهر طبيعية ومقبولة وتعرضنا لها فى فترة من حكم « عبد الناصر » عند تمصير البنوك . . ظهر أيضاً أصحاب الملايين ، وإن كانوا ليسوا بالكثرة مثل الآن . . فالانفتاح الاقتصادى كان لا بد وأن يمر بهذه الانفلاتات التى لا يمكن منعها ولكن يمكن تقويمها وعلاجها ، وهذا ما أراه قائماً الآن ، لأنه لا شك أن وجود فوارق طبقية شاسعة لا يمكن أن يؤدى على المدى البعيد إلى الاستقرار الذى يجب أن ننشده لهذا المجتمع . هناك أيضاً ظاهرة أخرى وهى ليست قاصرة على مصر . . ظاهرة التطرف بين الشباب بصفة خاصة ، سواء تطرف إلى اليمين إو إلى اليسار ، وأنا رأيى أن هذه الظاهرة

تعبير جديد عن عدم الرضاء عن أوضاع المجتمع وما تطورت إليه حتى ولو كان فيها تحقيق لعدل اجتماعى . فأصحاب هذه الأفكار المتطرفة يرون أن هذا لا يكفى ، أى أنهم يرفضون هذا المجتمع ، قد يكونون قلة، ولكنها قلة نشطة ، وقد تستطيع أن تؤثر تأثيراً كبيراً إذا استثمرت ظاهرة وجود فوارق طبقية كبيرة .

● هل من الممكن أن يكون التفاوت فى الدخول مثلاً وأخبار بعض المليونيرات وبعض مظاهر الإسراف والبذخ وراء استفزاز بعض الشباب؟

- نعم هى تستفز من ناحية وتعبر أيضاً عن صورة غير مكتملة ، بمعنى أن الخريج الجامعى إذا عين فى وظائف الدولة فمرتبه محدود ، إنما هذا الخريج لو وجد فرصة فى شركة استثمار فمرتبه كبير ، هنا عن الكفاءة الواحدة والتعليم الواحد وفى السن الواحد مرتبان مختلفان بل وهناك تفاوت بينهما ، هذه كلها ظواهر ممكن علاجها ، فمن الممكن علاج هذه الظاهرة مثلاً عن طريق رفع الضرائب ، ودليل ذلك أن الآن نصف خريجى الجامعات تقريباً لا يلجأون للجنة القوى العاملة كى يعينوا فى وظائف حكومية ، إنما يشقون طريقهم بمفردهم ، وهذه ظاهرة لم تكن موجودة ، فقد كان الجميع ينتظرون الوظيفة الحكومية ، وبذلك تجىء مشكلات اقتصادية تحل نفسها بنفسها مع التطور .

●●● عودة إلى الماضى :

● نحن بالتأكيد سنتعرض لظواهر أخرى معاصرة من خلال هذه

الشهادة ، لكن لنا عودة إلى الماضى الآن من خلال المقارنة ، فبعض الأقلام الآن تكتب عن عصر ما قبل الثورة ، ثورة ٢٣ يوليو ، وتؤكد أنه كان يشهد ازدهاراً حقيقياً للحرية والديمقراطية رغم سيطرة القصر والاحتلال التى نعرفها جميعاً ، وأنت شهدت هذه الفترة وشاركت فى أحداثها بل سجنت واعتقلت مع مجموعة أستطيع أن أقول إنها كانت تمثل كل التيارات الدينية والوطنية ، فما هى شهادتك فى هذه القضية ؟

ـ الذين يكتبون أن مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو كانت جنة الله فى أرضه ، أنا أعتقد أنهم يريدون أن يصيبوا بسهم ثورة ٢٣ يوليو ، فهم كتاب لهم احترامهم ، لكن بينهم وبين ثورة ٢٣ يوليو خصومة تكاد تكون شخصية، ونحن لا نستطيع أن نلغى التاريخ !!

فكيف يمكن أن تتحقق حرية فى وجود إقطاع ، مع وجود فلاح لا يستطيع أن يركب حماراً أمام الثرى فى القرية ، مع وجود أسر كانت تعقد محاكم خاصة لإصدار أحكام على الفلاحين . . هل هذه هى الحرية؟!! هل هذه هى الديمقراطية ؟! . . عندما يكون العامل عرضة للفصل بجرة قلم ، ولكى يحصل على تعويض من القضاء عليه أن ينتظر عشرين عاماً، هل كانت هذه حرية أو ديمقراطية ؟ ثم ـ إذا كانت الصحف تعبيراً عن الحرية ـ أنا أسأل هؤلاء « متى رفعت الرقابة عن الصحف المصرية . . منذ سنة ١٩٣٩ إلى أن قامت ثورة ٢٣ يوليو؟» . . فترات قصيرة كان آخرها فترة حكم الوفد من يناير سنة ١٩٥٠ حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وأعيد فرض الأحكام العرفية فى ٢٦

يناير سنة ١٩٥٢ بعد حريق القاهرة ، فكانت رقابة ، ورقابة شديدة ، ولم ترفع إلا فترات محدودة فأين كانت الحرية !!؟

● هم يستشهدون بحادث اجتماع مجلس النواب فى « فندق كونتيننتال» رغماً عن السلطة وبعد رفض القصر لهذا الاجتماع فى العشرينات ؟

ـ ممكن أن يحدث هذا ، لكن أنا لا أحكم بأن عهد ما قبل الثورة كله ظلام وعهد ما بعد الثورة كله نور ، لكننا نحكم وفقاً للصورة العامة ، أنا أذكر أننى عندما كنت شاباً كان الشباب يحترق ليجد مثلاً أعلى فى كاتب، فى صحيفة فلا يجد متنفساً ، يجد أحزاباً مختلفة ، أنا مررت على جميع الأحزاب لا كعضو ، كنت أحضر كشاب كل الاجتماعات لهذه الأحزاب لكى أتلمس طريقى فلم أجد هذا الطريق . . وأذكر أننى مرة ذهبت إلى الدكتور محمد حسين هيكل رئيس حزب الأحرار ، وهو الكاتب الكبير والمفكر والمثقف ، وكان هو رئيس الحزب الوحيد الذى يتمتع بهذه المزايا ، فذهبت إليه وسألته « أنت رئيس الحزب المثقف الوحيد . . فكيف لا تدعو إلى خطوات إصلاحية ضخمة وكبيرة ؟ » فقال لى بكل صراحة : « اسمع يا ولدى أنت ملتهب الحماسة ولكن اعلم أنه لا إصلاح لهذا البلد ما دام القصر والانجليز قوتين مسيطرتين على كل مصير فى هذا البلد، ولن يقبل هذا الاصلاح ولن يرجى له نجاح، ولكن حينما نتخلص من سيطرة الإنجليز وحينما نتخلص من سيطرة القصر الملكى يمكن أن يكون هناك إصلاح ! » .

وهذا ما فعلته ثورة ٢٣ يوليو . . فترة الأربعينيات كانت بالنسبة للشباب فترة حيرة، فترة محاولة للردعلى سؤال كبير: «إلى أين؟ » و «كيف الخلاص ؟ » . . وأنا أستطيع أن ألخص هذه الفترة فى هذين السؤالين «إلى أين ؟ » و « كيف الخلاص ؟ » . . والدليل على ذلك ما حدث ؛ فصانعو الأحزاب بدأوا بدايات وطنية خارقة ، عندما أنظر إلى الحزب السعدى ورئيسه إبراهيم عبد الهادى أو محمود فهمى النقراشى أو أحمد ماهر ، هؤلاء وضعوا رقابهم على أكفهم فى ثورة سنة ١٩١٩ ضد الاحتلال البريطانى ، أى كان هناك نقاء وطنى ، إنما تطور الأحداث وتطور الوقت وعدم التمكن من التخلص من سيطرة الإنجليز أو من سيطرة القصر انتهى بهم إلى مهادنات . . ولذا فإن هذه الأحزاب ومعها حزب الغالبية وهو حزب الوفد انتهى مصيره . أخيراً فى يناير سنة ١٩٥٠ إلى أن يهادن القصر . . وهذا هو تاريخ ثورة سنة ١٩١٩ والتى ظلت نتائجها تضمحل حتى وصلنا إلى وضع كان لا بد فيه من حدوث شىء .

وحدثت ثورة ٢٣ يوليو، ولهذا استقبلها الناس استقبالاً تلقائياً جداً، ولقد ذكرت لك إيجابيات ثورة ٢٣ يوليو ، لكن ليس هناك ثمة شك فى أن تحول الحكم الثورى إلى حكم فردى بالرغم ما كان يتمتع به جمال عبد الناصر من زعامة ساحرة وتأثير غريب وعجيب على الجماهير، إلا أن هذا كان من سلبيات الثورة ، فوجود السلطة فى يد واحدة أفسد استخدام هذه السلطة ، فوجدت المعتقلات ، وسمعنا عن التعذيب وتكميم الصحافة ، وكل هذا عاشه الناس ، وهذا من سلبيات ثورة ٢٣ يوليو .

وجاء دستور ١٥ مايو فى عهد السادات ليصحح مسار ثورة ٢٣ يوليو وهو ما حدث فعلاً ، فعملية الانتقال من الحكم الفردى الثورى إلى الحكم الدستورى ، من الشرعية الثورية إلى الشرعية الدستورية ، وأن تقوم فى تحول سلمى ، هذه كانت نقطة تحول خطيرة جداً ، لذلك أنا أطلقت عليها « ثورة ١٥ مايو » . وكذلك وصفها الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى بتعبير ثورة . .

ولكن ما هى الثورة ؟ الثورة ليست لفظاً أو كلمة . . الثورة هى التغيير؛ تغيير مكونات أساسية فى المجتمع ؛ الحرية مكون أساسى فإذا أنت أطلقت الحريات ، أغلقت السجون والمعتقلات وألغيت الحكم البوليسى ، هذا تغيير جذرى فى المجتمع ، ممكن أن تحققه إجراءات سلمية وإن كانت تعبر فعلاً عن « ثورة » . وقد كنا قبل ثورة ١٥ مايو نفتقد فعلاً للحرية ، فأنا فى خلال عملى الصحفى فى الفترة ما بعد ثورة ٢٣ يوليو تعرضت للإبعاد ثلاث مرات ولأسباب لا أعتقد أنها مقنعة أبداً . . فى سنة ١٩٥٧ مثلاً جرت أول انتخابات للمجلس النيابى، ورشحت نفسى فى دائرة قصر النيل ضد أحد ضباط الثورة ، وفعلاً كان من مظاهر المعركة الانتخابية أن مشاعر الناس كانت معى ، فكانت النتيجة أن جمال عبد الناصر أصدر قراراً بغلق ٥٥ دائرة على الضباط الأحرار المرشحين بحيث لا يُرَشَّحُ أحد أمامهم ، فخرجت من الانتخابات ، وكان العقاب أن وضع اسمى فى القائمة السوداء ، فلا أستطيع أن أسافر إلا بإذن من المباحث العامة ثم من المباحث الخاصة

بمكتب الرئيس ، وكان هذا قمة الامتهان لى ولكرامتى . . مرة ثانية عندما انتقدت صوت إحدى المذيعات بغير أن أذكر اسمها وقلت إنه صوت مخنث ، وصدر بالتليفون قرار بوقفى عن العمل واستمر ذلك وقتاً طويلاً!!!

● **هل نقدت باروكة إحدى المذيعات ؟**

ـ لا لم تكن الباروكة ، كان صوتها !

● **قال الأستاذ جلال الحمامصى ذات مرة إنك انتقدت باروكة إحدى المذيعات؟**

ـ لا لم تكن الباروكة ، كان صوتها ، كان مقالاً فى مجلة « الجيل » عن باروكة وصوت مذيعة إنما السبب كان هو الصوت .

المناسبة الثالثة كانت سنة ١٩٦٨ وكنت أتابع حضور قضية « شمس بدران » ، وكانت الشهادات خطيرة جداً خلال هذه المحاكمة ، وكنت أكتب مقالاً كل يومين عن كل جلسة ، فكتبت مقالاً اسمه « اليوم الحزين » عن يوم الهزيمة والذهب الذى أخذ من السعودية ، وتساءلت أين ذهب به عبد الحكيم عامر ؟ وقلت إن هذا ما ظهر من فساد الحكم وما خفى كان أعظم ، ثانى يوم جمال عبد الناصر ألقى خطبة فى اتحاد الصحفيين العرب ، وعندما ذهبوا إليه قال لهم إن رئيس تحرير جريدة «الأخبار» حول قضية المؤامرة إلى قضية فساد الحكم ! وتوقعت يومها فعلاً الفصل ، وصدر قرار من الاتحاد الاشتراكى بإبعادى نهائياً عن

الصحافة، ثم عدل هذا القرار بعد ذلك بقرار نقلى إلى جريدة «الجمهورية » بلا عمل !

●●● ٥ سبتمبر :

● الحقيقة هى ذكريات حزينة لكنك نقلتنا لها ونقلتنا أيضاً إلى ١٥ مايو بعد ذلك ، ويمكن هذا يرجعنى للسؤال حول ما يردده الكثيرون من الكتاب ، كتاب صحف المعارضة ، عن اشتراكك فى المسئولية عن أحداث ٥ سبتمبر والتى انتهت باغتيال السادات . . الآن ، وبعد مضى سنوات على هذه الظلال القاتمة ، ما هو تقييمك لحقيقة ما حدث؟

ـ أبداً أنا رأيى لم يتغير فى قرارات سبتمبر ، وكتبت هذا الرأى وقت صدور هذه القرارات ، وكتبته بعد وفاة السادات . . وأسجله أيضاً فى كتاب أصدره الآن عن أنور السادات . . بكل أسف اتجهت المعارضة اتجاهاً كان شعاره « لا بد أن نجبر أنور السادات على أن يلقى بنا جميعاً فى السجون» . . الذى حدث أن البلاد كانت معرضة لفتنة طائفية من أخطر ما تعرضت له مصر ، والمحاكمات الأخيرة تثبت كم عدد القتلى والجرائم التى ارتكبت إلى آخره ، إلى أن حدثت أحداث « الزاوية الحمراء» واستخدم الرصاص ، وكنت أنا أعيش فى هذه الصورة ، وكنت أراها من الجانبين ، صورة مؤلمة جداً ، صورة وصلت إلى القرى ، إلى الشوارع ، والموقف كان رهيباً جداً . . فماذا فعلت المعارضة ؟ . . نافقت التطرفات الدينية الإسلامية والمسيحية ، وهذا كان عملاً لم يرع

الصالح العام على الإطلاق ، فالحقيقة أنور السادات كان فى موقف لا بد وأن يتصرف فيه ، لا بد أن يحمى مقومات هذا البلد ولا بد أن يحمى هذا البلد من مذبحة دموية رهيبة فاتخذ هذه الإجراءات ، وكان لا بد أيضاً أن يحمى انسحاب إسرائيل فى ٢٤ ابريل ، لأن إسرائيل كانت تتحين أى فرصة للتراجع عن الانسحاب .

● ماذا تقصد حضرتك بحماية انسحاب إسرائيل . . ؟

ـ كانت إسرائيل تماطل ، فتزعم أنه لا انسحاب طالما أنه ليس هناك استقرار داخلى فى البلد ، وهناك من يعادون « كامب دافيد » وكذلك هناك قنابل . . . !! فالتعامل من أصعب ما يمكن مع الإسرائيليين ، إلا أن السادات رحمه الله كان عنده « صبر أيوب » ، وتحمل فى سبيل هذا البلد ما لا طاقة لبشر به ، فأنا لا أطيق أن أجلس مع « مناحم بيجين» خمس دقائق ، هو كان يجالسه بالساعات الطوال فى سبيل مصلحة مصر، وكان ينوى ـ رحمه الله ـ أن يفرج عن كل المعتقلين بعد ٢٤ ابريل .

● هل هو قال لك ذلك ؟

ـ كان يقولها علناً ، إنما ما هى المشكلة ؟ المشكلة أنه حدث خطأ فى التطبيق ، أى أن هناك ناساً اعتقلوا ما كان يجب أن يعتقلوا ، مثل المهندس عبد العظيم أبو العطا ، وكان رجلاً مريضاً ، ولم يكن عنصراً مؤثراً فى الساحة السياسية ، ومثل المرحوم عبد العزيز الشوربجى ، كان فعلاً مريضاً وكان على فراش الموت ، وعدد من الصحفيين غير المؤثرين

على الإطلاق . . فالحقيقة أنه حدث تجاوز فى تطبيق القرار . . وأنا كتبت هذا أكثر من مرة ، لكن كأساس ، كان القرار ضرورياً ، مثل إنديرا غاندى والتى مرت بنفس التجربة ، واضطرت أن تعلن الأحكام العرفية، وأن تفرض رقابة على الصحف ، واضطرت أن تعتقل الآلاف وخرجت من الحكم ورجعت بالانتخابات وهكذا ، فالحاكم مسئول عن استقرار البلد ، الدستور يعطى له صلاحية اتخاذ قرارات استثنائية لإنقاذ بلده ؛ شب حريق ، أنطفئه أم نكتفى بالمشاهدة ؟؟!

●●● فدى السادات مصر بدمه :

● الحقيقة حضرتك بتضطرنى هنا إلى مقارنة بين ما ذكرت وما نحن فيه الآن من إطلاق حريات كاملة ؛ حرية التعبير والصحافة الحزبية تمارس نشاطها ودورها بمنتهى الحرية ولا حجر على رأى أحد على الإطلاق وكل من يريد أن يقول كلمة فهو يقولها بكل حرية ، لا اعتقال ولا مصادرة على الآراء ولا فتنة طائفية، والأقباط والمسلمون أحباب وإخوة . . كل ذلك بدون إجراءات سبتمبرية . . فما تعليقك ؟

ـ هو بلا شك أنور السادات افتدى هذا البلد بدمه !

● معنى هذا أنك ترى أن هذا ثمرة لما فعله الرئيس الراحل أنور السادات ؟

ـ طبعاً لأن هو قبل الفتنة كان موجوداً هذا الجو الديمقراطى ، قبل أحداث التطرف الدينى من الجانبين ، والذى كان قد بدأ فى ١٥ مايو ،

فمن الذى أباح إنشاء الأحزاب ؟ ومن الذى دعا إلى قيام الديمقراطية على أساس تعدد الأحزاب ؟ . . السادات . . ومن الذى أباح صحف المعارضة ؟ . . السادات أيضاً .

● هؤلاء الكتاب يزعمون أن السادات بدأ خطوات الديمقراطية الحقيقية ولكن حدث بعد ذلك النكوص ؟

ـ حدث نكوص إنما اضطر إليه اضطراراً ، ومسئوليته فرضت عليه أن يتخذ هذه القرارات .

● إذن حضرتك تثبت فى شهادتك أن الرئيس السادات اضطر إلى هـذا؟

ـ طبعاً بلا شك ، لأن كثيراً من معاونيه كانوا يستعجلون هذا القرار ، إنما هو كان يفضل الحوار الديمقراطى ، وتحدث بصراحة عن التطرف من خلال حوار للتليفزيون ، وكان يعقد اجتماعات واتصالات كثيرة . . وكان له رسل عديدون لدى هذه الجبهات ، ولكن انتهى الأمر بأنه وجد أن أسلوبه الديمقراطى فشل ، فاضطر إلى أسلوب غير ديمقراطى .

● الرئيس السادات كان دائماً صاحب كلمة شهيرة « علاج الديمقراطية بمزيد من الديمقراطية » أو « علاج أخطاء الديمقراطية بمزيد من الديمقراطية » . . أليس كذلك ؟

ـ عندما تصل إلى الدم وفتنة تهدد أمن البلاد كلها من أولها إلى آخرها هنا لا بد من اتخاذ إجراء .

● وهل حضرتك غير نادم على استخدام تعبير « ثورة ٥ سبتمبر » لوصف أحداث ٥ سبتمبر ؟

ـ لا أنا لم أقل إنها « ثورة ٥ سبتمبر » أنا لم أقل كلمة « ثورة » أنا قلت إن قرارات ٥ سبتمبر مثل قرار أكتوبر ، فقرار أكتوبر أعاد لنا الأرض وقرارات سبتمبر أعادت لنا الأمن .

● وأنت مصِرٌّ على هذه الكلمات الآن وتكررها مرة ثانية ؟

ـ لأنها عن اقتناع ، فأنا لم أقلها فى مجال مناورة سياسية أبداً .

●●● شهادة على مصر الآن :

● الكاتب الكبير مسى صبرى الشق الثانى من السؤال ؛ ما هى شهادتك على صورة مصر الآن ؟

ـ الآن أنا أعتقد أننا نعيد ترتيب البيت ، من الناحية السياسية ، من الناحية الاقتصادية ، من الناحية الاجتماعية . . والنواحى الثلاث متشابكة ، فوجدنا أنفسنا فى مواجهة أزمة اقتصادية طاحنة ، فى مواجهة تراكمات فظيعة من سنوات طويلة طويلة . . أنظر إلى الصرف الصحى وكم تكلف من مليارات ، والصرف الصحى هذا وعلى مدى سنوات طويلة لم يفعل أحد له شيئاً ، حتى وصل الوضع إلى حالة تشكل خطورة على صحة الناس . فكان لا بد من هذا المشروع المتكامل والذى تكلف ملياراً . . فمن ثورة يوليو حتى الآن لم يعمل أحد شيئاً فى الصرف

الصحى إلا مشروع العشرة أيام فى عهد جمال عبد الناصر . . كان مثل الاسبرينة ، أما الآن فهناك اقتحام للمشاكل من جذورها .

كذلك مشكلة الإسكان ، مشكلة الإنتاج ، وهذه مشاكل عويصة ولا يمكن أن يظهر أثر حلولها فى يوم وليلة ، فى شهر أو عام أو عامين ، يمكن هذا بعد الخطة الخمسية وبعدما ندخل فى الخطة الثانية تظهر آثار الحلول ، فلا شك أننا فى مرحلة إعادة ترتيب ومرحلة مواجهة لا بد أن نتحملها ونواجهها ، ولا بد لكل منا أن يشعر بمسئوليته ويعمل ولا نترك كل شىء على أكتاف الدولة ، وهذه كلها أمراض اجتماعية متوطنة لا يسأل عنها حسنى مبارك ولا يسأل عنها السادات ولا يسأل عنها عبد الناصر إنما تاريخها طويل وبعيد .

● إذن نخرج من هذه الجزئية بتوصية من الكاتب الكبير موسى صبرى إلى الإنسان المصرى أن يكون إنساناً مشاركاً فى قضايا بلده وألا يحمّل الدولة كل شىء ؟

ـ ولا يقول لا فائدة ، ولا يستسلم لليأس ، ولا يقارن وضعه بمن يعمل فى السعودية ويتقاضى ٥٠٠٠ جنيه فى الشهر ، فهناك ظروف عامة فى هذه المنطقة ، فقد أصبحت هذه الدول تمتلك الملايين وكذلك تمتلك العمل الذى تدفع عنه أجراً كبيراً وهكذا . . .

ونحن أيضاً هناك أشياء كثيرة من الممكن مواجهتها بالحلول الذاتية ودون أن تكلفنا أموالاً إنما تكلفنا طاقة وجهداً وشعوراً بالانتماء وأحلام

الأمل ، الأمل الذى لا يستطيع إنسان أن يعيش بدونه فاليأس هو الموت .

●●● صحف قومية لا حكومية :

● الكاتب الكبير موسى صبرى رئيس مجلس إدارة أخبار اليوم ورئيس تحرير الأخبار . . ما رأيك فيما تقوله صحف المعارضة على أن الصحف القومية مثل « الأخبار » على سبيل المثال صحف غير محايدة إنما تزكى رأى الحزب الحاكم فقط ؟

ـ أنا لا أستطيع أن أقول إننا صحف محايدة ، الصحف القومية ليست صحفاً محايدة .

● هكذا بصريح العبارة ؟ !

ـ نعم لا أستطيع أن أقول إنها صحف محايدة ، هى صحف تؤيد الدولة لا الحكومة لأنها ملك الشعب ، فنحن مثلاً فى السياسة الخارجية ملتزمون بخط الدولة ومقتنعون به ، ولا يوجد من يجبر أحداً على تحمل مسئولية جريدة ، فإذا كنت غير مقتنع أقدم استقالتى وأعمل أيضاً فى الجريدة وأتقاضى مرتبى وكل شىء ، لكن نحن لسنا صحفاً حكومية . . اذكر لى أى جريدة قومية ليس بها نقد للحكومة يومياً ؛ فلا توجد جريدة يومية تصدر بدون نقد للحكومة . . نقد لأحد المشروعات الفاشلة أو إشارة لبعض الأخطاء ، لو حدث أن صدرت جريدة بدون ذلك فنحن نمثل صحف الحكومة فعلاً . . لكننا لانمثل صحف الحكومة بل نمثل

صحف الدولة صحف ليست مملوكة لفرد إنما صحف ملتزمة بسياسة عامة وفقاً للقيم التى حددها الدستور ، لكن لا رقابة علينا ، ولا تفرض علينا أخبار معينة ، وكذلك لا نمنع من نشر أخبار معينة ، وأنا كرئيس تحرير أشعر أننى مسئول عن كل تصرف لى ومستعد أن أواجه أى مسئولية لأن عملى نابع عن قناعة شخصية .

● وما هى أقوالك وملاحظاتك على أسلوب المعارك الصحفية الآن ؟

ـ بكل أسف الصحف الحزبية تكاد تكون مثل إنسان مخنوق وانفجر، وفى ظل هذا الانفجار لن تحدث مراعاة سليمة لصحة الخبر ودقة ما يكتب وسلامة الهدف ، فالتحزب والرغبة فى جمع أنصار وشعبية جعلهم يخطئون كثيراً . يمكن الآن صحيفة « العمل » أصبحت أفضل كثيراً من ذى قبل ، لكن صحيفة « التجمع » ما زالت سائرة فى هذا الطريق الشائك . أنا أرى إنهم يلعبون بالنار ، لأن إشاعة أن كل شىء فاشل ومخرب ولا أمل فى الإصلاح خطأ ، لأننا ننتج ونمتلك عناصر١٩٨٥ جيدة ، ثم ما الهدف مما يفعلون ؟ إشاعة البلبلة ، هز الثقة ، ضرب الاستقرار ، ولماذا؟ . . عارض الحكومة كما شئت ولا رقيب عليك وناقش وقدم الحلول وتكلم بالمنطق . . هناك فريق من أساتذتنا فى الصحافة يقولون إن هذه ظاهرة طبيعية وستختفى تدريجياً ، وعندها سيصبح النقد موضوعياً وتؤدى المعارضة دورها كما يجب أن يكون ، وأنا أرجو أن يحدث هذا .

●●● صحافة للإثارة :

● أنا أعتقد أنه منذ فترة كانت هناك صحافة يطلق عليها « صحافة الإثارة » وكانت موضع هجوم . . خاصة صحف أخبار اليوم ؟

ـ كانوا يطلقون على « أخبار اليوم » صحافة الإثارة وإن كانت « أخبار اليوم » توقفت عن الإثارة منذ سنوات طويلة .

● إذن المفروض أن تقدم لنا خلاصة تجربة « أخبار اليوم » مع الإثارة وكيف انتهت إلى التخلص من هذا اللون ؟

ـ تخلصنا منها نهائياً ، وأنا أتحدى إن وجد خبر واحد فى « أخبار اليوم» عنوانه غير موضوعه أو يتجاوز حدود الحقيقة . . أبداً !

● أو مثلاً يستبق تحقيقات تجرى ؟

ـ هذا ضد القانون فعندما يعرض موضوع على النيابة لا بد وأن تصمت الصحافة وذلك بحكم القانون ، لكن إثارة لغط كثير على أى قضية أمام القضاء يحرج القاضى ، وهذه القضايا يسمونها « قضايا الرأى العام » وهناك قضاة حكموا بالظلم ليشتهروا بين الناس بالعدل .

● فى هذه الجزئية هناك عتاب من العالم التربوى الكبير الأستاذ الدكتور عبد العزيز القوصى على الصافة المصرية ، حيث أنه يلاحظ أن الصحف الآن تهتم كثيراً بالأخبار الشخصية على حساب القضايا العامة والمشاركة فيها .

ـ عنده كل الحق وأنا شخصياً أحاول وأجتهد دائماً فى جريدة الأخبار أن نبتعد عن هذا اللون لأن حرمة الحياة الخاصة يحميها الدستور أيضاً .

●●● كل جيل أفضل مما سبقه :

● الحقيقة أستاذ موسى صبرى فى حديثك عن فترة الشباب والأربعينيات وحيرة الشباب فى هذه الفترة ، الحقيقة خطر لى سؤال ، هل تعتقد أنكم كشباب كنتم أكثر انتماء والتصاقاً بقضايا الوطن وهمومه الكبرى من الأجيال التالية ؟

ـ لا ، أنا أذكر حكمة للأستاذ أحمد لطفى السيد والذى كان يطلق عليه فيلسوف الجيل ، وكنا قد جلسنا حوله فى فندق « سيسيل » بالإسكندرية سنة ١٩٥٠ وكنا مجموعة من الصحفيين والشباب وعبرنا عن يأسنا الكامل فقال : « أنا مؤمن بأن كل جيل أفضل وأحسن من الجيل الذى سبقه . وأنا مؤمن بأن شيئاً ما سيحدث فى هذا البلد من الجيل الجديد » ، الآن الشباب مهتم جداً بقضايا بلده ، أنا أشعر بذلك من خلال أولادى الثلاثة ـ وكلهم مروا بمرحلة التعليم الجامعى ما عدا واحد ما زال فى الجامعة ـ وكذلك من خلال المناقشات التى تجرى بينى وبينهم وبينى وبين أصدقائهم فأجد منهم اهتماماً ووعياً كاملاً ومتابعة للصحف ومتابعة للأحداث والقدرة على التعبير عن رأيهم بجرأة وشجاعة وحرية .

● ألم تستغرقهم مشاكل الحياة وأزماتها ؟

ـ لقد عشنا فى أزمات الحياة اليومية ولم تستغرقنا ولا تستغرقهم .

● لم تكن على حساب القضايا الكبرى القومية .

ـ طالما أنت على قيد الحياة فلا بد لك أن تواجه مشاكل ، قد تكون مشاكل صعبة لا تستطيع بسهولة أن تتغلب عليها ، إنما لا تستطيع أن تنفصل لا عن بيئتك ولا عن مجتمعك ولا عن نبض هذا المجتمع ، فأنت جزء لا يتجزأ من مجتمعك .

● إذن الكاتب الكبير موسى صبرى ينفى عن شباب العصر دعاوى قلة الانتماء التى يُرمى بها ؟

ـ أبدا ومن واقع زملائنا الشباب الذين يعملون معنا هنا .

●●● شهادة فى سطور :

● الكاتب الكبير موسى صبرى ما هى شهادتك على هذا العصر فى سطور قليلة ؟

ـ إذا جاز لى أن أوجه كلمة إلى الإنسان المصرى المعاصر ، فإننى أقول بكل الصدق إن العنصر الذى يجب أن يجرى فى دمائنا الآن هو الانتماء ، يجب أن أشعر أننى أولاً منتمٍ إلى هذا المجتمع ثم منتمٍ إلى كل طبقات هذا المجتمع . . منتمٍ إلى أرض هذا البلد . . هذا الانتماء يبعث على الحب ويدفعنا أن نعطى قبل أن نأخذ لا أن نأخذ دائماً دون عطاء .

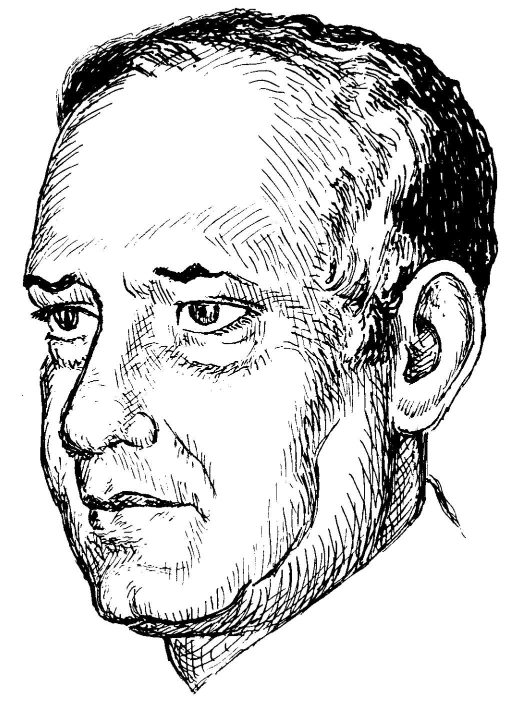
● أستاذ موسى صبرى هذا ما كنت أعنيه بملاحظتى عندما سألتك عن الفرق فى قوة الانتماء بين جيلكم والجيل الثانى .

ـ أنت كنت تسألنى عن الشباب ، وأن الشباب أقل اهتماماً بالمسائل العامة ، الشباب ليس أقل اهتماماً بل مهتم ، لكن أنا أتحدث عن شعور الانتماء لأنه مرت فترة طويلة من حكم الاشتراكية والتى كان يطلق عليها السادات ـ رحمه الله ـ اشتراكية الفقر والتى جعلت كل إنسان معتمداً على الدولة فى كل شىء ؛ فى طعامه ، فى وظيفته ، فى مواصلاته ، حتى المطاعم استولت عليها الدلة ، فحدثت فجوة ، الآن يحدث إعادة لترتيب البيت ، وهو ما يتطلب منا الكثير من التعاون ، ولن يعاوننا عليها إلا شعور خالص بالانتماء !

● **كيف تصف هذا العصر ؟**

ـ إنه « عصر الجنون » . . جنون الإنسان حتى يدمّـر نفسه !

عبد الوهاب مطاوع



شاهد على عصر غبى

تاريخ التسجيل ١٩٩٢

★ **ملاحظة :**

أكثر الموظفين شهرة أكثرهم انحرافاً !!؟

★ **تساؤل :**

ما هى الطفولية السياسية ؟

★ **استنكار :**

أب يستنكر إصرار ابنه على البقاء معه !!

★ **رأى :**

الأغلبية الصامتة هى الأغلبية الخيرة .

الإنسان هو الهدف ، هدف الفلسفة والعلم والدين وكل جهد هباء إن لم يكن هدفه فى النهاية هو الإنسان ، سعادته وأمنه واستقراره . . وشاهدنا على العصر اليوم صحفى كبير جعل هدفه الإنسان ، ونال أحدث جوائزه وهى جائزة على ومصطفى أمين كأحسن كاتب فى المسائل الإنسانية ، كما أنه استطاع استقطاب الأسرة المصرية كل جمعة حول بابه الصحفى الشهير «بريد الجمعة» بجريدة «الأهرام» .

ولد عام ١٩٤٠ فى دسوق بمحافظة كفر الشيخ ، وتخرج من قسم الصحافة بآداب القاهرة عام ١٩٦١ ، والتحق رسمياً بالصحافة بعد أن كان يمارسها وهو لايزال طالباً .عمل بجريدة «الأهرام» وبدأ بالتحقيقيات ، وفى عام ١٩٧٦ أشرف على صفحة أسبوعية ضمنها أول عامود له بعنوان «رأى الوجه الآخر» ، ثم ساعد الأستاذ ابراهيم نافع فى الصفحة الاقتصادية إلى جانب التحقيقات .

فى عام ١٩٨٠ غاب عن مصر سنتين عمل خلالهما بجريدة «الاتحاد» بالإمارات ، وعاد عام ١٩٨٢ لينضم إلى الديسك المركزى للأهرام ، أى سكرتارية التحرير ثم أصبح نائباً لمدير التحرير ، فمساعداً ثم نائباً

لرئيس تحرير الأهرام . . وفى عام ١٩٨٦ تولى رئاسة تحرير مجلة «الشباب وعلوم المستقبل» . أما قصته مع بريد الأهرام ، فقد بدأت عام ١٩٨٢ عندما تولى الإشراف عليه . . وانبثق من هذا الباب بريد الجمعة الأسبوعى بالأهرام الآن ، له العديد من المؤلفات معظمها قصص إنسانية من بريد الجمعة فضلاً عن المقالات والصور الأدبية وأدب الرحلات ، والآن إلى شهادته على عصره ورحلة مع نهر الحياة . .

●●● رؤية عامة :

ـ أستطيع أن أقول فى صدرها ، التعبير الذى استخدمه الرئيس الأمريكى الأسبق ريتشارد نيكسون فى كتابه ، «نصر بلا حرب» عن هذا القرن بصفة عامة أنه أغبى القرون وأفضلها . . تناقض . . ولكن له أسبابه المنطقية ، هذا القرن شهد مالم تشهده القرون السابقة من الحروب حيث جرت فيه مائة وثلاثون حرباً أو إذا أضفنا إليها ـ بعد صدور كتاب نيكسون ـ حرب الكويت ومجازر يوغسلافيا إلى آخره ، قد تصل إلى مائة واثنتين وثلاثين أو مائة وثلاث وثلاثين حرباً ، مات فى هذه الحروب على أقل تقدير مالا يقل عن مائة وعشرين أو مائة وواحد وعشرين مليوناً من البشر وهذا الرقم يفوق كل من مات فى الحروب منذ فجر التاريخ وحتى الآن ، هذا عن غباء هذا القرن ، أما عن أفضليته فقد شهد هذا القرن من عجائب العلم والتقدم مالم يشهده العالم من قبل ، فالسمة الرئيسية لهذا القرن ، أنه شهد من الآلام مالم تشهده القرون السابقة ، وشهد من التقدم والعلم مالم تشهده أيضاً القرون السابقة .

● وكأن الألم كان من أبرز الأثار الجانبية للتقدم ؟

- هو رافقها ولكن هل هو أثر لها أم لا ، فلا نستطيع أن نحكم .

إذن أول سمة يرصدها الأستاذ عبد الوهاب مطاوع لهذا العصر هو غباؤه وتقدمه فى نفس الوقت أو نجاح وإخفاق ، هذا على جانب وهذا على جانب آخر ؟

- ونلاحظ أن الغباء والألم وقعا على الجانب الإنسانى منه ، أما التقدم فقد وقع على الجانب المادى .

● ننطلق إلى بقية الظواهر فى هذا العصر وأبرز ما يميزه ؟

- أبرز مايميزه أيضاً وهو من عجائبه أنه قد اتجه إلى الوجهه الصحيحة للتطور الإنسانى وهو انتصار الليبرالية والديمقراطية والحرية فى معظم مواقع العالم . . وهو قد بدأ يتجه إلى أن يكون عصر سيادة الإنسان على أمره وعلى نفسه ، ومابقى فى العالم من جيوب شمولية أو غير ديمقراطية فهى فى طريقها إلى التحلل والزوال تدريجياً .

● لكن هل هذا على المستوى السياسى فقط بمعنى الحرية الليبرالية والديمقراطية السياسية أم تقصد الحرية الإنسانية بشكل عام من خلال علاقة الفرد بكل من حوله أو ما حوله ؟

- أنا فى الواقع أقصد الاثنين لأنه على مستوى السياسة ، أو على علاقة الشعوب بحكامها والنظم الحاكمة فيها ، هو يتجه فى تطور

طبيعى إلى الديمقراطية والليبرالية ، وذلك بحكم التاريخ ولايستطيع أحد أن يوقف هذا الحكم .

وعلى المستوى الشخصى والفردى فهو يتجه أيضاً إلى حرية الإنسان وحرية الفرد وتغليب حرية الفرد .. والإثنان فى النهاية مرتبطان ببعضهما البعض إلى حد كبير .

● نعم ونحن نلحظ الآن مزيداً من الطلب المتزايد على الحريات الفردية حتى من الإبن فى مواجهة أبيه ، والزوجة فى مواجهة زوجها ؟

ـ هذا صحيح ، الحرية على كل حال تتفق مع طبيعة الإنسان الذى كرمه ربه وجعله أهلاً لأن يكون حراً ، والإنسان كما تعلم هو أكرم الكائنات على الله سبحانه وتعالى ، وكل ماينال من كرامته ومن حريته يتعارض ما أراده الله له سبحانه وتعالى ، وفى التنزيل العزيز يقول الله سبحانه وتعالى لملائكته حين أراد خلق آدم عليه السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾

صدق الله العظيم

فالإنسان هو الذى سجدت له الملائكة إلا إبليس الذى أبى واستكبر وكان مصيره معروفاً ، والإنسان هو الذى استخلف فى الأرض .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾

صدق الله العظيم

من هو الخليفة ؟ هو الإنسان ، هذا الإنسان كائن عزيز كريم على ربه وينبغى أن يكون كريماً على نفسه وعلى الآخرين وعلى حكامه وعلى الجميع ، فكل ما يرد على حريته من قيود وكل ماينال من كرامته كإنسان هو مخالف للإرادة الإلّهية للإلّه سبحانه وتعالى ، فإذا كان العالم الآن يتجه إلى احترام وإعادة حقوق الإنسان وإلى إعادة حريته إليه ، فهو يتجه فى الطريق الصحيح الذى رسمه الله سبحانه وتعالى حين خلقه وحين استخلفه فى الأرض .

●●● قرن للسلام ولحقوق الإنسان :

● نستطيع إذن أن نقول إن الاتجاه إلى الديمقراطية وإلى حقوق الإنسان ماهو إلا انتصار أو تغليب للمشيئة الإلّهية وتحقيق لها فى هذا العصر بعد عصور من الظلام والقهر والعبودية ؟

ـ تمام . . وهذا بمفهوم المخالفة ، كما قلت لك ما كان يجرى فى الماضى فى أى عهد وفى أى عصر وفى أى مكان فى العالم مخالفاً لهذا ، لم يكن متوافقاً مع المشيئة الإلّهية ولامع تكريم الله سبحانه وتعالى ، بالإضافة إلى أن هذا التطور للعالم ولحركة التاريخ ينبغى أن تفرض علينا

أن تكون الألفية القادمة من عمر الزمان والقرن القادم هو قرن للسلام وقرن لحقوق الإنسان .

●●● مجلة بالشباب وللشباب :

● أستاذ عبد الوهاب مطاوع بما أن أول ملمح من ملامح العصر والذى رصدته بحق هو التقدم القائم على العلم والتكنولوجيا ، وطبعاً شهود العصر فى هذا البرنامج أجمعوا تقريباً على أنه عصر العلم والتكنولوجيا ، وهذه هى صفته الأساسية لديهم ، ولكن استوقفتنى أنك حينما توليت رئاسة تحرير «مجلة الشباب وعلوم المستقبل» عدلت اسمها إلى «مجلة الشباب» فقط ، فهل ألغيت علوم المستقبل أم ماذا ؟

ـ أنا لم أبلغ علوم المستقبل حتى ألغيها ، لكن هذا اتجاه صحفى بحت ليس له علاقة بتقسيم العلم ولابتقديره . . لقد نظرنا ـ حينما توليت رئاسة تحرير مجلة الشباب ـ نظرنا إلى السوق الصحفية فوجدنا فيها مجلات علمية متخصصة كثيرة ، لكن ليس فيها مجلة شبابية متخصصة فى قضايا الشباب وقادرة على مخاطبة الشباب ومتابعة اهتماماته ، ثم محاولة توجيه هذه الاهتمامات إلى أهداف ومثل عليا ومن ثم رأينا أن تكون مجلة منفردة باهتماماتها ، . متفردة باهتمامها بقضايا الشباب ، قد تكون أنفع للمجتمع من مجلة علمية تشاركها الدوريات العديدة فى هذا الاهتمام ، فهذا كان شأناً صحفياً ولا علاقة له بتقييمنا للعلم .

●●● إنسان العصر والقدرة على الإبداع :

● أستاذ عبد الوهاب مطاوع لقد صورت فى رؤيتك العامة . .

صورت العصر ووصفته ورصدت أهم خواطره ، فماذا عن الإنسان ، إنسان هذا العصر ، كيف تصفه وتصف ما آل إليه فى هذه المرحلة من العصر؟

ـ بصفة عامة تجد أن الإنسان يتجه إلى استخدام ملكاته العقلية وقدراته على الإبداع على أوسع نطاق وذلك بعد أن تخلص من أى قيود كانت تعرقل هذا الإبداع وهذا الاستخدام للملكات .

وأنت تعلم أنه فى العصور الوسطى كانت هناك قيود عديدة على التفكير وعلى الإبداع . ، قيود دينية ، . وقيود متعلقة بالتقاليد والمواريث والأفكار الثابتة . . وتعلم ما حدث فى الماضى عندما اكتشف جاليليو كروية الأرض ، كان كل ما يخالف الأفكار الثابتة يعد تجديفاً فى الدين ، الآن بصفة عامة العالم تخلص من هذه الفكرة ، فكرة تعارض العلم مع الدين ، ومن فكرة اعتبار كل اكتشاف جديد أو كل فكرة جديدة لم تكن معروفة من قبل ، أو لم تكن واردة فى المأثورات وفى الكتب الثابتة أنها تجديف فى الدين أو مخالفة ، بصفة عامة اختفى ذلك من العالم كله مما فتح مجالاً واسعاً لقدرات الإنسان على الإبداع ومما مهد لقيام الثورة الصناعية فى أوروبا وقيام ثورة الصناعة ثم ثورة التكنولوجيا ثم ثورة الاتصالات ، العالم الآن أصبح قرية صغيرة ، الإنسان متصل فيها بأخيه الانسان من أقصاها إلى أدناها ولابد لهذا أن يكون له أثره فى تغيير المفاهيم المشتركة بين الناس ، فلو تلاحظ أنه من قرون لم يكن البشر فى طرف من أطراف الأرض يدرون بالبشر فى أى طرف من أطرافها الأخرى ،

أما الآن الإنسان قد يعايش آمال إنسانٍ آخر أو شعب آخر فى أقصى أطراف الدنيا ويعايش أيضاً همومه ، فالدوائر المشتركة أيضاً تتسع ولعل ذلك يوظف لخدمة قضايا الإنسان ولخدمة تكريس مفاهيم السلام .

●●● بين الانتماء للقبيلة والانتماء للحياة الفردية :

● أستاذ عبد الوهاب مطاوع أريد أن أفصص ـ إذا جاز لى هذا التعبير ـ هذا السؤال العام إلى جزئيات ، نبدأ بالفرد ، علاقة الفرد فى هذا العصر بأسرته كبداية ، وما الذى اختلف فيها ؟

ـ الذى اختلف فيها أن الإنسان أصبح يتجه إلى الفردية بدلاً من الجماعية ، فى المجتمعات الأولى كان الإنسان جزءاً من كيان أكبر هو القبيلة ، ومفهوم الأسرة عنده واسع يشمل الأعمام ، الأخوال والأصهار، والأنساب وبذلك يعتبر مايقع على أى جزء أو أى طرف من أطراف هذه الأسرة العريضة أو القبيلة موجهاً إليه شخصياً ، وهذا مانطلق عليه نحن الإحساس القبلى ، وهذا المفهوم القبلى هو الذى يدفع إلى الحروب والاستنفار إذا ماتعرضت القبيلة للخطر ، ومع تطور الإنسان وتطور حركة التاريخ ، أصبح مفهوم الأسرة يضيق تدريجياً فبعد أن كان يشمل القبيلة الواسعة ، أصبح يشمل الأسرة الكبيرة التى تضم الإنسان وزوجته وأولاده وأباه وأمه وإخوته وأزواجهم ، بيت العائلة ، ثم أصاب هذا المفهوم حركة التطور فأخذ يضيق حتى كاد أن ينحصر الآن مفهوم الأسرة فى الفرد وزوجته وأولاده . . هذا التطور قد يكون سلبياً فى بعض النواحى لكنه إيجابى فى نواحٍ أخرى .

● **هل هذه السلبية يقصد بها الأستاذ عبد الوهاب مطاوع ما يثار ـ فى علاقة الفرد بأسرته ـ عن التفكك الأسرى وضعف التواصل بين الأجيال ؟**

ـ بالتأكيد لأن الإحساس العائلى القوى إحساس إيجابى يدفع الإنسان للتعاون مع ذوى أرحامه وللتكافل بين بعضهم البعض ويخلق المسئولية المشتركة بينهم عن الأسرة بأكملها .

●●● الحزن الغامض :

● **وهل ضعف هذا الإحساس فى هذا العصر فى مصر وقد وصلنا الآن إلى مصر ؟**

ـ إذا تحدثنا عن مصر فسنجد أنه قد نالنا ما نال العالم كله من تطور ، لكنه أقل كثيراً فى آثاره السلبية من مجتمعات أخرى إلى حد كبير ، فى المجتمع الغربى يضيق أحياناً عندهم مفهوم الأسرة إلى أن يكاد ينحصر فى الفرد نفسه ، بمعنى أن الأبناء إذا بلغوا سن السابعة عشرة . يصبح استمرارهم فى الإقامة مع والديهم دليلاً على عدم النضج النفسى، ولقد قرأت فى أبواب المشاكل الإنسانية فى الصحف ، رسالة من أب يشتكى إلى محرر الباب من أن عنده ولدين أحدهما يبلغ من العمر عشرين عاماً وعندما بلغ الثامنة عشرة استقل عن الأب وأخذ مسكناً مستقلاً ، والثانى يبلغ من العمر تسعة عشر عاماً وليست له أية مشروعات أو نوايا للانفصال عنا ، ويطلب تفسير المحرر لهذا الموقف من الإبن، والعمل إزاء تصرفه هذا، انظر إلى الصورة ، نحن فى مصر نحزن عندما يفارقنا

الأبناء فى سن السادسة والعشرين عاماً ليتزوجوا وتجد الأب ينخلع قلبه ويعانى من إحساسين متناقضين فى وقت واحد : الفرحة لزواج الإبن ومسئوليته عن أسرة ومسكن مستقل . . وحزين لأنه سيستقل ويبعد عنه . . وأنا أطلقت على هذا الإحساس مرة إسم «الحزن الغامض» الذى ينتابنا كلما راقبنا أبناءنا وهم تقل حاجاتهم المادية والنفسية إلينا رغم فرحتنا الداخلية بأنهم يستقلون ويصبحون رجالاً ، فالصورة فى مصر مختلفة إلى حد كبير وإذا كانت هناك سلبيات فهى سلبيات يمكن أن تقاس بحالتها لكنها لاتشكل سمة عامة .

●●● السفينة الواحدة :

● هذا عن علاقة الفرد بالأسرة والتفكك الأسرى المعاصر ، ماذا عن علاقة الفرد بالمجتمع أيضاً فى مصر الآن ؟

ـ علاقة الفرد بالمجتمع مرتبطة دائماً بدرجة وعيه ، إذا كان إنساناً واعياً تجده متنبهاً إلى أنه ترس من تروس هذا المجتمع وعنصر محترم من عناصره ، إذا اختل هو اختل المجتمع ، أما فى حالة انخفاض وعى الفرد فينخفض عنده الإحساس بالمسئولية الجماعية المشتركة عن المجتمع الذى يعيش فيه ، ومن هنا تظهر سلبيات اللامبالاة وعدم الانتماء وتدمير الذات ، . الطفل أو الإنسان غير الواعى حينما يدمر وسيلة من وسائل المواصلات العامة بأن يزيل مسماراً عن الموتور عبثاً ، هو فى هذه الحالة يفتقد الإحساس بأنه هو أحد ملاك هذا الأتوبيس العام والذى

يستخدمه هو وأسرته وأبناء بلده ، وبالتالى فإنه مسئول عن صيانته وليس عن تدميره ، وهذا الإحساس يسمى بإحساس ركاب السفينة الواحدة ، إذا تغلبت النزعة الفردية على الجميع ، اعتبر كل راكب من ركاب هذه السفينة أن مواطىء قدم كل منهم ملك خاص له ، يستطيع أن يتصرف فيه بحرية تامة ، يستطيع أن يثقب هذا المتر المربع الذى يمتلكه غير مدرك أنه بثقبه هذا المتر المربع إنما يغرق السفينة كلها التى تنتهى بغرقه هو شخصياً ، فكلما زاد الإحساس بالمسئولية العامة والمشتركة كلما ارتقى المجتمع الذى يعيش فيه الإنسان .

● إذن هل يوافق الأستاذ عبد الوهاب مطاوع على وصف إنسان العصر أو الفرد فى علاقته بالمجتمع أو الدولة فى عصرنا أنه ذلك «المتفرج الأعزل» ؟

ـ بصفة عامة صعب ،أنا لا أحب أن آخذ بالظواهر السلبية أو الحالات الفردية والاستثنائية وأحكم بها على شعب بأكمله ، نحن ننفر من صور السلبية ونتألم ونفزع منها وهذا يخلق عندنا انطباعاً ، أحياناً يكون خاطئاً ، انطباعاً بأن الدنيا كلها والناس كلها ومصر كلها هكذا ، وهذا غير صحيح . .

●●● الأغلبية الصامتة = الأغلبية الخيرة :

● إذن أنت لاتوافق على تعبير «الأغلبية الصامتة» الذى استخدمه الصحفى الكبير الأستاذ إبراهيم سعده؟

ـ لا ، أنا أوافق على أن الأغلبية الصامتة هذه هى الأغلبية الخيرة المنتمية إلى بلدها والمرتبطة بهذا المجتمع ، المؤمنة به المدافعة عنه والتى تحكمها القيم الدينية الصحيحة والقيم الخيرة ، وإلا لو لم تكن هذه الأغلبية موجودة لتحولت الحياة إلى غابة لا يأمن فيها الإنسان على نفسه، فى كل مجتمع هناك منحرفون وهناك سلبيون وهناك متطرفون ، لكن الأغلبية العظمى دائماً من أى شعب هى أغلبية سوية .

● وأغلبية صامتة ؟

ـ هى غالباً ما تكون صامتة وهى صامتة لأن الشر يعلن عن نفسه بقوة ونفزع منه نحن ، فلو نظرت إلى أى إدارة من إدارات العمل تتكون من حوالى ثلاثين موظفاً مثلاً ، تجد منهم اثنين منحرفين لكنهما مشهوران، فما الذى شهرهما ؟ . . شهرهما انحرافهما ، لأننا فزعنا من هذا الانحراف فعرفنا أن فلاناً منحرف . لكن باقى الإدارة قد لانذكرهم لأنهم يعيشون بطريقة طبيعية ، يؤدون واجبهم بطريقة طبيعية ، يرعون الله فى عملهم لذا فليس هناك مبرر لأن نتذكرهم ، وهذا هو تأثير الاستثناء . . الاستثناء دائماً ملفت للنظر لكن القاعدة السوية لاتسترعى الانتباه ، ولولا هذه القاعدة السوية لما كانت الحياة .

● فكرة الصمت أو الأغلبية الصامتة ، . يمكن لهذا الوصف أن يحمل نوعاً من الانتقاد لصمت هذه الأغلبية يعنى المطلوب أن تكون أكثر قدرة على المبادرة والتعبير عن رأيها فى مواجهة القلة من المنحرفين ذوى الأصوات الأعلى ؟

ـ هذه الأغلبية لها وسائلها فى التعبير عن نفسها والوسيلة التى تستخدمها هى وسيلة الردع الاجتماعى ، أى أنها تنفر من المنحرفين ولاتقترب منهم ولاتسمح لهم بالاقتراب منها ، فلا تصاهرهم ولاتحضر اجتماعاتهم أواحتفالاتهم ، . يعنى مثلاً عندما يرغب موظف مرتش يملك مالاً كثيراً فى مصاهرة رب أسرة شريف ، فإن هذا الرجل الشريف مهما كانت ظروفه وظروف أسرته فإنه يرفض وقد يرحب بموظف آخر أقل فى الإمكانات لكنه مستقيم وعلى خلق ودين . ، هذا موقف اجتماعى إيجابى ، أما بالنسبة لفكرة أن تعلى هذه الأغلبية صوتها فأنا أختلف مع الذين يطالبون الأغلبية الصامتة بالخروج للشوارع والهتاف بأنهم ضد الانحراف والتطرف ، لأن هذا يتنافى مع طبيعة الحياة الطبيعية للناس ، فالمجتمعات ليست مجتمعات حرب كى نطالبها بالخروج فى مسيرات إلى آخره ، وأنا أرى أن هذه طفولية سياسية .

أنا ليس مطلوباً منى إلا أن أؤدى عملى بأمانة وأن أرعى الله فى حياتى الخاصة ، وأن أحاول بقدر الإمكان أن أطهر مجتمعى الصغير ومجتمعى الأسرى ، فيتطهر المجتمع تلقائياً ، . إنما الانخراط فى عمل عام يؤدى إلى تغيير المجتمع ، فهذه فكرة ماركسية لاتصلح لكل المجتمعات ، لأن من يعلمون بالسياسة هم قلة لديهم الاستعداد والقدرة على التعبير والقدرة على تمثل إرادة الجماهير والتعبير عنها . . أما الناس العاديون ليس مطلوباً منهم أن يشتغلوا بالسياسة . فى المجتمعات المتقدمة ، فى أوروبا وأمريكا الأغلبية العظمى منها لاتشتغل بالسياسة . ، يشتغل

بالسياسة هناك الأحزاب . . والأحزاب مكونة من أشخاص مثقفين مؤهلين للعمل العام والعمل الجماهيرى ، وهم يستقطبون تأييد القاعدة، التى ترشحهم إلى مراكزهم الحزبية ثم السياسة فيما بعد ، يعبرون عنها ويحققون إرادتها ، والرأى العام غالباً مايعبر عن نفسه فى استفتاء إذا استفتى ، أو فى الانتخابات إذا حان موعد الانتخابات .

● هذا إذا شارك . أستاذ عبد الوهاب مطاوع ، لكن نحن نشكو من قلة المشاركة هنا فى مصر ، فى الانتخابات العامة ، فى صناديق الاستفتاء، وفى المواقع المطلوب فيها من الشعب أن يقول كلمته .

ـ ضعف المشاركة سلبية ، ولها أسباب وخلفيات وموروثات عديدة تحتاج وقتاً حتى تختفى وتحقق الأثر الإيجابى وليس الناس هم المسئولون عنها ، المسئول عنها أنظمة الحكم التى أفقدت الناس الثقة فى الانتخابات وفى الاستفتاءات وفى جديتها ، المسئول عنها ٩٩٩ من ألف فى المائة ، والناس لها عقولها ! !

ما أقصده هو أن تبرير القصور السياسى لمن يتصدون للعمل العام أو العمل السياسى سواء فى الأحزاب أو فى الحكومة ، أو فى الهيئات العامة لتبرير فشلهم بأن الأغلبية صامتة ولاتشارك ، هذه مقولة أنا لا أتفق معها ، بدليل أن هذه الأغلبية الصامتة هى الأغلبية التى تفور فورة ولاأقول ثورة بل فوراناً غير مسبوق وغير مقدر حين تستشعر الإهانة . . ، الانتفاضات الشعبية التى حدثت فى مصر على مدى المائة عام الأخيرة

تكشف طبيعة هذا الشعب ، الشعب المصرى صبور وكثير التحمل إلى درجة تغرى المؤرخين أحياناً إلى اتهامه بالسلبية وافتقاد الشجاعة ، لكن هؤلاء المؤرخين لو اقتربوا من تاريخ الشعب المصرى اقتراباً صحيحاً أو عميقاً سيجدون أن الشعب المصرى يتحمل أحياناً الظروف الاقتصادية ، بل يتحمل أشد المحن وأشد البلاء ، لكنه لايتحمل استشعار الإهانة ، إذا ما أهانه نظام الحكم أو أهانه أى فرد من الأفراد واستشعر هذه الإهانة فإنه يفور فوراناً مدمراً ، . وراجع تاريخ الحركات الشعبية التى حدثت فى مصر خلال المائة سنة الماضية ، ستجد أن ثورة سنة ١٩١٩ عندما قامت أذهلت زعماء الوفد أنفسهم واستقبلوها فى البداية ببعض التوجس واعتبروها شيئاً من الممكن أن يفسد عليهم حركتهم السياسية المعتدلة والتى تطالب بالسماح لوفد بالسفر إلى باريس لحضور «مؤتمر باريس» لإسماع صوت شعب مصر للمجتمعين المنتصرين بعد الحرب العالمية الأولى ، فعندما ذهب شباب كلية الحقوق لعبد العزيز باشا فهمى قال لهم : «لاتلعبوا بالنار وتفسدوا علينا عملنا ، فنحن مازلنا نتحرك» .

ثم اجتاحت الثورة أجزاء مصر من أسوان إلى الاسكندرية . . وقاتلت وتصدت لرصاص الإنجليز ، واستوعب زعماء الوفد أن هذه الحركة صحيحة بعد صدمة اللحظة الأولى . . عندما تجد ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ رغم أنها كانت مجرد نذر إلا أنها تحولت فجأة إلى حركة شاملة لتغيير المجتمع كله ونظامه بدلاً من حركة إصلاحية لإصلاح الجيش .

● **كان اسمها الحركة المباركة ؟**

ـ نعم الحركة المباركة وكانت مطالبها الأولى إصلاح الجيش إلى آخره . . لكن هذا التطور أذهل المراقبين ، وتجد وراء هذه الثورة استشعاراً للإهانة . ، فقد بلغ من استهتار الملك السابق فاروق بهذا الشعب وكرامته بأنه لم يعد يرعى له حساباً . ، استشعر الجيش هذا وتحرك ، والأمثلة كثيرة وتجد أن محركها الأول أن صبر هذا الشعب يفلت مرة واحدة إذا استشعر الإهانة ، والأغلبية الصامتة ليست سلبية ، هى أغلبية إيجابية لكنها تعبر عن نفسها فى الوقت المناسب وحين تستشعر الإهانة .

●●● ثورة الاتصالات مالها وما عليها :

● **أستاذ عبد الوهاب مطاوع عودة إلى نقطة كنت قد ذكرتها فى صدر الشهادة عن ثورة الاتصالات المعاصرة وتحول العالم إلى قرية كبيرة بفضل الأقمار الصناعية وإلغاء الحدود والمسافات بين الدول والشعوب المختلفة، فنشأ مجتمع المعلومات وأنا أسأل عن أثر كل هذا على ذاتية إنسان العصر، هل هددتها هذه العالمية أو الكونية ؟**

ـ أنا لست من المتشائمين أو المتخوفين من تحول العالم كله إلى قرية صغيرة ، صحيح أن ثورة الاتصالات ستنقل مفاهيم جماعات وقيم مجتمعات معينة إلى مجتمعات أخرى قد لاتكون مستعدة لها ، وقد يحدث نوع من التهجين بين الأفكار والقيم . . هذا على المستوى الأخلاقى ، والتخوف الوحيد على المستوى الأخلاقى . . فالحرية الفردية زائدة عن

الحد فى المجتمعات الغربية ، لكن إذا كانت هذه سلبية وهى بالتأكيد كذلك ، لكن هناك إيجابيات أخرى يمكن أن تعوّض عنها . ، وهى أنها سوف تقوم أيضاً بتلقيح الأفكار الموجودة بأفكار ليبرالية ، أفكار تتعلق بالحريات وباتساع الفكر وبالتخلص من القيود الفكرية الجامدة ، أى سيحدث نوع من التفاعل ومسئولية كل مجتمع هنا أن يستخلص من هذا الغازى الجديد الجوانب المفيدة له ويستبعد الجوانب السيئة ، وهذا يزيد من مسئولية الإنسان عن نفسه، والإنسان المسئول عن نفسه هو إنسان جدير بالاحترام والثقة . وجدير بأن يحيا عصره ، فأنا إذا كنت أحمى ابنى الآن من المؤثرات السلبية غير الأخلاقية ، فهذا إلى مرحلة ، بعد ذلك ينبغى عليه أن يقوم هو بفرز مايتلقاه من مؤثرات خارجية ويصل إلى قناعة داخلية صادرة عنه هو نفسه بأن هذا خطأ ، وهذا صواب . . كذلك الشعوب ، فوصايتنا على الشعوب يجب أن تأتى إلى حد معين ثم ترفع هذه الوصاية بعد أن ترتفع درجة نضج هذا الشعب ودرجة ثقافته ، وذلك حتى يقرّر هو مايراه صواباً ومايراه خطأً من هذه المؤثرات .

● وهذا ما نلاحظه حالياً ، فالآن الأثير مفتوح أمام أى إرسال قادم من أى أقمار صناعية من شعوب وثقافات ودول مختلفة من الشرق والغرب . . وكل فرد يستطيع أن يضع فوق سطح منزله Dish أو طبق ويستقبل مايشاء من تليفزيونات العالم ؟

ـ هذا منتهى الوعى . . ومنتهى الوعى أيضاً اختيار الإنسان بملء إرادته ألا يدخل التليفزيون بيته ، فهذا اختيار واع أيضاً . . وأنا أحترمه

سواء كنت أتفق معه أو أختلف ، وأنا أعرف أسراً مسلمة وأخرى مسيحية لم يدخل جهاز التليفزيون بيوتهم حتى الآن .

● لكن تحت أى دعوة ؟ أهو الخوف من التأثر أو الخوف على الأبناء ؟

ـ أسر متطهرة ترى أن الإنسان إذا كان عنده وقت فراغ ينبغى عليه أن يستغله فى القراءة والعبادة . . وترى أن مشاهدة التليفزيون مضيعة للوقت ، هذا رأى لابد من احترامه والسماح لأصحابه بالتعبير عنه وممارسته بدون أى تدخل منا ، كما يتاح للآخرين شراء Dish كى يستقبلوا خمساً وأربعين محطة من الخارج .

هذه حرية شخصية يجب أن نمنحها للأفراد وألا نحكم على هذا بأنه صواب أو خطأ ، فمن حق كل إنسان أن يعبر عن نفسه ويختار لنفسه . . فالإنسان الذى يختار لنفسه ويتحمل تبعات اختياره هو الإنسان الواعى الجدير بتحمل مسئوليته عن نفسه وعن بلده .

● هو فى الحقيقية أستاذ عبد الوهاب مطاوع هناك كثيرون من خبراء أو علماء الاجتماع يقولون العكس ، هم يرون أن هذا الانفتاح الإعلامى وثورة الاتصالات وتحول العالم إلى قرية لن يقضى على ذاتية الإنسان وثقافته المتفردة فى كل شعب من الشعوب ، بل سيزيد هذا الإنسان إصراراً على تأكيد ذاتيته وهويته فى مواجهة الثقافات الأجنبية الوافدة عبر الأثير وذلك من باب حرصه على نفسه ؟

ـ يا سيدى الفاضل ، ما الذى يحدث لإنسان يريد أن يتحصن ضد

أى مرض من الأمراض ؟ . . نعطيه مصلاً وهذا المصل عبارة عن ميكروب المرض لكن بدرجة خفيفة ويدخل الميكروب جسمه فيخلق عنده المناعة ضد هذا المرض ، فإنها تنمى فى الإنسان القدرة على التفكير النقدى الذى هو قمة نضج الإنسان ، وهو الذى يستطيع أن يميز به بين الخطأ والصواب والمقبول وغير المقبول ، وما يتفق معه ومالا يتفق، الطفل لايملك القدرة على التفكير النقدى ، ولذا فإنه يتلقى معطياته من الكبار ، إنما الناضج تبدأ عنده ملكة التفكير النقدى . . الإنسان غير الناضج بعد مشاهدته لفيلم لايستطيع أن يحكم هل هو جيد أم لا ، الإنسان الواعى يستطيع أن يقرر إذا كان هذا الفيلم سيئاً أم جيداً . . ، والإنسان الذى يقرر هذا مستخدماً فى ذلك التفكير النقدى هو أرقى من غيره ، فانفتاح العالم أو المجتمع على المجتمعات الأخرى يزيد من معارفه ويوسع من أفقه الثقافى والأفق العام للأفراد ، ولذا فنحن نعتبر من سافر إلى الخارج أكثر علماً أو أكثر دراية بأفكار الناس ممن لم يسافر :

«وسافروا ففى الأسفار سبع فوائد » .

و « اطلبوا العلم ولو فى الصين » .

فإذا كان تطور العالم أتاح لى أن يسافر العالم إلىَّ دون أن أسافر أنا إليه فهل هذا تطور سلبى ؟

●●● جيلى جيل من أتعس الأجيال :

● أستاذ عبد الوهاب مطاوع نأتى إلى شهادتك على عصر عشته

وتشهد عليه ، بمعنى أننا نستطيع أن نقول إن الوعى تفتح لديك ابتداء من أواخر الخمسينيات ، فمن ذلك الحين وحتى الآن ماهى شهادتك ؟

ـ إذا كان لى أن أشهد على الفترة التى تفتح فيها الوعى السياسى عندنا أو عند جيلى ، فأستطيع أن أقول لك ، فى جملة مختصرة ، إننا من أتعس الأجيال التى مرت على مصر ، على عكس الشائع بين كثير من الشباب الآن الذين يعتقدون أن الأجيال الماضية عاشت حياة أفضل من حياته أو عاشت فى ظروف أفضل من ظروفه ، وهذا وهم أو حس قديم قدم الزمان يعنى إحساس كل جيل بأن الأجيال السابقة كانت تعيش فى ظروف وأحوال أفضل من جيله .

● حتى فى انجلترا يقولون The old good days أى الأيام الجميلة الماضية ودائماً مايعتبرون أن الماضى هو الجميل !

ـ نعم ويعتبرون أنه كان هناك عصر ذهبى منذ قديم الزمان . . وهذا إحساس تاريخى صاحب جميع الأجيال منذ فجر التاريخ وحتى الآن . . بل تعجب عندما تعلم أن فى كتابات الرومان كان هناك من ينعى على الناس تدنى الأخلاق وضياع القيم بالمقارنة بالعهود الماضية ، والامبراطور الحكيم المعروف فى تاريخ الرومان ماركوس أرلوس كان يجلس كل مساء ويتأمل فى أحوال البشر ونقائصهم وأخلاقهم ، وكيف فسدت مقارنة بالعصر الذهبى السابق ، وأنت تعرف أن فى فجر الإسلام قيل يوم فتح مكة ؛ «اسكتى يا فلانة فقد ذهبت الأمانة» وقيل قبلها «باطن الأرض

خير من ظهرها » . وذلك بعد غزوة بدر والشاعر العربى يقول فى مرحلة لاحقة :

ذهبوا الذين يعاش فى أكنافهم   وبقـــيت مثـل السـيف فـــرداً

الشكوى من الزمان شكوى قديمة وتفسيرى لها أنه لو كان ما يقوله الناس صحيحاً ، لو كانت الأمانة والاخلاق قد ذهبت ، لما كانت الحياة استمرت حتى الآن ، وما كان متاحاً لأى إنسان أن يعيش هذه الحياة . . إذن هى شكوى تفسيرها عندى أن كل جيل يفترض فى نفسه أنه أفضل من الجيل الذى جاء بعده وذلك على أساس أنه أكثر خبرة وأكبر سناً . . فأنا إذا كنت أعتبر نفسى أفضل من الشباب الجديد الذى يساعدنى لا لأنى أملك ملكات عقلية خارقة وهم يعانون من قصور ، بل لأن بينى وبينهم خبرة سنين ، لكن لو أتيح لهم اكتساب نفس خبراتى ، سوف يصبحون أفضل منى ، مضافاً إليهم مكتساباتهم من العصر الذى عاشوه ومؤثرات العصر عليهم وإمكاناتهم التى قد لاتكون متوفرة فىَّ شخصياً .

● **هذه نظرة عادلة جداً من جيل إلى جيل ؟**

ـ هى نظرة موضوعية ، ثم أن هناك جزءاً نفسياً آخر، فلو تلاحظ تجد أننا حين ننعى على الأخلاق ، ننعى بدون أن نشعر شبابنا وأيامنا التى راحت ولن تعود ، ففى هذا جزء نفسى ، جزء وجدانى ، فنحن عندما نتحسر على الأيام الماضية فنحن نتحسر على شبابنا الذى ذهب لكن هل

الأيام التى عشناها كانت أفضل من الآن أم لا . . فهذا غير معروف . .

● ولو طبقنا هذا على الواقع وعلى الفترة التى تشهد عليها ، الفترة ـ كما قلنا ـ من بداية الستينيات وحتى الآن ؟

ـ قلت لك فى البداية إننا من أتعس الأجيال التى مرت على مصر فى الخمسين سنة الماضية ، لأننا تفتح وعينا وبدأت مشاركتنا فى الحياة فى ظل نظام شبه شمولى إن لم يكن شمولياً ، كانت له أهدافه الشريفة وكانت له أيضاً ممارساته العنيفة وكان يؤمن بالتعبئة السياسية المستمرة للشعب .

●●● وكان أحسن الأزمان وأسوأ الأزمان !

● إذن تفتح وعيك أستاذ عبد الوهاب مطاوع على مجتمع شبه شمولى أو شمولى كما وصفته ؟

ـ نعم وهذا الذى جعلنى أقول لك إنه فى رأيى أننا من أتعس الأجيال التى عاشت ظروفا كهذه الظروف ، بل إن هناك تعبيراً آخر يراودنى لوصف الفترة من عام ١٩٥٥ وحتى عام ١٩٧٠ وهو التعبير الذى استخدمه الروائى تشارلز ديكنز فى بداية روايته «قصة مدينتين» عندما قال «كان أسوأ الأزمان وأحسنها» ، والحقيقة عندما تفكر فى ذلك تجد أن هذه الفترة كانت فعلاً أحسن الأزمان فى أشياء كثيرة جداً ، وكانت أسوأ الأزمان فى أشياء كثيرة أيضاً ، ولنبدأ بالجانب الإيجابى لإيمانى أن كل عهد وكل زعيم له إيجابيات وسلبيات . . وأنه ينبغى الحكم عليه فى إطار

عصره وفى إطار الظروف التاريخية التى عايشها فلا يصح انتزاع حدث من سياقه التاريخى ولا انتزاع زعيم من مرحلته ، ثم تقييمه الآن بظروف هذا العصر وبقيمه .

وقد كان هذا العصر أحسن الأزمان لأنه كان زمن الحلم وزمن الفترة والتطلع لأداء دور أو توهم أننا تروس فى كيان كبير عظيم يؤثر فى مجرى العالم كله وفى مجرى التاريخ . ، وهذا الإحساس كان ينزل إلينا من القمة ويصل إلينا ويؤثر ويعمل عمله فينا وكان يعطى قوة دفع وكانت هناك مثل عليا وكان هناك إيمان بقضايا كبرى وأننا جميعاً . هذا الجيل : هو الجيل الذى التقى مع القدر على موعد لتغيير الحياة فى مصر وفى المنطقة العربية ولتحرير الشعوب إلى آخر هذه الشعارات الضخمة العظيمة ، كان هناك مايسمى بالمشروع القومى والذى يجعل للإنسان هدفاً فى حياته فيخفف عليه كثير من معاناته ، كان زمن العزة وزمن الاستشعار أن مصر الرائدة ، ومصر الدور ، ومصر القيادة ، وهو إحساس طيب ، ولكن المبالغة فيه طفولية سياسية والعهد كان يشجع على هذا الإحساس وخاض معارك كثيرة عشناها وتحملنا تبعاتها وآثارها بهذا الإحساس ، .
ثم أفقنا من هذا الحلم إفاقة أو صدمة شديدة ومدوية عام ١٩٦٧ ، .
وكانت النتيجة حدوث نوع من التمزق النفسى لقطاعات عريضة من الشباب . وهذا هو سن الشباب بالنسبة لجيلى ، فلا تتخيل التمزق النفسى الذى عشناه والأمراض النفسية التى انتابت الجميع ، الاكتئاب العام ، اختلال القيم ، اهتزاز المثل العليا ، اهتزاز الشعور بالانتماء ،

فلو تراجع التاريخ تجد أن أول موجة من الهجرة الجماعية إلى أوروبا واستراليا وأمريكا خرجت من مصر بعد عام ١٩٦٧ ، وقبلها بسنوات قليلة ، كان أمل كل إنسان فى جيلى أن يصبح وزيراً خلال أيام قليلة والطريق مفتوح أمامه ، لايتطلب الأمر منه سوى أن يجيد الكلام ، يقرأ الميثاق ثم يجيد حضور الندوات العامة ويشارك فى التنظيمات السياسية ويحضر لقاءات واجتماعات أمانة الدعوة والفكر ، ويكون عنده صبر لحضور ندوة تستمر سبع ساعات ثم يقوم هو ليتحدث بانفعال عن قوى الشعب العامل ويحضر المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى ويقول من ذاكرته فقرة طويلة من الميثاق ، فيلفت نظر كبار المسئولين فى الاتحاد الاشتراكى أو رئيس الاتحاد الاشتراكى نفسه ، وهو فى ذلك الوقت الزعيم عبد الناصر فيتم تصعيده سياسياً وينتقل من عضو لجنة العشرين إلى عضو لجنة المركز ، إلى أمين الشباب ، إلى أمين الفلاحين ، ثم يجد نفسه فجأة بدرجة وزير . . وحدثت أعاجيب كهذه كثيرة ، وشهدتها أنا كثيراً، من هذا الحلم الذى يراود كل شاب أن يحقق طموحه من خلال ممارسة العمل السياسى بهذا الشكل . . ثم حلم «أقوى قوة ضاربة فى البر والجو والبحر» وكانت هذه المقولة هى التى نصحوا عليها كل صباح وشعار «من الإبرة إلى الصاروخ » وعبقرية العلماء المصريين واختراعات العلماء المصريين التى لامثيل لها فى الشرق ولا فى الغرب ، والمقاتل المصرى الذى لامثيل له فى الشرق ولا فى الغرب وكيف ترتجف إسرائيل من كل صيحة تصدر عن مصر .

● **أحلام كبيرة خيالية ؟**

- لا ليست أحلام بل جرائم ؛ جرائم تغييب الوعى العام وجرائم الغفلة عن الواقع وعن الحقيقة ، على أية حال نحن غير مسئولين عنها لأننا من ضحاياها ، ثم نصحوا على تحطم هذا الحلم ، وأنا أذكر أن يوم ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ - وأنا كنت أعزب وأقيم فى مسكن مستقل - مر على صديق ليخبرنى بقيام الحرب وهو مبتهج بقيامها أو بوقوع إسرائيل فى المحظور حيث سنقضى عليها فى ساعات ، وخرجنا نبحث عن وسيلة مواصلات وكانت كل المواصلات متوقفة . . ووصلت «الاهرام» لأرى منظراً لايزال إلى الآن فى مخيلتى وهو بقايا شربات فى أكواب موضوعة فوق المكاتب ، . واتضح أن المرحوم الأستاذ كمال الملاخ وزع شربات على المحررين ابتهاجاً بقيام الحرب حيث أن النصر قريب ، فقد كنا ننتظر أن ترتكب إسرائيل أى خطأ وقد فعلت ، وسننهى الأمر خلال أيام ، ثم اشتركنا فى تغطية الحرب كصحفيين . . وأذكر أنه فى اليوم الأول كلفنى الأستاذ ممدوح طه - متعه الله بالصحة - وكان رئيس قسم الأخبار الذى استدعانى إلى مكتبه وقال لى :

«هناك أربع طائرات إسرائيلية سقطت فى صحراء ألماظة فاذهب لتصويرها » .

فأخذت سيارة ومصوراً وزميلى الأستاذ عباس مبروك وجرينا إلى صحراء ألماظة حيث قابلنا ضابط شاب ، دخل معنا بسيارة جيب

ليرينا الطائرات المتساقطة ، فلم نر الطائرات المتساقطة ، لكن رأينا طائرة صغيرة فضية اللون تهبط وتصعد ثم طلب منا الضابط الهبوط من السيارة والانبطاح أرضاً لأننا كنا هدفاً لطائرة إسرائيلية واتضح فيما بعد أنها طائرة اسرائيلية تهبط لضرب الكلية الحربية وموقع عسكرى آخر قريب وتصعد مرة أخرى وبلا أى موانع ، ثم جاءت الصور من أنحاء العالم ليتضح أن ما كنا نصوّره على أنه طائرات إسرائيلية هو فى الواقع طائرات مصرية أو فوارغ بنزين الطائرات الاسرائيلية .

ثم استطرد بحزن شديد :

لا أريد أن أطيل فى هذه الفترة الكئيبة . . لكن ما أريد أن أقوله هو حدوث شرخ فى نفسية الإنسان المصرى والمثقف المصرى على وجه التحديد شرخ لم يلتئم منذ هذه اللحظة وحتى أكتوبر عام ١٩٧٣ .

● **نعم وهذا ما كنت أريد أن أستوضحه منك ، أن ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ أدى إلى التئام الجرح والشرخ الذى حدث ؟**

ـ لقد ضمدت الجراح فى سنة ١٩٧٣ . . لكن أنا لا أعتقد أن الآثار النفسية التى تركتها هزيمة سنة ١٩٦٧ على جيلنا قد انمحت نهائياً حتى الآن .

● **وهذا واضح من رنة الجرح والحزن فى صوت الأستاذ عبد الوهاب مطاوع حالياً ؟**

ـ نعم هى ذكرى أليمة بلا شك ، سأقول لك عن شىء ، فأنا قد

شاهدت أيامها عن قرب أشخاصاً من الموعودين بالمجد السياسى وبالتصعيد ، ممن كانوا موضع غبطتنا وتمنينا بأن نصبح مثلهم وشاهدتهم بعد هزيمة سنة ١٩٦٧ ، الهزيمة الساحقة الماحقة ولم تكن نكسة كما يقال ، شاهدتهم وقد فقدوا الإيمان بكل شىء وفضلوا الهجرة إلى أوروبا وغرسوها فينا ونحن متخلين عن كل ما أرهقونا به من آراء ومثل كتلاميذ لهم ، فقدوا الإيمان بكل شىء وقرروا أن يعتزلوا السياسة وأن يبدأوا حياة جديدة لا علاقة للسياسة بها . . وأحدهم هاجر إلى أوروبا وتحول إلى تاجر سيارات ، . الفجيعة فى ٥ يونيو كانت تلخص مأساة واحدة هى مأساة الجهل بقدرات الإنسان وقدرات النفس ، ولو راجعنا التاريخ نجد أن موقفنا فى ٥ يونيو تكرر بحذافيره قديماً مما يؤكد أننا لانستفيد كثيراً من دروس التاريخ ، فى حرب السبعين بين فرنسا وألمانيا استدعى ملك فرنسا ماريشال الحرب وسأله عن استعداد الجيش فأجابه الاجابة المشهورة التى صارت مثلاً فى التاريخ وقال :

«الجيش مستعد بل أكثر من مستعد وهو على استعداد أن يحارب عاماً بعد عام بدون أن يغير زراراً من ملابس الجنود » .

على الجانب الآخر سأل بسمارك وزيره للحرب فكان متحفظاً ومتوجساً وخائفاً . . ونشبت الحرب فهزمت جيوش بروسيا فرنسا هزيمة ساحقة . ، هذا الموقف نفسه أى الغفلة عن القدرات الحقيقية للنفس وللوطن ، هو الموقف الذى حدث بين الزعيم جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر عندما سأله الزعيم جمال عبد الناصر عن استعداد

الجيش فقال له : «برقبتى يا ريس» وهو الموقف الذى ترجمته تصرفات القيادة السياسية والقيادة العسكرية من ثقة عمياء مطلقة بقدرات مصر وقوتها العسكرية وجهل أعمى مطلق بقوة اسرائيل العسكرية . . ولو تراجع ماحدث فى ٦ أكتوبر تجد أن ما حدث هو العكس تماماً فكان التحفظ والتوجس من جانبنا وكانت الثقة والغفلة على الجانب الإسرائيلى ولهذا خسرت إسرائيل الحرب وانتصرنا .

● كان هناك حسن تقدير لقدراتنا وحسن تقدير للموقف عسكرياً وسياسياً وإدارة جيدة للصراع وللحرب أسفرت عن هذا النصر فى ٦ أكتوبر ؟

ـ وكان هناك ماهو أهم من ذلك كانت هناك الرغبة العارمة فى رد شرف مصر ، فالعسكرية المصرية كانت قد أهينت فى سنة ١٩٦٧ وأهينت بغير أى ذنب جنته ، بل جنت عليها قيادتها العسكرية والسياسية . . وأنا ضد من يحاولون إعفاء عبد الحكيم عامر من مسئوليته عن جناية حرب يونيو بدعوى أن عبد الناصر ورطه فى الحرب على غير استعداد ، وضد من يحاولون إعفاء عبد الناصر من مسئوليته الكاملة عن هزيمة يونيو بدعوى أن عبد الحكيم عامر أبعده عن المؤسسة العسكرية، لأن المسئولية لاتتجزأ ، القائد ، رئيس الدولة مسئول مسئولية كاملة عن اختيار معاونيه وخطأ المعاون يتحمله الرئيس قبل أن يتحمله هذا المعاون .

●●● كتابة التاريخ مهمة صعبة لكن !

● وهل الأستاذ عبد الوهاب مطاوع يحب إعادة كتابة تاريخ هذه الفترة وتاريخ مصر المتواليين ؟

ـ لا . هذه مهمة صعبة . لكنى أستطيع ذكر عناوين عامة ، أستطيع أن أقول إن جمال عبد الناصر كانت له إيجابياته وسلبياته كأى زعيم فى أى عهد من العهود فى مصر وفى كل مكان من العالم ، لكن التعبير الذى أستريح له فى تقييم عهده أنه كان عظيم الأخطاء وعظيم الإنجازات بنفس القدر . . وأهم إنجازاته ، بناء السد العالى وبناء قاعدة التصنيع فى مصر وقيادة حركات التحرر فى المنطقة العربية ، وقيادة حركة استعادة الأمة العربية لمصادر ثروتها . . وأهم أخطائه حرب سنة ١٩٥٦ ، وهى هزيمة كاملة صورت لنا كأنها انتصار ، وجناية حرب يونيو سنة ١٩٦٧ ، وتبديد الثروات فى اليمن ، وقهر الحريات المدنية والسياسية ، واعتماد سياسة الحزب الواحد . ، وبنفس المنطق إذا سألتنى عن رؤيتى لعهد السادات الذى عاصرته أيضاً فى فترة الرجولة أو بداية الكهولة ، أقول إن السادات أيضاً كانت له سلبياته وإيجابياته ، أهم إيجابياته أنه تسلم مصر وهى محتلة فخطط لحرب أكتوبر وقادها وانتصر ، وأنه بدأ نظام التعددية السياسية فى مصر ، أى كان هدفه منه سواء كان هدفه الحصول على تأييد الغرب أو غير ذلك وسواء كان هذا عن إيمان أو غير ايمان ولكن لابد من الاعتراف له بفضل اعتماد التعددية السياسية وبداية إطلاق الحريات السياسية وحرية التعبير . . حتى ولو

كان قد ضاق بهذا بعد ذلك أو ارتكب تصرفات متعارضة مع هذا . .
من ايجابياته أيضاً الانفتاح الاقتصادى الذى شهده عصره والتحول إلى اقتصاد السوق ، كذلك فإنه كانت له رؤية مستقبلية تاريخية أتاحت له أن يستشرف قبل كثيرين من قادة العالم أنه ليس هناك قطبية ثنائية فى العالم إنما هناك قوة عظمى وحيدة الآن فلا داعى لمعاداتها إن لم يكن كسبها .

● هذه قدرة على التنبؤ السياسى الفذ ؟

ـ نعم هى فيها رؤية مستقبلية لم تتح لغيره من قبل ، وأدار سياسته على هذا الأساس . . أما سلبيات عصره فهى أيضاً كثيرة منها الاندفاع فى تطبيق سياسة الانفتاح الاقتصادى دون مراعاة لأثره على الحياة الاجتماعية فى مصر وعلى الفئات المحرومة ، كذلك فإنه عن إرادة أو غير إرادة سمح للطفيليين والمتسلقين الاستفادة من حكمه وذلك بفرض نوع من سيطرة رأس المال على الحكم وهو المبدأ الذى قامت ثورة ٢٣ يوليو لمحاربته ، وان حكمه فى مجمله على المستوى الاجتماعى لم يكن يدار لصالح الفئات العريضة المحرومة من الشعب ، سواء كان عن عمد أو عن غفلة . . ويرتبط بذلك أيضاً أنه كانت هناك غفلة عن نبض الشعب الحقيقى فى هذه الفترة . . وهذه الغفلة هى التى سمحت بقيام اضطرابات يناير سنة ١٩٧٧ . ، لكن نعود لنقول إن كل زعيم ينبغى أن يقيمّ فى إطار عصره وإطار المتغيرات الدولية والتحديات التى يواجهها ، وفى رأيى أن الرئيسين السابقين لمصر كلاهما أخلص لبلده وكلاهما حاول

جهد طاقته أن يخدم بلده فأصاب وأخطأ ، ولا نستطيع أن نصدر حكماً عاماً بإدانة هذا أو ذاك ، إنما نستطيع أن نتقبل من كل منهما إيجابياته وننكر عليه سلبياته .

● قبل أن أنتقل للسؤال التالى أود أن أبدى اندهاشى من تقسيمك للفترة من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٧٥ وهو تقسيم مخالف لكل التقسيمات المتعارف عليها ، وكان المفترض أن يكون التقسيم من سنة ١٩٥٢ إلى سنة ١٩٦٧ ومن سنة ١٩٦٧ إلى سنة ١٩٧٣ ومن سنة ١٩٧١ حتى الآن لكن لماذا من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٧٥ ؟

ـ أنا قسمتها على أساس بداية فترة الوعى عندى لكن ليس ذلك تقسيماً تاريخياً ، فهذه الفترة التى أستطيع أن أشهد عليها .

● أستاذ عبد الوهاب مطاوع تفضلت وأشرت إلى أن هجرة المصريين إلى دول عربية وإلى دول العالم المختلفة فى أوروبا وأمريكا وإيطاليا بدأت فى أعقاب هزيمة سنة ١٩٦٧ . . وأحب أن أعرف منك ـ من خلال نبض قرائك فى بريد الجمعة فى «الأهرام» ـ أثر ظاهرة الهجرة على الأسرة المصرية وعلى البيت المصرى وعلى الإنسان المصرى ؟

ـ هذا الأثر انعكس على الأسرة المصرية وعلى الحياة فى مصر انعكاسات متعددة، من الناحية الاقتصادية كان انعكاساً إيجابياً ، فتجد أسراً كثيرة أقيلت من عثرتها واستقرت مادياً وانتقلت إلى مستوى حياة أفضل ، حلت مشاكل الإسكان وغيرها ، انتعشت مادياً وظهرت

طبقة متوسطة جديدة انتقلت إلى الثراء المحدود فى فترة قصيرة . ، وعلى مستوى العلاقات الأسرية كانت هناك بعض الآثار السلبية نتيجة لغياب الزوج سنوات طويلة عن الأسرة ، بل غياب الزوجة نفسها ، تذهب هى فى إعارة للخارج ويبقى الزوج وأولاده فى الداخل ، لكن أبرز الظواهر سلبية هى ظاهرة الغياب الطويل للأب عن الأسرة ، الغياب الذى قد يطول إلى خمسة عشر عاماً تتخلله إجازات محدودة ، فينشأ الأبناء وهم شبه غرباء نفسياً عن أبيهم .

وأنا أعتقد أن وجود الأب إلى جانب الأبناء ضرورى - رغم شرف الدوافع التى تدفع الآباء إلى الهجرة - فليس الأب من ينفق إنما الأب من يعول ويربى ويعلم ويغرس فى أبنائه القيم ويضع فيهم الواعز الدينى ، ويحميهم ، فوجود الأب ضرورى وأساسى .

● قرأنا مرة مشكلة فى بريدك عن أب عاد بعد هجرة استمرت خمسة عشر عاماً فى إحدى الدول العربية ليجد نفسه غريباً وسط أسرته . . بل أن أبناءه كانوا ينظرون إليه على أنه إنسان غريب ليس له مكان بينهم ؟

- نعم وقد تعجبت لها والشكوى ليست من الأب العائد لكن من الأبناء الذين يشكون من وجود أب أصبح غريباً عنهم عاد بعد خمسة عشر عاماً بعد انتهاء عمله ليقيم بينهم ويمضى ساعات طويلة فى المنزل، عاد ليمارس سلطاته الأبوية متأخراً ؛ «أين تذهب؟» و«لماذا تخرج؟» فأصبحوا يضيقون بهذه القيود ، ثم ضاقوا بسلوكياته ، فهو إما

نائم أو يشاهد التليفزيون أو يقرأ الجرائد ، هذه حياته ، لكنه أصبح كالضيف الثقيل وأصبح موضع انتقاد . . ومرد ذلك إلى الفجوة النفسية التى حدثت بينه وبين أبنائه نتيجة غيابه الطويل عنهم .

لذلك فأنا أنصح الأسر التى تتطلب طبيعة عمل الأب فيها السفر بأن يجتمع شمل الأسرة معاً فى الخارج ، فإذا تعذر هذا ، ينبغى ألا يغيب الأب عن أسرته ـ بأى حال من الأحوال ـ عن ستة أشهر ثم يعود فى أجازة ولو على نفقته الخاصة .

● ونشأت هذه المشكلة الحادة التى لاحظنا تكرارها كثيراً فى بريد الأستاذ عبد الوهاب مطاوع . . هل أزعم أيضاً وأكون على حق إذا زعمت أن نسبة كبيرة من بريد قرائك تتعرض لأحوال شخصية والعلاقة بين الرجل والمرأة فى هذا العصر والمشاكل العاطفية والاجتماعية الناشئة عن العاطفة .

ـ صحيح لأن بريد الجمعة يختص بمشاكل الإنسان مع الإنسان . . وهذا للتمييز بينى وبين بريد الأهرام اليومى الذى يتعامل مع مشاكل الإنسان مع مجتمعه ككل ، مع الحكومة والإدارات والمرافق ، أما بريد الجمعة فينفرد بمشاكل الإنسان مع الإنسان والتى تندرج تحتها المشاكل العاطفية والإنسانية الوجدانية .

● إذن من خلال هذا ماهى شهادتك على هذا النوع من العلاقات فى مجتمعنا الآن ؟

ـ الإنسان ابن عصره وابن بيته وليس هناك عازل بين ظروف المجتمع الذى تعيش فيه وبين مشاكلك ونهجك فى الحياة، لأن الإنسان يؤثر ويتأثر ويتفاعل مع مجتمعه ويتفاعل مع العصر الذى يعيش فيه ، فمشاكل الإنسان مع الإنسان هنا تتغير من جيل إلى جيل ، ولو تلاحظ المشاكل التى عرضت فى بريد الجمعة نجد أن فيها موجات من المشاكل المتقاربة ، مثلاً منذ عشر سنوات كانت هناك موجة شكوى الأمهات والآباء من جحود الأبناء ، يمكن مع بداية التحول من مجتمع مقفول إلى مجتمع مفتوح ، ويمكن مع بداية تطلع الشباب للهجرة وتطلع الشباب للانطلاق للخارج ، بعد فترة كانت هناك موجة من مشاكل الزوجات اللائى يعانين من هجزة أزواجهم فترات طويلة دون العودة إليهم أو تحول مسئولياتهم إلى آخره . . ثم كانت هناك موجة أخرى من مشاكل تأخر سن الزواج عند الفتيات وعدم إتاحة الفرصة لهم فى الزواج ، وارتفاع صوت الفتاة مطالبة بحقها الطبيعى فى الزواج . . يمكن مثل هذه المشكلة لم تكن لتجدها من عشرين عاماً مطروحة فى أبواب الصحف ، وحتى لو كان وقتها ظهرت مشكلة فإنها كانت مشكلة فردية، غالباً ما كانت تخجل الفتاة أن تعبر عنها فى منبر عام ، الآن بعد انتشار هذه المشكلة وبعد تغير الأفكار ، أصبحت مشكلة موضوعية ، وأصبحت الفتاة تتحدث عنها بلا حرج ، وأنا أستقبل كثيراً من الفتيات اللاتى يطلبن مساعدتى فى إيجاد فرصة زواج لهم ، وأنا لا أعيب هذا عليهم بل أحترم فيهم هذه الواقعية وهذا التطلع المشروع إلى حقهم فى الحياة .

● أستاذ عبد الوهاب مطاوع تعودت على أن تستمع ، وتعودت على استقبال قرائك وهم يحضرون ليفضوا إليك هذا الإفضاء الحميم بمشكلاتهم ويسألونك عن حل لهذه المشكلة . . وفى أغلب الأوقات لايكون الهدف هو حل المشكلة وإنما مجرد الإفضاء بهذه المشكلة إليك ، فهل تلمس فى هذا ظاهرة معاصرة فى إنسان العصر فى أنه يحاول أن يجد مستمعاً يستمع إليه لكى يفضى إليه هذا الإفضاء الحميم ، هل أصبح إنسان العصر فى حاجة إلى أذن تسمعه ؟

ـ نعم ، أنا أتفق معك فى جزء كبير من هذا التحليل لأن ظروف العصر دفعت البعض إلى الانكفاء على أنفسهم ، ومعركة الحياة شغلت كثيرين عن أن يكون لديهم الوقت أو الاستعداد النفسى لاستقبال مؤثرات سلبية أخرى ، فكل إنسان يعانى فى حياته اليومية والخاصة وتشغله هموم كثيرة بما قد لايتيح له الفرصة لأن يكون على استعداد نفسى لأن يتحمل هموم الآخرين ، ودائرة الاستماع تضيق فى كثير من المجتمعات وليس فى مصر فقط ، فلو تلاحظ أن فى المجتمعات الغربية توتر الإنسان هناك قد يصل إلى الحد الذى لايتحمل معه أن تنظر إليه ولو لاحظ أنك تمعن النظر إليه يضيق بك .

● هنا أنت تذكرنى بموقف بطل رواية «الغريب» لألبرت كاميه الذى اضطر لأن يقتل إنساناً غريباً لايعرفه لمجرد أن ضوء الشمس زغلل عينيه فأحس بالضيق فأطلق الرصاص على أول عابر .

ـ هى ظاهرة ملموسة فى المجتمعات الغربية وفى مجتمعات الزحام

بصفة عامة ، الحقيقة أخلاقيات مجتمعات الزحام تفرض على الناس أحياناً سلوكيات غير طيبة ، ولعلك تلاحظ أنك عندما تكون فى سبيلك للمرور من أحد الأبواب أنت وشخص آخر فإنك ستقف لتدخله وسيفعل الآخر نفس الشيء كل منكما سيقدم الآخر على نفسه ، وتخيل لو أنكم خمسون فرداً أمام هذا الباب هنا لن يصبح هناك مجال كبير للإيثار ، يعنى قد لاتدفع الآخرين ولن تمنعهم لكنك لن تقدمهم عليك، هذا هو مجتمع الزحام ومايفرضه علينا ، والعيب ليس فى الإنسان لأن هذا الإنسان نفسه لو انتقل إلى الريف تعود له سلوكيات المجتمع الطبيعى . ، إذن فإن الفوارق ليست بين الأجيال فى الأخلاق بقدر ماهى فوارق بين البيئة الحضارية المزدحمة الصاخبة بإيقاعها السريع، وبين البيئة الريفية الهادئة بإيقاعها الهادىء . . وهذا على مستوى العالم كله ، فتجد اختلافاً بين أخلاق أهل المدن وأخلاق أهل الريف ، تجد سماحة أكثر لدى أهل الريف وتجد أهل المدينة أكثر جدة .

●●● الحل فى تنظيم الأسرة :

● هنا الأستاذ عبد الوهاب مطاوع يلتقى مع علماء الاجتماع الذين حللوا هذه الظاهرة ، ورصدوا ميكانزمات الزحام ومجتمعات الزحام والتكدس . . وطبعاً كلنا ملاحظون ان هذه الظاهرة أصبحت شديدة الحدة فى مصر نتيجة التكدس والزحام الشديدين بسبب ازدياد عدد السكان أو الانفجار السكانى الذى نعانى منه كثيراً ، والذى أسفر عن

مشكلات كثيرة لعلها أبرزت نفسها فى العديد من رسائل قرائك أيضاً فى بريد الجمعة ؟

ـ هذا صحيح ومن صورها الغريبة التصارع على السكن وتقطيع الأرحام وتمزق الأسر نتيجة للصراع على السكن ، فتجد الإخوة يتصارعون على شقة الأب أمام المحاكم ، وتحدث قطيعة بينهم وقطع لصلة الرحم ، لكن لو وجد هؤلاء أنفسهم فى مجتمع منبسط ما كان هذا حالهم ، لكن لأن هنا الصراع من أجل البقاء ومن أجل الحياة ، فإنه غالباً ما يؤثر على القيم بل ويدوس عليها .

●●● شهادة على المرأة المصرية :

● أستاذ عبد الوهاب مطاوع «افتح قلبك» هو عنوان أحد مصنفاتك الهامة عن العلاقة بين الرجل والمرأة فى هذا العصر وأنا بدورى أسألك أن تفتح قلبك وتذكر لنا أهم ما خرجت به من هذا البحث ، وشهادتك على المرأة المصرية بعد خروجها للعمل وأثر ذلك على الأسرة والمجتمع ؟

ـ أولاً أنا من المعجبين برأى المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة أستاذ الشريعة المعروف عن عمل المرأة وقد سجل هذا الرأى سنة ١٩٥٠ حين قال :

«تعمل المرأة لحاجتها للعمل أو لحاجة المجتمع إليها » . .

وهذا يلخص القضية كلها ، تعمل المرأة إذا كانت محتاجة إلى العمل

وهذا الاحتياج قد يكون احتياجاً مادياً أو نفسياً ، أو إذا كان المجتمع فى حاجة إليها . . إذن فالعمل حق المرأة لكنه فى رأيى ليس واجباً عليها ، والإنسان يستطيع أن يمارس حقه أو أن يتنازل عنه ، أما الواجب فلا يملك أن ينكص عن أدائه ، وأنا مع من يعطون المرأة حق ولست مع من يعتبرونه واجباً عليها ، لأن الواجب الأول للمرأة وهو الواجب الأعظم والأكبر ، هو تربية أبنائها تربية مثالية ، تربية تغرس فيهم من خلالها القيم والأخلاق والدين ، إذن مهمة الأم مهمة عظمى وهى فى رأيى أهم مهمة تقوم بها المرأة أو يقوم بها الرجل ، لذا فإن العمل حق للمرأة مالم يتعارض أو يؤثر على هذه المهمة الأساسية العظمى .

● لعلى لا أجانب الصواب إذا زعمت أننى لا أجد ظلالاً واضحة لقضية التطرف فى بريد أصدقائك على الورق فى بريد أهرام الجمعة ؟

ـ فى الحقيقة أنا تعرضت لها مرتين أو ثلاث ، منها رسالة كانت تحت عنوان «حادث الشاطىء» عن الزوجة التى تطرف زوجها أو غالى فى تزمته وألزمها النقاب ، ثم كانت معه على رمال الشاطىء وحل الغروب ورأت طفلة سقطت منها الكرة فى البحر فقامت لتساعدها فى إحضار الكرة لكن الطفلة فزعت منها وصرخت ، فحاولت الزوجة تهدئة الطفلة بأن كشفت لها وجهها ، فغضب الزوج لهذا أشد الغضب ، مع أن هذا كان للضرورة كما أن الوجه ليس عورة كما نعلم جميعاً ، فأنا عرضت هذه الرسالة وعلقت عليها وقتها ثم عرضت رسالة أخرى من هذا النوع .

●●● اليوم أفضل من الأمس والغد أفضل من اليوم :

● يقولون الشباب نصف الحاضر وكل المستقبل فكيف ترى مستقبل مصر من خلال شباب العصر باعتبارك رئيس تحرير مجلة «الشباب» وباعتبارك شاهداً على العصر ؟

ـ والله أنا أقول لك إننى أرى المستقبل أفضل من الحاضر . . وأرى أن الأجيال الجديدة سيتاح لها مالم يتح لنا من وسائل العلم ومن مستحدثات العصر ، وستتاح لهم بشكل أكبر فى المستقبل القريب لكن بشرط أن تحسن الأجيال الجديدة تنمية قدراتها ، وأن تعتمد فلسفة العمل ثم العمل ثم العمل . ، أنا لا أحترم إنساناً ليس يعمل ولا أحترم انساناً غير دقيق فى عمله مهما كان نوع العمل الذى يمارسه ، وأحترم إلى أقصى حد ممكن أن تتخيله الانسان الذى يجيد عمله مهما كان نوع العمل الذى يمارسه ، صغير الشأن أم كبير الشأن ، وأعتبر هذا الإنسان إنساناً متزناً ومتوافقاً نفسياً ويشعر بنوع من العزة الشخصية لأنه سيد عمله . .

●●● هتاف الأستاذ عبد الوهاب مطاوع :

● «هتاف المعذبين» هو عنوان اختاره الأستاذ عبد الوهاب مطاوع لمجموعة مؤثرة من بريد القراء ، فما هو الهتاف الذى تنهى به هذه الشهادة ؟

ـ «هتاف المعذبين» كان عنوان أحد كتبى وهو تنويع على عبارة للراحل د . سيد عويس ـ رحمه الله عليه ـ «هتاف الصامتين» وكان مقصوداً منه هتاف المعذبين الصامتين .

ما أريد أن أنهى به هذا اللقاء هو عبارة موجزة أستعيرها من الكاتب الروسى العظيم دستوفسكى وأقول فيها «إن الحياة ليست أهلاً للاستهانة بها والازدراء ، وإن الموت ليس أهلاً للتخوف منه والتوجس» .

وعندما تفكر فى هذه العبارة تجد أنها تطالبنا بالكثير . . تطالبنا أن نعطى الحياة حقها من العمل والإخلاص والسعى الدؤوب لترقيتها ولتيسيرها على الآخرين وعلى أنفسنا ، وتطالبنا بالعمل الدؤوب على تخفيف آلام الحياة على المعذبين كى نصل بالحياة إلى المثال الذى أراده الله سبحانه وتعالى للإنسان الذى لم يخلقه ليشقى ، إنما ليسعد وليعبد الله ويذكر اسمه كثيراً ، تطالبنا بأن نجعل الحياة أكثر إنسانية وأقل بهيمية وحيوانية ومادية مما هى عليه !

أمينــة السـعيد



شاهدة على المرأة فى نصف قرن

تاريخ التسجيل ١٩٨٣

★ **حقيقة :**

الطلاق نعمة وتعدد الزواج ضرورة إنسانية

★ **مبدأ العصر :**

أنا وبعدى الطوفان !

★ **معلومة من شباب العصر :**

هدى شعراوى راقصة شهيرة من العهد الماضى !

★ **شىء لزوم شىء :**

التريكو لزوم المرأة العاملة !

★ **اعـــتراف :**

سرعة الغضب ، العنف والتدخين بشراهة

.. صفاتــى !!

تصافح عيوننا كل صباح عشرات المقالات والموضوعات التى تكتبها أديباتنا وصحفياتنا ، ولا نجد فى ذلك أمراً غريباً ، وربما يقودنا هذا التعود إلى أن ننسى أنه منذ نصف قرن فقط ، كان اشتغال المرأة بالصحافة مجرد حلم يراود الكثيرات ، إنها مجرد ملاحظة تصلح عنواناً لموضوع أكبر عن التطور الاجتماعى فى مصر وتغير النظرة إلى المرأة ، وهذا ما نطمع فى تحقيقه من خلال هذا الحوار الممتد مع رائدة أسهمت فى شق صخور هذا الطريق الذى أصبح الآن ممهداً . . .

●●● شاهد حزين كسير القلب :

● أستاذة أمينة : فى هذا البرنامج نتعرض للظواهر السياسية والفكرية والاجتماعية ومختلف أنواع الظواهر التى تسود هذا العصر الذى نعيشه ، فبداية ماهى ملاحظات الكاتبة الكبيرة أمينة السعيد على هذا العصر الذى نعيشه ، وماهى الظواهر التى ترصدينها . . ؟

ـ إذا كنت تقصد أن تجعلنى شاهداً على العصر فيؤسفنى أن أقول لك بكل قلب حزين : إننى شاهد حزين كسير القلب بعد أن رأيت فى شبابى ـ والنهضة لاتزال فى بدايتها ـ رأيت أعظم من هذا كثيراً .

●●● ما وراء هذا الحزن ؟

● أستاذة أمينة السعيد ، هذا الحزن الذى غلب على نظرتك له مبرراته وله أسبابه ، ولاشك أن له رصيداً من الظواهر التى رصدتها فجعلتِ نظرتكِ تتسم بهذا الحزن والتى نحب أن نعرفها ؟ .

ـ عندما كنا شباباً ، كان للشباب رسالة ، ورسالة عظيمة جداً ، رسالة وطنية دينية نحو الله . فكان يؤديها وهو مستعد أن يضحى بدمه وحياته فى سبيلها ، اليوم الشباب عندنا سواء كانوا رجالاً أو نساء ـ والنساء يؤسفنى أن أقول إن حالهن أسوأ كثيراً ـ أصبح بلا رسالة ، شباب ضائع غير مبال . وأنا أقول هذا الكلام وأنا أعلم كم هو قاسٍ ، لكن يمكن أولادى الشباب يتحملوه من امرأة مثلى لم ترد فى حياتها إلا الخير .

● ولكن هل نحمل الشباب مسئولية هذا يا أستاذة أمينة ؟ هل هى مسئولية الإبن الذى انحرف أم الأب الذى ربى ؟

ـ والله إذا أردت الصراحة المطلقة ، فالشباب ضحية العصر ، ضحية من وجَّهوه هذا التوجيه ، . ضحية من فرضوا عليه أن يكون إنساناً غير مبالٍ ، بليداً ، هازلاً ، يريد أن يضحك ويلهو ، فلا يوجد إنسان يولد هكذا ، ولايوجد جيل يولد بهذه الصفات ، إنما نحن الذين نوجه الشباب ونفرض عليهم أخلاقيات وظروفاً معينة . . . !

●●● شباب غير مبالٍ :

● إذن السمة الأولى التى ترصدها الأستاذة أمينة السعيد هى أن إنسانا غير مبالٍ بمعنى أنه لايفكر إلا فى ذاته فقط ؟

ـ نعم ، كل ما يريده هو أن يتعلم بأسرع ما يمكن ، وأن ينال شهادته بأى ثمن حتى ولو كان الغش وسيلته ، ثم يريد من القوى العاملة أن توظفه ، وما أن يحصل على الوظيفة حتى يبدأ فى البحث عن وظيفة أخرى فى البلاد العربية كى يحصل منها على مبالغ تمكنه من شراء سيارة ومسكن .

●●● الشباب والعصر :

● أستاذة أمينة السعيد هذه هى السمة الأولى التى تقدمينها اليوم من ملاحظاتك ، فما هى بقية الظواهر التى ترصدينها أيضاً فى هذا العصر ؟

ـ إن هذا الجيل لم يعد يقدر البطولة ولا الزعامة ولا القيادة ، كل هذه أسماء اختفت ، والسبب أننا مررنا بفترة من الزمن محيت فيها هذه الأسماء ، وأبعدت عن أذهاننا أسماء الزعامات والقيادات والبطولات التى ضحت وخدمت وسجنت ونفيت ، كل هؤلاء الذين تعبوا فى سبيل مصر وضحوا من أجل حرية مصر بدمهم وبدينهم وإيمانهم ، أقباطاً كانوا أو مسلمين . . أنا اليوم أتحدى إذا كان هناك شاب صغير تسأله عن سعد زغلول ويعرفه ، أو عن من هى هدى شعراوى ويجيب ! وأذكر أننا فى امتحان قبول لبعض الوظائف الهامة وكنت أنا عضوة فى لجنة الامتحان ، سألنا المتقدمات : «من هى هدى شعراوى ؟» . . فأجابت إحداهن بأنها ، «راقصة من العهد الماضى ، راقصة شهيرة من العصر الماضى» وأخرى قالت ، «مطربة من العهد العباسى !» .

إلى هذه الدرجة !! فكيف أنا يا أمينة السعيد ، اكتسبت رغبتى فى الكفاح والنضال ؟ لقد اكتسبتها من هدى شعراوى ، رأيت امرأة تحدّت العصر كله ، ووقفت أمام الجميع من أجل مصر وحرية مصر ، وكانت على استعداد أن تموت من أجل ذلك .

لقد ربيت فى ظلها ولذا عرفت قيمة الوطن ، وماهو الوطن وماهى حرية المرأة ، وماهى كرامة المرأة ؟ وكيف أدافع عنها وكيف أرضى عن كونى امرأة ؟ وألا أقول ، لم يا ربى خلقتنى امرأة ، . ياليتك خلقتنى رجلاً !! لكن لقد اختفى هذا الرمز العظيم الذى كان يوحى إلينا بالوظيفة وبكل شىء . .

لقد كانت هدى شعراوى تقف أمام الملك فيرتجف أمامها . وكانت الوحيدة فى مصر من النساء التى وقفت أمامه وعارضته وحاربته وكافحته وقالت له فى وجهه إنه يرتكب الأخطاء الجسام ، ويوم طلق زوجته «فريدة» قالت له : «إن جدك لم ينته عهده ولا انطفأ نجمه إلا عندما طلق زوجته الأولى أم أولاده !» .

استطاعت أن تقول له هذا فى وجهه ـ فعندما يختفى هذا الرمز ، ماذا أنتظر من بنات هذا الزمن ؟ أنتظر منهم تقليد ماذا ؟ مؤكد سيقلدون أشياء «جميلة» من السينما والتليفزيون ! لأنهم لم يروا ماهو أفضل من ذلك ، وهذا هو النموذج الوحيد المطروح أمامهم .

●●● هدى شعراوى راقصة من العهد الماضى :

● إذا كان السؤال عن السيدة هدى الشعراوى صعبا عليهم وأخطأوا فى إجابتهم ماذا كان عساهم يفعلون لو سألِتهم عن « عبد الحكيم الجراحى » أو غيره ؟

ـ عبد الحكيم الجراحى هذا كان طالباً زميلنا فى كلية الآداب . . وعندما قمنا ضد صدقى باشا عندما ألغى الدستور وأعمل الديكتاتورية . . وأردنا كطلبة أن ندافع عن الديمقراطية فى مصر بدمنا وعبرنا كوبرى عباس فضرب بالرصاص بين من ضربوا ومات فأقمنا له شاهداً فى حرم الجامعة ، والجامعة احتضنت هذا الشاهد وباركته ، والشاهد هذا عبارة عن قطعة من الرخام مكتوب عليها : «استشهد زميلكم «عبد الحكيم الجراحى» فى يوم « . . . . » أثناء اشتراكه فى مظاهرة ضد الاستعمار » . . ووضعت هذه الذكرى ليجىء كل جيل ويقرأها ليشعر الشباب أنه كانت هناك بطولة فى شباب مثلهم . ، إلى يوم عدنا من الأجازة الصيفية لنبحث عن هذا الشاهد فلا نجده ، فنسأل عن سر اختفائه . ، والإجابة أن هناك أوامر صدرت بهذا ، لماذا وهذا الشاهد شىء عظيم ومثير للعزائم والهمم ، شىء يوجد الوطنية والفخر فى قلوب الشباب ؟ ولكن لم نتلق أى إجابة . . ومن يومها اختفى «عبد الحكيم الجراحى» بذكره ، بشاهده بموضته والتى كانت موضة البطولة العظيمة ، واليوم لو سألت أى شخص حتى من الذين تخرجوا من عشرين عاماً عن عبد الحكيم الجراحى فلن يعرفه ! !

●●● العودة إلى الخلف:

● الأستاذة أمينة السعيد ، أرجع مرة أخرى إلى المقدمة التى قلناها فى بداية هذا الحوار ، وكنا قد تكلمنا فيها عن المرأة وعمل المرأة واستقلالها ، واسأل الأستاذة أمينة السعيد بعد هذا الشوط الكبير الذى قطعته فى الصحافة وفى العمل ، ما تقييمك لمكانة المرأة المصرية الآن . . وما تحقق لها من واقع تجربتك والواقع الاجتماعى القائم ؟

ـ المفروض أنه فى كل حركات التقدم الحضارى ، أن يضيف كل جيل جزءاً لما بناه الجيل الذى سبقه ، لكن ماذا حدث عندنا ؟ الذى حدث أننا بنينا وبنينا واذا بالأجيال التى جاءت بعدنا كلها ، تجىء لتنزع جزءاً وتهدم جزءاً . . فكنا نعمل كى نحقق ذاتنا ونحقق وجودنا ، اليوم الذين يعملون ، لماذا يعملون ؟ «ياعينى بتبقى جايه داخلة تشتغل واخدة التريكو بتاعها . . أهى أيام بتقضيها لعلها لمّا ربنا يديها إبن الحلال بعد كده تتجوز يعفيها من مهمة الشغل دى وتقعد وترتاح . . واللاّ أنا غلطانة» .

أما الرجال الذين كانوا يحيوننا ويصنعون أبطالاً منا ، كقولهم ، انظروا أمينة السعيد أول صحفية ، وسهير قلماوى أول أديبة ، نعيمة الأيوبى أول محامية ، اليوم الشباب أمثالهم ، يقولون : «ايه المسخره دى» ؟ وما حكاية عمل المرأة هذه ؟ «طلعوا النساء من الجامعة ، احرموهم من الوظائف ! !» .

● نعم هناك فعلاً أصوات ارتفعت لتطالب بعودة المرأة إلى البيت ـ وكما قلت لحضرتك إن هذا الحوار صريح . . أى أنه من الممكن أن أختلف معك فى الرأى . . وهذا ممكن لأن هناك نماذج عديدة لسيدات لم يكنّ على مستوى الحرية التى منحت لهن . . ما تعليقك ؟

ـ ماذا تقصد بقولك إنهن ليسوا على مستوى الحرية ؟ نعم هن يتعاملن مع الوظيفة على أنها وسيلة مؤقتة ، كما أن مخّهن لم يعد صافياً للرسالة . . مثلهم فى ذلك مثل الشباب ، لكن أن يقال «إبعدوا النساء عن الوظائف» لماذا أبعدهم ؟ . . يعنى لما تقعد فى البيت تعمل إيه بعدما يدخل الأولاد المدارس ، كلنا نلحق أطفالنا فى الحضانات فى سن الثالثة أو الرابعة ، مش كده ؟ طيب بعدما أدخل أولادى الحضانة أقعد أعمل إيه ؟ أكنس ؟!!

●●● الحضانة بديل للبيت الهزيل :

● لكن هل الحضانة تقوم مقام الأم يا أستاذة أمينة؟

ـ والله أحياناً نعم ، واقرأ الكتب تجد أنه أحياناً عندما يكون البيت هزيلاً وضعيفاً تكون الحضانة أكثر فائدة للطفل تربوياً . . ونحن عندنا فى عمومه هزيل وضعيف ، لأن ٨٠ ٪ من نساء مصر أميات ، وكيف للأمية أن تستطيع أن تخلق من الطفل شيئاً يستحق الوجود ؟ فهى معذورة ، مسكينة غير قادرة . . ٨٠٪ وأكثر من نساء مصر أميات فكيف تستطيع هذه الأم أنها تنصرف إلى البيت لتربى أولاداً وأجيالاً ؟

● لكن أعتقد أنه لايجب أن يكون البديل أن تذهب المرأة إلى العمل ومعها التريكو كما لاحظتِ أو أن تهمل بيتها مثلاً أو أن يكون اهتمامها بالعمل على حساب بيتها ؟

ـ لكن ليس معنى هذا أن نحرمها من العمل تأديباً لها ، إنما يجب أن نصلح من تفكيرها وأهدافها ونعلمها قيمة العمل وكرامتها التى تستمدها من هذا ، وكيف أنها من خلال هذا تثبت وجودها كإنسانة لها احترامها فى البلد وليست مجرد كم مهمل .

●●● العمل للمرأة والرجل «واجب وشرف» :

● لكن يا أستاذة أمينة هل تلاحظين أن المرأة العاملة المعاصرة تستطيع الجمع بنجاح بين العمل والمنزل ؟

ـ جداً ، جداً ، إنها تستطيع الجمع بينهما وأقول لك إن بعض السيدات قد تحتاج إلى من يساعدهن لفترة . والقانون يقول إن المرأة العاملة عندما تنجب تستطيع القيام بأجازة ٤ سنوات بلا مرتب وتنصرف إلى تربية طفلين ، وعندما يدخلون الحضانة تعود مرة أخرى للعمل ، والدستور ينص على أن «العمل للمرأة والرجل واجب وشرف» .

فالعمل إلزام دستورى ، إلزام إنسانى حضارى ، فلماذا أقعد فى البيت ؟ أعمل إيه ؟ أنا فى كثير من الأحيان عندما كنت أمر بسيارتى فى الصباح ـ وأنا فى طريقى إلى دار الهلال ـ على محطات الأتوبيس ، كنت أجد سيدات ينتظرن الأتوبيس . . فكنت أعرض عليهن توصيلهن . .

فكنت ألاقى بعضهن داخل «بسبت» خاص بالتسوق ! فكنت أسأل عن سبب حملهن للسبت ، فيقلن لى إنهن ربات بيوت ونازلين يتسوقوا ، فكنت بكل وقاحة أدبية مؤدبة أقول لهم ، «بره عربيتى» ، وأقول لهن أنا بأوصل السيدات العاملات لأساعدهن ولكنى لا أساعد الست اللى من الساعة الثامنة صباحاً نازلة تدور على المحلات وتشترى وتنافس الغلبانة أو الغلبانِ اللى عايز مكان فى الأتوبيس يقف فيه !!!

●●● كيف يمكن للمرأة الجمع بين مهنتين ؟ :

● لكن أستاذة أمينة ، نجاح المرأة فى الجمع بين البيت والعمل وقيامها بعملين فى وقت واحد ، الوظيفة وعمل كبير أيضاً فى البيت ، ألا يحملها ذلك عبئاً إضافياً ؟

ـ فلنتحدث بصراحة ، أُنظر إلى العالم المتحضر لا المتخلف ، العالم المتحضر الذى سحق الدنيا بقوته وتغلب ووصل إلى القمة ، تجمع نساؤه مابين وظيفة العمل والكد والإنفاق على بيوتهن ، ووظيفة ربة البيت . ويجدن كل التسهيلات من الدولة ، اليوم الفريجيدير هناك يباع بقروش ، كل الأجهزة المعمرة فى متناول الجميع ، وتعطى بقروش قليلة وعلى أقساط أيضاً لأنها ضروريات . كذلك الطعام تجد هناك مصانع تعد لهم، الخضار منظف واللحم مقطع وكله جاهز ، كل هذا ماهو إلا تسهيل على المرأة ، ونحن ألا ينص دستورنا على أن واجب الدولة أن تقوم بكل الجهود التى من شأنها تسهيل العمل للمرأة ؟ . . مهمة الجمع

بين الوظيفتين ، وظيفة العمل خارج المنزل والعمل داخل المنزل ؟ الدستور ينص على هذا لكن أين هذا ؟ الثلاجة اليوم تعتبر رفاهية ومن يشتريها فربنا راضٍ عليه ، والثلاجة ليست رفاهية بل ضرورة حتى فى البلاد الشيوعية ، كل هذه الأشياء ضروريات، المكنسة الكهربائية ليست بموضة ، المكنسة الكهربائية جهاز لشفط التراب بدل ما الست تفضل منحنية بالمقشة لما تكسر ظهرها ، . الغسالة الكهربائية بدل ما الست تقعد عند الطشت ، لكن هذه الأشياء غير موجودة عندنا وأسعارها مرتفعة جداً ، بل تعتبر رفاهيات لذلك ليست فى مقدورنا ولذلك علينا نحن أن نسهل هذه الأمور حتى لايكون الحمل مضاعفاً على المرأة العاملة .

فى أمريكا وفى كل دول أوروبا ، المرأة فى طريق عودتها من العمل تشترى الطبق المطبوخ frozen food وتضعه فى الفرن ليصبح بذلك لديها وجبة متكاملة ، يبقى حتقعد هى وزوجها يأكلوا أكلة رائعة ، والزوج لايطلب من زوجته كوباً من الماء بل يجىء يوم الأحد ويعتبر نفسه المسئول عن تدليل زوجته لأنها تعمل مثله . . بالإضافة إلى واجبات المنزل فتجده يوم الأحد يجهز لها الإفطار ، يعمل أى حركة مجاملة ، لكن للأسف هذا لايحدث عندنا ، حتى تعليم الأولاد ومذاكرتهم مسئولية الأم ولو حدث أن طلبت الأم من الأب معاونتها فى هذا الأمر ، لاتلقى إلا الرفض ويقول لها : «دى مش مهمتى» . مش مهمته ، أمال مهمته إيه ؟

●●● دور المرأة تجاه المجتمع المعاصر :

● أستاذة أمينة الحقيقة هذا يأخذنا إلى موضوع هام جداً . . وهو يتعلق أيضاً بدور المرأة فى هذا العصر الذى نعيشه . . فى الظواهر الأساسية التى طرأت على المجتمع أيضاً ، وأصبحت جزءاً من المجتمع المعاصر الذى نعيشه .

- المرأة المصرية لها دور كبير فى كل هذه القضايا وإن كانت المرأة لاتعى ذلك لأنه ليس هناك من يوعيها . مطلوب منها أن تكون أنثى ، أن تكون رقيقة وناعمة وضعيفة ، لا تتناقش فى أى موضوع وخاصة المواضيع السياسية لأنها عندما تفعل ذلك يقولون هذه المرأة «مسترجلة» .

فكرة الأنثى عندنا فكرة هزيلة جداً لأنهم يريدون للمرأة أن تكون ضعيفة مستضعفة ، وقد حدث أننى دعيت فى الشهور الأخيرة إلى أكثر من اجتماع نسائى لبعض الهيئات النسائية الكبرى والتى يفترض فيهن أنهن على مستوى اجتماعى عال ، ولكنى شعرت بغربة بينهن فسألتهن : «إيه الحكاية ، كلكم مرتاحات كأنه لاهموم عندكم أبداً ، ماكياج كامل يستغرق ساعات ، وهذه الملابس ، وتقولون إنكم تقومون بعمل اجتماعى؟ ماهذه العقول ؟ قولوا لى ماذا تفعلون لمصر ؟ وماذا تفعلون إزاء مشاكل مصر ؟ ماذا فعلتم إزاء الأمية ؟»

ولم أتلق أى رد بل وقالوا : «ماذا عسانا أن نفعل ؟» . . قلت لهن :

«إن الأمية تمثل ٨٠٪ بين النساء وهذا سبب من أسباب تدهور الحضارة عندنا ، قولوا لى مـاذا فعلتم ؟ ماذا فعلتم من أجل نظافة البلد التى كانت تحفة فى الجمال وكانوا يسمونها «باريس الـشرق» القاهرة . . ألا تتذكرها؟ . . أنا عشت فى مصر عندما كانت كالزهرة ، وأتذكر أننى عندما سافرت إلى فلسطين قبل قيام الثورة العربية الفلسطينية ـ والتى كانت من نتائجها تقسيم فلسطين مابين اليهود والعرب فى الثلاثينيات . . فعندما سافرت تجمع هناك حولى مجموعة من اليهود وقالوا لى «تعالى شوفى تل أبيب» قلت لهم «ليه؟» قالوا لى لأنها مدينة حلوة جداً ، قلت لهم إننى قادمة من القاهرة فهل عندكم ماهو أجمل من القاهرة ، فلم يستطيعوا الإجابة ، فقلت لهم خلاص السلام عليكم ، ولذا أقترح أنه بدل آلاف الجمعيات لنظافة القاهـرة نقوم بتنظيف القاهـرة بالجهد الذاتى .

●●● الخدمة العامة لمحو الأمية :

● كانت هناك فكرة يا أستاذة أمينة أن مشروع الخدمة العامة يتحول إلى عملية محو الأمية بكاملها .

ـ هذا كان ممكناً لو ركزت الخدمة العامة هذه على محو الأمية لاتتصور كنا استطعنا أن نمحوها فى سنة واحدة مثل كوبا ، كوبا محت الأمية فيها بأن جندت كل خريجيها ومتعلميها لمدة عام ومحت كل الأمية من بلدها وكذلك الحال فى كوريا والصين وغيرهما .

●●● المرأة والانفجار السكانى :

● أعتقد ظاهرة الانفجار السكانى أيضاً ـ وهى ظاهرة حديثة أو قريبة العهد من المجتمع المصرى ـ أعتقد أن للمرأة المصرية دوراً سياسياً فيها ، لم تفعل حياله شيئاً ملموساً حتى الآن بل يمكن أن تكون هى العقبة الرئيسية أمام وقف الانفجار السكانى .

ـ المرأة مثل الرجل وكلاهما مسئول ، لكن المرأة عندما تكون جاهلة وغالباً ما تحاول أن تحمى نفسها أو بمعنى أصح تحمى وجودها العائلى بأسباب بدائية جداً . . ونحن عندما كنا نطالب بتعديل قوانين الأسرة ، كنا نريد للأسرة أن تكون متوازنة وأن يتوفر لها أسباب الحماية بين أطرافها أى أن يعيش كل طرف فيها وهو آمن مستقر فيقوم بواجبه على أكمل ما يكون . لم نقل أبداً الغوا الطلاق ولا تعدد الزوجات ، الطلاق نعمة فى كثير من الأحيان ، تعدد الزواج ضرورة إنسانية ، عندما تمرض زوجة ويرفض زوجها أن يجرحها ويتركها بدون عائل فيتزوج من أخرى ، أليست هذه حالة إنسانية ؟!

وهناك العديد من هذه الحالات ، وأنا أعرف أمثلة لذلك حدثت فى محيط أصدقائى ، على سبيل المثال كان هناك سيدة على أعلى مستويات التعليم ، تعرف عليها إخوتى فى انجلترا ، تعلمت هناك وأخذت شهادتها من جامعة لندن وعادت ثم تزوجت من رجل متزوج ، فغضبنا منها أشد الغضب ثم اكتشفنا أن هذا الوزير الذى تزوجها ، زوجته

كانت مصابة بانهيار عصبى وتقيم فى مستشفى للأمراض العقلية منذ سنوات ، وأن أطفاله لا يجدون من يرعاهم ، فهى راحت وتزوجته وهى تعلم ذلك ، وقبلت وعاشت معه إلى أن ماتت . . ولقد رأيت أولاد هذا الرجل وهم يبكون على وفاتها كأنها أمهم أو أكثر . . !

● من أجل هذا كانت حكمة الإسلام فى أن يبيح تعدد الزوجات ؟

ـ نعم لكن من المنطلق الذى ذكرته لا من منطق «أنا زهقت من البامية آكل ملوخية» . لأن هذا مفهوم خطأ ويتنافى مع ماحلله الله لنا .

● إذن المرأة المصرية لاتقوم بدور فى المساهمة فى المشكلة السكانية وتنظيم الأسرة ؟

ـ المرأة المصرية تخشى أن تتوقف عن الإنجاب فيتركها زوجها ويقول : «دى عجزت بقى ومبقلهاش فى العيال» . لذلك تجدها دائماً عايزة تشغله ، عايزة تصرفه كل مايملك ، مش عايزة تسيب له لاثمن مهر لأخرى ولا فرصة لفتح بيت آخر .

● هذا ما تفعله المرأة غير المتعلمة ومستحيل أن تفعل أى متعلمة هذه الأشياء ؟

ـ ممكن للمتعلمة أن تفعل ذلك إن لم يكن تعليمها أصيلاً ! !

●●● استقاء المعلومات من الأمثال الشعبية :

● أستاذة أمينة أيضاً أمثالنا الشعبية لها دور كبير فى ترسيخ هذه

المعتقدات لأننا لو تكلمنا فى حدود المرأة غير المتعلمة نجد أنها تتعلم من الأمثال الشعبية ومن حكمة الأجيال السابقة .

ـ «قرطف جناح طيرك لايلوف على غيرك» . أليست هذه المقولة ترجمة لهذا الموضوع الذى أتحدث عنه ، تريد أن تجرده من كل ما يملك حتى لايتركها لغيرها .

● **وحب الذكور يعنى قالوا «لى ولد ظهرى به انسند» أو شىء من هذا القبيل . .**

ـ نعم وأنا أذكر أننى عندما أنجبت إنجى ابنتى ، أول بنت وذهبنا الأرياف فرفضوا أن يقولوا لزوجى «أبو إنجى» أبداً اعتبروه لم ينجب ، لم يعترفوا بالأنثى ، اليوم يحدث العكس ، تجد فى كل بيت واحدة تعمل وتصرف على أبيها وأمها فأصبح للأنثى اليوم دور كبير جداً فى المجتمع ، بدأوا يعترفون بالبنت .

●●● تغيير نظرة المجتمع إلى المرأة :

● **إذن تغيرت نظرة المجتمع تغيراً جذرياً ؟**

ـ نعم ، هذه حقيقة ، فعلاً تغيرت نظرة المجتمع إلى المرأة ، فكل منزل أصبح الآن يستفيد من المرأة العاملة .

● **إذن فقد غيرت المرأة العاملة المتعلمة نظرة المجتمع إلى المرأة ؟**

ـ الفائدة التى عادت بها على بيتها ومجتمعها ، هى التى وراء هذا

التغير ، تلك الفائدة التى عادت بها على بيتها ومجتمعها ، العائد الذى كرسته لمساعدة أبيها وزوجها و إخوتها الأيتام ، وأمها الأرملة ، وهذا ما جعل للبنت قيمة . . والآن يقال إن البنت أحن من الولد ، لماذا ؟ لأن البنت بتصرف من قلبها على أهلها ، أما الولد فيقول : «ما أنا أروح أتزوج واجعل لى أسرة مستقلة أحسن » .

● إذن فنحن بهذا المثل نقدم للمرأة غير المتعلمة الأمية ، نصيحة بأنها لابد وأن تتعلم ، لأنه كما قلنا إن المرأة المتعلمة غيرت نظرة المجتمع لها وأصبح يكن لها عظيم الاحترام والتقدير وارتفعت مكانتها الاجتماعية ، إذن فلابد للمرأة أن تتعلم ؟

ـ نعم لابد أن تتعلم ولابد أن يكون لها أيضاً مكانة عظيمة فى البلد وأن يكون لها رسالة ، وألا تستهين ، كما يجب أن تعتبر نفسها جزءاً لايتجزأ من وطنها العزيز ، والأهم ألا تكتفى بمجرد هز الأكتاف عندما يحدث أى شىء يسىء للوطن .

● من هذه الكلمات أو الجملة السابقة للأستاذة أمينة السعيد يعن لى الآن سؤال وهو : «نحن الآن نلمس جميعاً الظاهرة الاستهلاكية التى تفرض نفسها على حياتنا ، ونجد الناس يجروا ليشتروا أى شىء وبأى مبلغ ، فما هو تعليقك على هذا ؟»

ـ يتخيل أنه لو لم يأكل اليوم لن يجد ما يأكله غداً ، لذا فنازلين أكل وأخذين فى إهدار النقود فى أشياء استهلاكية لا أثر لها فى حضارة البلد

ولا حتى فى مصيرهم هم أنفسهم ، ألا تعتقد أن من الأفضل أن أفعل شيئاً لتأمين مستقبلى ومستقبل أسرتى ؟ أليس من الأفضل أن أدخر بعض النقود لأشترى شهادات استثمار لتأمين شيخوختى ، وهذا بالطبع أفضل كثيراً من أكل اللحم يومياً ! !

ـ يا ريت لحمة ، لحمة ومثلجات ومشروبات وأشياء من هذا القبيل، ومن غير المعقول أن تهدر نقودنا على مثل هذا الاستهلاك ؟ ! !

● وتغيير هذا النمط الاستهلاكى أليس للمرأة فيه ضلع كبير ؟

ـ نعم ، لكن عندما ينظرن إلى مشروع من المشروعات التى يساهمن فيها بأى ادخار ، ويجدن منحرفين . . فينصرفن عن هذه المشروعات ويقلن : «ولماذا نتعامل مع هؤلاء المنحرفين ؟» وهكذا تنتهى الفكرة من أساسها ، فحتى لو كانت العملية صادقة ومحترمة فإن عملاً واحداً سيئاً يهدم قيمة العمل الطيب بل يهدم الفكرة من أساسها . .

● الكاتبة الكبيرة أمينة السعيد أريد أن أسألك عن موضوع يشغل بال الكثيرات والكثيرين الآن وهو حيرة الشباب بين الأخذ بالتقدم الغربى وحضارة الغرب التى انفتح المجتمع عليها وبين التمسك بتراثهم وتقاليدهم الأصيلة ؟

ـ هم معذورون فهم لايجدون حلاً وسطاً ، فنحن لسنا بقادرين أن نصل بهم إلى المستوى الحضارى الوسط الذى يجدون فيه فائدة ، نحن غير قادرين على أن ندلهم على وسيلة تمكنهم من التمسك بتراثهم

وكذلك مواكبة الحضارة ، فهم يجدون من ينهاهم عن الانسياق وراء الحضارة وآخرين يحثوهم على الرقص والأخذ بكل ماهو جديد ! !

● نحن نريد الإنسان المصرى الذى يحتفظ بدينه وتقاليده وأخلاقياته الأصيلة ؟

ـ نعم نحن نريد التوجيه الدينى الأصيل ، نريد هؤلاء الذين يستطيعون أن يعرفوا الناس أنه من الممكن للدين أن يواكب الحضارة بل أنه من الممكن أن يسبقها أيضاً ! ! ولذا فإن الشباب معذور فى هذه الحيرة التى يعيشها فهم يعيشون زمن التمزق ، لايوجد فيه نمط قائم بذاته بين الثقافات . . . !

● فى وقت من الأوقات كان العالم الإسلامى أيضاً يأخذ من حضارتين كبيرتين هما ، البيزنطية والفارسية وإن كان لم ينهزم أمامهما لأنه واثق من نفسه وكان يقف على أرض صلبة ، ولم يكن يعرف الضعف . . . !

ـ نعم ، ففى الإسلام أشياء مثل الشهامة ، الفروسية ، العمل ، الكفاح ، ديننا جمع القيم الروحية مع الدنيوية ، فأرانا كيف نعمل دنيا ودين . . وكان ممكناً أن نصل به إلى نتائج عظيمة جداً ، نعود ونقول إن شبابنا لم يجد من الآباء والأمهات أى بادرة لتعليمهم هذه القيم .

●●● الحجـاب :

● أعود لمشكلة الزى ، زى المرأة العاملة أو الفتاة الآن . . وأنت قد أشرت إلى مسألة الحجاب ؟

ـ أنا أقول لك . . لو قرأت القرآن تجد أنه لم يضع زياً معيناً للمرأة المسلمة أبداً إنما هو دعا إلى الاحتشام .

● لكن هناك نقطة مهمة هنا لابد وأن أضيفها وهى أن المصدرين الأساسيين هما القرآن والسنة . . والرسول عليه صلوات الله وسلامه يقول فى حديثه الشريف :

«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً ؛ كتاب الله وسنتى . »

ـ أنا سمعت أكثر من رجل دين من خلال أحاديث إذاعية وتليفزيونية يقول : إن الإسلام لم يشترط زياً معيناً للمرأة ، إنما طلب الإسلام الاحتشام ، كل زى محتشم فهو زى إسلامى . . عندما أكون أنا كما ترانى أرتدى كم طويل ورقبة عالية فهذا فستان حضارى وإسلامى . . إذن يجب أن نكون فوق مستوى التطرف ونفهم أن الدين الإسلامى يطلب الاحتشام .

● لكن أنا أيضاً لا أستطيع أن أساوى بين الفتاة المحجبة والفتاة المتبرجة ونعتبرهم طرفى نقيض ، لايمكن مساواتهم ، على الأقل الفتاة المحجبة تحاول أن تحافظ على الدين وتعاليمه بدرجة فهمها لهذه التعاليم؟

ـ يا سيدى الزى لايصنع الشرف إنما الشرف هو الذى يصنع الزى ، لبس ألف واحدة زياً إسلامياً ولايكونُنَّ شريفات القلب والغرض فى

الحياة، لا فائدة ، وهات بنت أصولها متدينة وتخاف ربها ستجدها من نفسها تختار الزى الذى يرضى ضميرها الدينى . .

● **بعض الناس تحللها على أن هذه الظاهرة رد فعل للتبرج ؟**

ـ لا . . إنما رد فعل لحرب وراء حرب وراء حرب ، الهزيمة المنكرة هزت إيمان الناس فى قوة بلادها تساءلوا عن سبب هذه الهزيمة وتوصلوا إلى أن الله غاضب علينا ، ولماذا الله عز وجل غاضب علينا ، ووجدوا أن الإجابة الوحيدة المنطقية هى أن مصدر هذا الغضب عدم اتباعنا لتعاليم الإسلام . . . !

● **أستاذة أمينة ، هل تتذكرين «يوم المقابلة » عندما كانت الصديقات تتجمع فى منزل إحداهن فى يوم معين من أيام الأسبوع ؟**

ـ أذكر أن فى طفولتى كان هناك يوم مقابلة عند أمى ونحن فى أسيوط . . وكنا مازلنا أطفالاً ، أنا أذكر هذا ، بعد ذلك اختفى هذا اليوم من حياتنا . فى طفولتى لم يكن هناك اختلاط بين الرجال والنساء ، فكانت الصديقات تتفق على يوم للقاء ليقضوا هذا اليوم فى الحديث والعزف على «البيانو» و«الكمان» يتبسطوا ثم يعودوا إلى منازلهم فى سياراتهم . ، لقد رأيت هذا فى طفولتى فى بيتنا عندما كنا فى أسيوط . . لكن لم أر هذا اليوم هنا فى القاهرة .

● **إذن اختفى هذا اليوم من حياتنا منذ مدة طويلة ؟**

ـ نعم منذ مدة طويلة جداً . .

● الحقيقة أنا أسألك هذا السؤال عن يوم المقابلة كى أعرف رأيك ، هل سيادتك ترين أننا افتقدنا مثل هذا اليوم فى حياتنا الاجتماعية المعاصرة؟

ـ لا ، إنما تطورت نظرتنا إلى المقابلة ، فالآن فى كثير من البيوت خصوصاً التى تعمل ربة البيت فيها أصبحوا يحددون يوماً لاستقبال أصحابهم ، ففى كل بيت هناك يوم فى الشهر أو الأسبوع مخصص لزيارة الأصدقاء ، وإن كان ليس يوم «مقابلة» بمعنى «مقابلة» إنما زيارة . . وهذا هو التطور الذى حدث بتطور ظروف الحياة .

لكن أنا أود أن أعرف رأى الاستاذة أمينة السعيد فى الأسرة «العائلة» الآن . . هل تلاحظين عليها أى تطور أو ظواهر جديدة طرأت على الأسرة . . عن العائلة قديماً ؟

ـ الترابط الشديد بين الأم والأولاد غير موجود الآن ، حدث ارتخاء فى الروابط يقول : «اتفلقوا ، لقد فاض بى » . . فى الماضى لم يكن هنا شىء يسمى «اتفلق» ، هذا ابنى ولابد أن أن أقوّمه إذا ظهر منه ما يحتاج إلى تقويم . وكان الأب مثلاً أعلى لأبنائه . . وكان الأب والأم مثالاً للتضحية من أجل الأسرة ، ومثالاً للسعادة والشقاء والنظام وهذه الأشياء ، وخاصة أن هذه الأسياء تورّث ، فالبيت الذى يعانى من شقاء زوجى يورّث هذه المشاعر للأبناء والأحفاد .

● كيف ؟

ـ عندما أشب فى أسرة يتشاجر فيها الأم والأب طوال اليوم ، فأتزوج

وأنا معتقدة أن هذه المشاجرات جزء لايتجزأ من الحياة الطبيعية ، لذلك فأنت تجد الجيل القديم من أمثالى سعيد فى حياته الزوجية ، لأنه تربى على قيمة المودة والحب بين الأم والأب ، فأصبحنا بدورنا نحب أزواجنا .. وجاء أولادنا ليحملوا نفس القيم ، فالسعادة تورث .. لكن للأسف هذا الجيل افتقد أسباب السعادة لأن ظروف الحياة شغلت الرجل والمرأة على حد سواء .

● وبالتالى تفتت الأسر الكبيرة التى كان يعيش أفرادها مجتمعين فى بيت واحد هو بيت العائلة ؟

ـ نعم واحد يسكن فى الشمال والآخر فى الجنوب ، فى الحقيقة أزمة الإسكان أضرت بالروابط العائلية .

● ولذا فقد تفككت الحياة العائلية وتفتت الأسر الكبيرة إلى أسر صغيرة؟

ـ أسر صغيرة ، تستطيع أن تقول إنها أسر مشردة ، لا تجد مكاناً تقيم فيه .. وأنا لست من أنصار أن أولاد الأسرة يتزوجون ويقيمون مع أهلهم بعد الزواج ، لكن أحب أن يبنى كل جيل بيتا يكون بمثابة مملكة له ، يعيش فيها مستقلاً عن تأثير أهله ويمر بتجارب الحياة المختلفة ..!

● وهل حدث انفصام ما بين الأجيال ؟

ـ أعتقد أن الخلاف ما بين القديم والجديد أصبح أوسع منه فى أى زمن ، أصبح حاداً جداً .

●●● المرأة ومشاكل العصر :

● أستاذة أمينة السعيد من واقع رسائل القارئات لك فى بابك الشهير، ماهى ملاحظاتك على المرأة المعاصرة من خطاباتها لك ؟ ماهى اهتماماتها ؟ فيم تفكر ؟ ماهو رأيها فى الزواج ، رأيها فى الرجل ؟ وماهى المشاكل التى تحيط بها ؟

ـ مشاكل العصر ! فقد أصبح من حق المرأة أن تختار زوجها ، فما هى مشاكلها ، مشكلتها أنها اختارت خطأ واكتشفت هذا الخطأ ، لأنها لم تجد من يوجهها . . أو وجدت لكنها لم تأخذ بآرائهم ، عملاً بحقها فى أن تختار لنفسها ، هذه هى مشكلتها ! !

● هذه ملاحظة خطيرة يا أستاذة أمينة ، معنى ذلك أنه عندما أخذت المرأة حقها فى الاختيار ، اختارت خطأ ؟

ـ لأنها فى كثير من الأحيان ، لم يكن عندها القدرة أو الحكمة التى تجعلها قادرة على إصدار الحكم السليم . الحب مثلاً أعماها عن أخطاء كثيرة ، تصورت أن هذه الأخطاء قد تتبدل . . القمار ، الخمر ، المخدرات، زلاقة اللسان ، هذه أمراض لا يصلحها الزواج . . !

● لكن هذا يغلق باب الأمل والتوبة أمام الكثيرين يا أستاذة أمينة ؟ !

ـ لأن هذه الأمراض فى الدم ، ده بيدخلوه مستشفيات كى يعالجوه ثم يخرج من المستشفى ليجد زجاجة الخمر أمامه فيعود فوراً إليها ،

والمخدرات وكل شيء . هذا البرشام الذى انتشر الآن يقضى على العقل وهذا شيء من أخطر ما يمكن .

● **أستاذة أمينة بعد ثلاثين سنة من التدخين المستمر ماذا تقول أمينة السعيد للمرأة المدخنة الآن فى هذا العصر ؟**

ـ أقول لها إن أنا بعد أربعين سنة بأدخن ثلاث علب فى اليوم ، اقتنعت بعد فوات الأوان أن ذلك الشيء مدمر للصحة والميزانية . . أقول لها كونى أذكى منى وابدئى مبكراً . . قاومى داء التدخين . . فأنا توقفت عنه من شهر واحد ، تصور بعد أربعين سنة فيها رئتاى تعبتا تعبا شديدا جداً وأصابنى ما يشبه الربو ، بالإضافة إلى آلاف الجنيهات التى ضاعت فى ثلاث علب كل يوم لمدة أربعين سنة !

● **أستاذة أمينة بنفس الصراحة ، ماهى بقية الأخطاء التى تعتقدين أنك وقعت فيها وتنصحين نساء هذا العصر ألا يكررنها ؟**

ـ أنا عنيفة جداً ، سريعة الغضب جداً ، وأعترف هنا أن زوجى رحمه الله هو الذى روضنى وهذا من غلوائى ، برقته ، بعظمته ، بحكمته ، استطاع أن يذيب هذا الثلج وأن يجعل منى امرأة أخرى ، أفكر أكثر من مرة قبل أن أنفعل . . . !

● **أحب أيضاً أسأل الأستاذة أمينة عن رأيها فى صورة المرأة المصرية كما تعرض فى الأغنية ، فى الفيلم وفى الفن المصرى بشكل عام .**

ـ والله هذه الأغنية شعر معاصر لا أعترض عليها ، ولكن أعترض

على صورة المرأة فى السينما ، المرأة العصرية موظفة غلبانة ، معندهاش بار فى البيت ، أو يصوروا المرأة ذاهبة إلى الريف بفستان مفتوح ، السينما تصور المرأة بصورة بشعة ، لذلك أنا أغضب أشد الغضب عندما أراهم يصورون المرأة بهذه الصورة المبتذلة .

● إنما الأستاذة أمينة السعيد لاتخشى على المرأة المصرية من اقتحام كل المجالات باعتبارها تملك الحصانة الحضارية ، بدليل أن «هيرودت» عندما جاء مصر لاحظ ملاحظة غريبة جداً ، وهى أن الفتاة المصرية بالرغم من أن مصر كانت محتلة من اليونان كانت ترفض أن تتحدث مع أى يونانى إغريقى وهذه هى النتيجة المنطقية لما تتمتع به من حصانة تراثية أخلاقية دينية ؟

ـ عندما جاء الانجليز واحتلونا سبعين أو ثمانين عاماً كنا نتحدث الفرنسية ، ولم نتحدث الانجليزية نهائياً ، وهذا عهد أنا حضرته ، أنا كنت طالبة فى مدرسة انجليزية فكنت عندما أتحدث الإنجليزية كان الناس ينظرون لى شذراً ، فأضطر أقفل فمى ولا أتحدث نهائياً ، فطول ماكان الإنجليز كانوا فى البلد كنا نتحدث الفرنسية .

● ولذلك نلاحظ أن الترجمة فى الأفلام القديمة كانت بالفرنسية لا بالإنجليزية ؟

ـ نعم ، فى حين أنه بعد رحيلهم أصبحت اللغة الإنجليزية هى اللغة السائدة فى البلد، ومن هنا تتضح مدى روح المقاومة التى كنا نتمتع بها .

●●● شهادة على العصر فى سطر :

● استاذة أمينة ماهى شهادتك على هذا العصر فى سطر صحفى واحد ؟

ـ عصر غلبان الله يكون فى عونه !

● هل لديك أقوال أخرى ؟

ـ لا !

الدكتور أحمد قدرى



شاهد على عصر المعاناة

تاريخ التسجيل ١٩٨٧

★**رأى :**

الوعى بالتاريخ = التحرر من أعباء التاريخ

★**تساؤل:**

لماذا نقول مالا نفعل ؟

★**حقيقة:**

الجيش هو الضمير القومى للأمم .

★**معلومة:**

«ماعت» : هى سر حضارة الفراعنة .

شاهد على العصر اليوم شاهد على تاريخ أعظم حضارات الدنيا ، وضعه اجتهاده وجهاده على قمة الهيئة التى تحيط بالمنظومة المصرية فى أروع آثارها . .

ولد سنة ١٩٣١ بالشرقية . . وحصل على بكالوريس العلوم العسكرية سنة ١٩٥٠ وبكالوريوس العلوم الجوية ، ثم حصل على ليسانس الحقوق ودبلوم الآثار المصرية ثم الآثار الإسلامية ثم الدكتوراه فى الآثار والتاريخ القديم . . كل هذا فى سنوات متقاربة ، عمل فى بداية حياته فى السلاح الجوى ، ثم نقل إلى وزارة الثقافة التى شغل بها أكثر من منصب ، كما أعير للتدريس فى قسم الآثار بجامعة بغداد ، إلى أن انتهى به المطاف رئيساً لهيئة الآثار المصرية ، له جهوده التى لاتنكر فى الإشراف على إنقاذ آثار النوبة ، وتجديد وترميم الآثار المصرية والإسلامية والحفاظ عليها .

لنا معه لقاء نرجو أن نستمع فيه إلى شهادة مميزة على عصرنا .

●●● رؤية عامة :

● أستاذ دكتور أحمد قدرى نبدأ برؤية عامة تسجل فيها بعض ما يعن لك من ملاحظات حول أهم التيارات والظواهر والتغيرات التى تعطى لعصرنا شخصيته بين العصور ؟

ـ نستطيع أن نقرر بشكل عام أن عصرنا يمثل مرحلة انتقال تاريخية بين سمتين واضحتين تماماً بالنسبة للمثقف المصرى العام والمتخصص فى التاريخ بشكل خاص ، مرحلة انتقال بين العصور اتسمت بالتخلف العام فى الظواهر الثقافية والظواهر الاجتماعية والظواهر التعليمية والاقتصادية منذ أكثر من مائة وثمانين عاماً فى نهاية العصر التركى ـ وكان بالتأكيد عصر اظلام وركود وتجمد حضارى ـ بدأت إيقاعات حياتنا تنطلق وتتدفق بعد تجربة حملة نابليون بكل ماقدَّمت من تحدٍّ لضمائر ووجدان شعبنا العريق القديم ، هذا التحدى الذى جعلنا فى مواجهة حادة مع التقدم العلمى والتقدم الحضارى العام فى الغرب ومع أنفسنا ومع ضمائرنا ، هذا التحدى أوجد فى وجداننا وفى عقولنا حركة استنارة واسعة النطاق امتدت عبر القرن الماضى وهذا القرن ، هذه الاستنارة ظواهرها نعلمها جميعاً منذ البعثة المصرية لمحمد على فى العشرينيات من القرن الماضى والجهود التعليمية والثقافية واسعة النطاق فى عصر إسماعيل والعصور التالية خاصة عصر الخديوى عباس حلمى الثانى ، بعد ذلك ، وبعد الثورة الاجتماعية التى حدثت فى خمسينيات هذا القرن، تدفقت وتظاهرت ظروف اجتماعية واقتصادية مجددة جعلت

صدامنا مع الحضارة الغربية ومع مقوماتها الثقافية والحضارية بشكل عام تمر بمرحلة انتقال أتصور أنها ربما تأخذ بعض الوقت حتى يتم الاستقرار بشكل نهائى على صيغة حضارية ، هذه الصيغة التى هى فى طريقها إلى التبلور ، وذلك بعد معاناة ثقافية وحضارية ، والتى تبدو واضحة فى مجتمعنا . وأتصور أن تبلور هذه الصيغة ، سيضعنا على أعتاب مرحلة جديدة نحن الآن نمر بها منذ بداية القرن الماضى .

●●● الوعى بالتاريخ = التحرر من أعباء التاريخ :

● يعنى الأستاذ دكتور أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار المصرية أن بعض الظواهر التى يبدو فيها بعض الخلل أو عدم الاستقرار وناتج عن عملية الانتقال وعملية الاختيار الحضارى التى نعيشها هذه الأيام ، وأنه عندما تستقر رؤيتنا على هوية محددة ستنتهى مرحلة القلق من حياتنا ؟

- بالتأكيد فنحن نمر بمرحلة تتناقض فيها تيارات أيدلوجية وتيارات ثقافية مختلفة بين الماضى والجديد ، هذه التناقضات الثقافية والعقائدية ، تلك التراكمات التاريخية التى تدفقت إلينا عبر التاريخ ولم نفرزها بعد ولم نقيّمها التقييم الصحيح سواء بالتخلى عنها أو الإبقاء عليها ، التعرف على مقوماتنا الثقافية والفكرية والوجدانية بين كل هذه التراكمات الضخمة من عناصر التراث وعناصر حياتنا المعاصرة ، عملية الفرز الضخمة هذه والتى يقوم بها شعبنا والتى تظهر فى شكل معاناة جبارة ، معاناة يومية فى كل توجهات حياتنا اليومية الراهنة ، تلك المعاناة التى

لابد وأن تأتى فى النهاية إلى التعرف أكثر على ذاتنا وعلى هويتنا بشكل محدد، والوعى التاريخى هنا ـ فى تقديرى ـ يلعب الدور الأكثر أهمية والأكثر قدرة على فرز هذه العناصر وعلى تجديد واستقرار عناصر هويتنا وشعورنا بذاتنا فى المستقبل .

● على ذكر عبارة «الوعى التاريخى» أنا أتذكر عبارة للباحث المعروف الأستاذ محمد العزب موسى يقول :

« إن مصر هى دائماً الفصل الأول فى كتب التاريخ ومع ذلك فليس هناك شعب فى العالم يجهل تاريخه كالشعب المصرى» . فما تعليقك على هذه الملاحظة وما الذى نجهله عن مصر فى رأيك ؟

ـ أنا تعليقى أن التاريخ هو الذاكرة الجماعية للشعوب ، وعدم الوعى بالتاريخ يمثل خللاً خطيراً فى القوام الوجدانى والفكرى لأى شعب من الشعوب ، الأوهام التى تترسب فى وجدان شعب غير واع بتاريخه والأخطاء التى يتصورها أو المفاهيم الخاطئة التى يتصورها ، كل هذا يشكل عبئاً على ضميره وعلى وجدانه وفهمه الصحيح للأشياء، فمن خلال الوعى التاريخى يتصور مفهوم هذا الشعب وتنبعث حيوية جديدة فى أعطافه من خلال الفهم الصحيح للأشياء، ومن خلال الرؤى الصحيحة . . الرؤى الوجدانية الصحيحة لهذا التاريخ ، أما عدم الوعى فتنجم عنه المبالغة الشديدة فى تقييم قيمة تاريخه أو المبالغة الشديدة فى الانتقاص فى بعض مناطق هذا التاريخ ، وكلا الاتجاهين

خاطىء ، ويعكسان موقفاً غير متوازن ، الوعى التاريخى يضع الرؤية التاريخية ويضع قوام هذه الرؤية بشكل متوازن ويخلصنا من التناقضات التى جلبها لنا التاريخ ، مثل التناقضات العقائدية أو الثقافية لأن الوعى بهذه التناقضات يصفيها ويضعها على المستوى الصحيح لها ، فالوعى التاريخى قضية أساسية فى تقدير قضية ثقافية بالغة الخطر وهذا ماعبر عنه على باشا مبارك فى القرن الماضى عندما قال :

«إن ضعف الشعوب الإسلامية راجع إلى ضعف المعرفة التاريخية» .

وهذه رؤية للأسف بعد مائة عام مازلنا ـ من الناحية الثقافية ومن ناحية توجهنا التربوى ـ لانضعها فى اعتبارنا وهى قضية من أخطر قضايا حياتنا الثقافية المعاصرة ، فلا يمكن لأمة من الأمم أن تتجاوز تخلفها إلا بالوعى التاريخى أو حدٍّ أدنى من الوعى التاريخى . وهذا ماحدث فى أوروبا فى عصر النهضة، وحدث فى اليابان فى القرن الماضى، فعندما بدأت هذه الشعوب فى التعرف على جذورها ومحاولة فهم هذه الجذور وبالتالى فهم ذاتها وهويتها وبلورة هذه الهوية ، عندما بدأت هذا التعرف واسع النطاق ، كانت قد بدأت فى الدخول فى مرحلة النهضة الحقيقية .

● **لكن بشرط ألا يتحول الماضى إلى عبء ، ونكتفى منه بالتغنى والتشدق . . . .**

ـ هذا صحيح وجوته يقول :

«إن الوعى بالتاريخ هو التحرر من التاريخ» .

وهذا كلام فى غاية الأهمية بمعنى التحرر من الأغلال ومن القيود التى تأخذ شكل تراكمات مازالت موجودة فى حياتنا وتشكل مفاهيم جامدة تؤثر علينا ، لكن فهمها الصحيح يجعلنا أكثر تحرراً وأكثر انطلاقاً وأكثر قدرة عن التعبير الحر عن أنفسنا .

● **إذن ماينقصنا هو التعرف على جذورنا وعلى جوهر الإنسان الذى يعيش على أرض هذا الوطن ؟**

ـ التوازن الذى يحققه الوعى يدفق الحياة الفكرية فى شكل رؤية حرة تماماً للأشياء والحياة الوجدانية فى شكل تصويب وتصحيح للقوام الوجدانى للإنسان أو لأمة من الأمم ، مما يجعل انطلاقها وسيرها على طريق التقدم قضية متدفقة لاتكبلها قيود قديمة أو رؤى متخلفة أو رؤى خاطئة أو فهم خاطىء للأشياء ، أى أن التحرر بشكل عام هو رد فعل أو نتيجة واسعة النطاق لقضية الوعى التاريخى ، ونحن عندما نتحدث عن الوعى التاريخى لانطلب من المواطنين العاديين التخصص فى التاريخ لكن نطالبهم بأن يكون لديهم فهم صحيح لحركة التاريخ بشكل عام . والآن تجد إدارات التراث الإنسانى فى اليونسكو ، الإدارات التربوية فى اليونسكو ، وقد أصبحوا مدركين تماماً لحقيقة واضحة للغاية وهى أنه لامجال لأى نجاح ، لأى تنمية اقتصادية مالم يواكبها تنمية ثقافية عامة للإنسان الذى يجرى التنمية الاقتصادية هذه ـ ولب التنمية

الثقافية ـ فى تقديرنا ـ هو الوعى التاريخى ، لأنه عندما تتبلور معالم واضحة لهويته وإحساسه بذاته ، تتدفق إرادته وحيويته نحو تحقيق البرامج الاقتصادية ، ويهتم برفع مستوى كرامته المادية والمعنوية ، فلا تنمية بدون رؤى ثقافية ولا تنمية بدون وعى تاريخى ، ولاتنمية بدون مواكبة بين عنصرى الثقافة والعنصر المادى .

●●● التراث قضية سياسية ثقافية :

● الأستاذ الدكتور أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار أثيرت مؤخراً قضية الآثار المصرية سواء من عدوان الطبيعة أو البشر ، وكان لك تجربة سابقة فى إنقاذ آثار النوبة كما أن بصماتك تشهد لك فى القلعة والحسين وغيرهما فما هى أقوالك فى قضية الآثار ؟

ـ المواجهة الشاملة التى نقوم بها حالياً تجاه الحد الذى يمثله تراثنا الأثرى هى مواجهة لامحيص عنها ، مواجهة ضرورية ، هذه المواجهة تستمد مفاهيمها وتقديرها من رؤى تاريخية أيضاً ، فنحن عندما نستعرض تاريخ هذا التراث ، عندما نستعرض تاريخ إدارة الآثار التى أنشئت فى خمسينيات القرن الماضى فى عهد الخديوى سعيد باشا ، نجد أن الاهتمام الأول كان منصباً على القضايا العلمية البحتة ، أى على عمليات الدراسات الأثرية، وكان هذا وضعاً طبيعياً؛ لأن علم الآثار الوليد سواء علم الآثار المصرية أو الإسلامية ، كان يتطلب عملية تأصيل أو عملية إرساء للقواعد العلمية للفروع المختلفة لهذا العلم .

ومن هنا كان الاهتمام بالإنقاذ والترميم يأخذ الدرجة الثانية وربما الثالثة من الأهمية ، هذا إذا وضعنا فى اعتبارنا أيضاً أن القائمين على إدارة الآثار المصرية وإدارة التراث العربى كان معظمهم من الأجانب ، فالاهتمام الأصلى كان مركزاً على الناحية العلمية مع افتقاد للتوجه القومى العام بالنسبة لهذا التراث . . على ذلك آثار خطيرة ، فقد فقدنا ـ فى القاهرة وحدها ـ أكثر من ألف وخمسمائة أثر إسلامى فى الفترة من سنة ١٨٨٢ حتى ١٩٥٠ سنة . . وذلك بسبب نقص الإمكانات الترميمية ، وبسبب نقص الموارد المالية ، بالإضافة إلى عدم تبلور المفهوم القومى والإرادة والرؤى القومية لمواجهة هذا التحدى الجبار ، على سبيل المثال كان هناك هرم وهو هرم «جدرف رع» فى منطقة أبو رواش سنة ١٩٠٧ . . كانت مقوماته المعمارية موجودة إلى حد ما وكان مسجلا . والآن وبعد ثمانين عاماً لايوجد إلا القليل من بقاياه على سطح الأرض وهذا ينسحب على مقابر وعناصر أخرى كثيرة .

● هل اختفى الهرم ؟

ـ نعم كانوا يستخدمونه كمحجر Quarry أى كمنجم للأحجار نتيجة ضعف المواجهة مع الآخرين ، ضعف تطبيق قانون الآثار ، الإهمال ، السلبيات الموجودة فى مجتمعنا فيما يخص تطبيق القانون واحترامه ، وهذا الحكم ينسحب على معظم تراثنا ، من هنا فإن التراث قضية تتعرض لما تتعرض له كل مقومات حياتنا الأخرى من تطور فى

الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتى تؤثر على التطور العام لأمتنا .

● **تقول الدكتورة نعمات أحمد فؤاد :**

« إن التراث ليس قضية فكرية فحسب بل هو قضية سياسية ، فالتراث هو القيمة ، ولهذا نجد الأمم المستحدثة تحاول أن تصطنع لها ماضياً » . . ما تعليقك ؟

ـ التراث قضية ثقافية سياسية وأنا أتفق مع الدكتورة نعمات أحمد فؤاد فى هذا ، أى أن مواجهة التراث والقرارات التى تخص التراث لابد وأن تصدر على أرفع مستوى من الدولة ولاتترك مقاليدها للمستويات الإدارية البسيطة ، أو لأهواء بعض العناصر التى لاتتمتع بالوعى التراثى أو لاتتمتع بالوعى بشكل عام .

● **مجموعة الموظفين ؟**

ـ موظفين أو أصحاب مصالح قريبة المدى أو ممن هم يفتقدون ذلك الحس التاريخى والتراثى الرفيع ، فنحن نجد فى الخارج أن القرارات الخاصة بالتراث قرارات سياسية ، مثلاً قرار إنشاء متحف هو قرار صادر من أعلى مستوى سياسى ، قرار تطوير متحف اللوفر صدر عن ميتران شخصياً ، إقرار العملية من الناحية المعمارية وإقرار مفهوم إقامة هرم فى وسط مجموعة مبانى اللوفر وإسناد هذه العملية لمهندس معين وهو «فاى» الأمريكى الصينى الأصل . . أيضاً إنشاء «متحف الدورسيل»

وهو متحف أنشىء حديثاً للسكة الحديد . . كل هذه القرارات تصدر عن قمة الإدارة السياسية؛ وذلك لأن هذه القرارات تتعرض لقضية ستلعب دورها الثقافى والوجدانى فى ضمائر ووجدان الشعب لقرون بعيدة قادمة ويجب ألا تترك للصدفة أو المستويات الأقل، ومن هنا كانت إدارات الآثار والتراث ترتبط بمجلس الوزراء أو رئاسة الجمهورية، ولاتخضع لرؤى سياسية مؤقتة أو توجهات مؤقتة أو مصالح محلية بسيطة أو لأمزجة البعض ، ونحن إذا كنا جادين بالفعل فى قضية مواجهة تراثنا القومى بكل ما يمثله هذا التراث من أهمية بالغة الخطر فى حياتنا الثقافية والسياحية وفى تقدمنا بشكل عام ، أتصور أن نضع قرارات خاصة بحماية هذا التراث مثلنا فى ذلك مثل أى أمة متقدمة .

●●● جواهر مكدسة فى محطات الاتوبيس !

● أستاذ دكتور أحمد قدرى فى هذه القضية أيضاً يقول شيخ المهندسين حسن فتحى : إن مصر تمتلك أندر مجموعة من المساجد فى منطقة القلعة ، وكان المفروض أن نبرزها كالجواهر الكريمة . . إلا أننا نطمس جمالها بتكديس المبانى حولها ومحطات الأتوبيس والزحام ، فما هو تعليقك على هذا الاتهام وكيف تمتد مسئولية الهيئة إلى عملية التنظيم ؟

ـ لو أنت بتواضع شديد ذهبت إلى منطقة السلطان حسن والرفاعى وميدان الرماح والمساجد المحيطة بميدان صلاح الدين الأيوبى ستجد الموقع مختلفاً تماماً ، لقد أحطنا هذه الدرر وهذه الشوامخ ـ والتى تعبر

عن عبقرية الروح الاسلامية المعمارية والفنية أبلغ تعبير ـ بإطار جمالى رفيع وعملية ترميم شاملة واسعة النطاق والتراكمات الموجودة استطعنا أن نصفى معظمها ، تلك التراكمات التى كانت تؤثر بالسلب على التراث ، فنحن إلى جانب العناصر المادية للترميم نضع فى اعتبارنا ضرورة تأثير هذا الترميم على البنية الثقافية للبيئة ، عن طريق تشغيل أبناء هذه البيئة المحيطة وإقامة علاقات صحية تهدف إلى تعريفهم على ما نفعل على وجه التحديد ، كل هذه العلاقات تؤدى فى النهاية إلى التعاطف ونشوء علاقة ودّ وصداقة وتفاهم ، وبذا نكون قد استبدلنا لامبالاتهم بهذا التراث بهذا النوع من الود والتفاهم ، وهذه ـ فى تقديرى ـ هى الخطوة الصحيحة لتصفية مشكلات التشويه ومشكلات السلوك غير المتحضر إزاء هذا التراث ، والتى تسمح فى المستقبل بتصفية المشكلات التى تراكمت على القاهرة عبر مئات السنين الماضية والتى أحاطت آثارنا بمظاهر سلبية .

●●● ولاختلافنا عن أجدادنا الفراعنة أسباب !

● أستاذ دكتور أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار يتحدثون دائماً عن وحدة تاريخ مصر وأن المنظومة المصرية منظومة متصلة عبر العصور فكيف تفسر ـ فى ظل هذه النظرية ـ اختلافنا عن أسلافنا الفراعنة هذا الاختلاف الواضح ؟

ـ الاختلاف الواضح سببه الاختلاف اللغوى أو الانفصام اللغوى الذى حدث .

● فقــط ؟

ـ بالتأكيد لأن اللغة هى الحضارة ، هى الثقافة ، اللغة هى الوعاء الذى ينطوى على جميع مقوماتنا الحضارية بأنساقها الفكرية والوجدانية والسلوكية والروحية فعندما تتغير اللغة فنحن ننتمى لنطاق حضارى آخر مختلف تماماً .

● يعنى لو رجعنا نتحدث الهيروغليفية تعتقد . . . .

أجــاب بسرعة :

ـ هذا غير متصور ، ولكن إعادة شعورنا بالحضارة القديمة يتم من خلال الوعى ، عندما نبدأ فى التعرف على الحضارة المصرية القديمة ومقوماتنا الحضارية القديمة بحس أكثر دقة ، فسوف نجد أن تلك العلاقة بيننا وبين أجدادنا والتى انفصلت بما تم من انفصال لغوى سيتم استعادتها بشكل معاصر .

● لكن لو تحدثنا عن مقومات الإنسان نفسه ، الإنسان الذى عاش على أرض هذا الوطن منذ آلاف السنين ، فما هى مقومات هذا الإنسان والتى نفتقدها الآن فى إنسان العصر ؟

ـ الالتزام ، الشعور بالعدالة أو لنقُل مفاهيم «ماعت» تلك المفاهيم التى كانت تحرك وجدان وفكر الإنسان المصرى القديم ابتداءً من الفرعون إلى أبسط مواطن مصرى ، مفاهيم ماعت ، مفاهيم العدالة ، مفاهيم النظام ، مفاهيم الالتزام وماعت تعنى الصدق ، العدالة ، الالتزام

والنظام . . و«ماعت» هى إلهَة ، وهى ابنة الإلّه رع ، وهى تجسيد لكل هذه المفاهيم فى حياتهم الدينية وحياتهم الروحية.وفى سلوكهم فى حياتهم اليومية . ومن هنا كانت مشاعر الالتزام بالصدق وبالصواب وبالحق وبالعدل والنظام كانت متجذرة أعمق التجذر فى أرضية هذه الحضارة وفى نفوس الإنسان المصرى القديم ، فكان أبشع شىء بالنسبة للمصرى القديم هو الكذب ، وكان عندما يكذب أو يحنث فى يمين تعتبر هذه كبيرة الكبائر يتحتم عليه أن يتطهر بالتقرب والتوسل إلى الآلهة إلى آخره . ، وأنا أتصور أن كل هذه القيم التى كونت القوام الوجدانى والفكرى والروحى للإنسان المصرى القديم تختلف تماماً عن مقومات إنسان هذا العصر مع كل يمر به من ظروف .

● طيب هذا الكلام عن «ماعت» وفكرة العدالة والسلوكيات الفاضلة عن المصريين القدماء يجعلنى أعتقد أنك تتفق مع د. سيد عويس فى أن فكرة الخلود كانت هى الدافع إلى السلوكيات الفاضلة عند الفراعنة لاعتقادهم فى الثواب والعقاب ، فما هو تفسيرك لابتعاد الكثيرين عن هذه السلوكيات الفاضلة الآن مع وجود الأديان السماوية ؟

ـ عندما يكون هناك تناقض بين مانقول ومانفعل تحدث كل هذه الظواهر السلبية .

●●● لماذا نقول مالا نفعل ؟

● هل تقصد أن التركيز على الشكل دون الجوهر والاهتمام بالكلمة دون الفعل هو المسئول عن هذا الفصام ؟

ـ هذا الفصام راجع إلى أن المقومات الثقافية والحضارية التى من المفروض أن تكون هى المدفق لكل تصرفاتنا لم تتبلور بعد فى شكل واضح فمازلنا مضطربين بين الشرق والغرب . . بين القديم والجديد . . بين الأصالة والمعاصرة . ، هذا التناقض الذى يحقق لنا عدم التوازن فى تقديرنا وحسنا بالأشياء ، كل هذا يخلق الخلل الفكرى والوجدانى ومايسمى بالخلل فى ردود أفعالنا وفى سلوكياتنا وفى توجهاتنا ، ويجعل هناك مكاناً فسيحاً لعدم الصدق مع الذات ، وعدم الجدية وعدم الالتزام ، فأنا فى تقديرى أننا مازلنا مع الأسف الشديد نعيش حياة تخلو من الرؤى المنطقية والترشيد الحقيقى لأسلوب حكمنا على الأشياء رغم ارتفاع نطاق الظواهر التعليمية ، لكن فى حياتنا بشكل عام سواء الإدارية أو الثقافية نحن نعانى ـ إلى حد بعيد ـ من غياب المنطق والأسلوب العلمى ، حتى إننا فى بعض الأحيان نطلق بعض الأحكام التى تتناقض بشكل واضح مع أبسط البديهيات العلمية .

● ويشترك مع الأستاذ دكتور أحمد قدرى د. مراد وهبه فى هذه الجزئية، فهو يؤكد أن الرواسب الأسطورية مازالت تحكم تفكير الكثيرين فى هذا العصر ، عصر العلم والتكنولوجيا ! ؟

ـ للأسف ، ونجد جامعيين مازالت توجهاتهم اليومية وتوجهاتهم الحياتية تتسم بعدم المنطقية وعدم العلمية .

● وأنت كنت تنادى بأن نأخذ من الفراعنة فكرة العدالة والصدق والمعانى البناءة ولكن الملاحظ أننا أخذنا عنهم الأفكار الاسطورية ،

وفكرة الأربعين للمتوفى والسبوع . . فقد تركنا القيم الإيجابية وتمسكنا بأساطيرهم فقط ؟

ـ هذه القيم الإيجابية ليست رفاهية إنما هى ضرورة حياة ، والتخلى عنها يؤدى إلى فناء الأمم . وهذه قضية بالغة الأهمية فإن الفناء والهول الأكبر لأى أمة من الأمم يكمن فى تخليها عن قيم الصدق والالتزام والشرف .

● **وتأكيداً لكلام د . أحمد قدرى فإن الباحث حافظ عثمان ينتهى فى دراسته الهامة «فى بعث الأمة المصرية» إلى أن إيجابيات الشعب المصرى تظهر عندما يكون نظامه السياسى والاقتصادى والاجتماعى مختاراً منه ، وطبعاً هذه المقولة تطرح قضية الديمقراطية فى معناها الواسع ، فما هى أقوالك فى هذه القضية ؟**

ـ أنا أقدر للإنسان المصرى دوراً بالغ الأهمية فى المستقبل عندما تنزاح عن رؤاه خواطر التخلف وخواطر التعليم غير الصحيح وتتصوب كل توجهاتنا الثقافية . . عندها سينكشف المعدن الأصيل والجوهر النبيل لهذا الشعب الحامل لعناصر الحضارة فى وجدانه وضميره الجماعى وسيلعب دوراً هاماً فى حضارة الإنسان فى المستقبل ، وفى إثراء عناصر حياتنا بشكل عام ، كون هذا يتم فى إطار سياسى معين فهذه قضية ليست بالمهمة ، المهم أن تتواجد إرادة قومية ، وبالتأكيد أن الحرية بمفهومها الفكرى أهم من الحرية السياسية ، فالحرية إن لم تعبر عن

حرية فكرية ووجدانية فهى حرية مشكوك فيها . . حرية مظهرية لاقيمة لها . . الحرية الحقيقية هى حقيقة أن الإنسان حر بمقوماته الإنسانية الأساسية وأنه يفكر ويتأمل أشياء فى مناخ حر يحترم إنسانيته ويحترم عقله وتوجهاته .

● هذه تطلعاتك لكن ماهى شهادتك على الواقع ، على المسيرة الديمقراطية ؟

- الديمقراطية بالاصطلاح السياسى التاريخى تعنى واقعا كـ ان موجوداً فى جذور الحضارة الغربية منذ اليونان والرومان ومظاهره الآن فى الغرب هو تعبير عن حقائق تاريخية فى حياتهم الحضارية ، يعنى اصطلاحات الـ Senator والـ Gereral assembly والـ Assembly كلها اصطلاحات من واقع تاريخى عندهم أخذناها عنهم . ومن هنا نقول الوعى التاريخى بشكل عام ، هو أن نتبنى مفهوماً غربياً ونتفهم مصادره التاريخية ومظاهره الحالية وعلاقة هذه المظاهر بماضيه وجذوره وعلاقة هذا المفهوم بالبلاد التى تتبناه ، وعلينا عند استخدامنا لهذه الأساليب أن نستخدمها من موقع رؤية تاريخية صحيحة لفكرنا وتراثنا وتاريخنا .

● نحن نشكر الأستاذ الدكتور أحمد قدرى على تصحيح خطأ شائع فدائماً مايقال إن الديمقراطية مفهوم حديث وقد أشرت أن للديمقراطية جذورها عند اليونان والرومان ؟

ـ طبعاً ونحن عندما نتحدث عن الديكتاتورية نتعامل معها ككلمة بغيضة وإن كانت كلمة عظيمة لها جذورها فى التاريخ اليونانى ، فالديكتاتورية هى نظام حكم مؤقت يقوم فى حالة تهدد أمة ما بمخاطر بالغة الجسامة ، والديكتاتور مزود بسلطات جنونية تقريباً لمواجهة هذه المخاطر وقد جودنا معنى الكلمة وانطبعت فى ضميرنا ووجداننا بمعنى آخر ، لذا فإنه يتحتم علينا أن نتفهم هذه المصطلحات النابعة من واقع حضارة أخرى وألاّ نستخدمها استخداماً تلقائياً وأتوماتيكياً ، فهذا هو الخطر كل الخطر .

●●● الجيش الوطنى هو الأمل والضمير :

● ليسمح لى دكتور قدرى هنا بملاحظة وهى أننى أشعر الآن بالضابط أحمد قدرى إلى جانب العالم أحمد قدرى أى أننى أشعر فى هذه الجزئية الأخيرة من شهادتك أن دراستك العسكرية وعملك العسكرى كضابط قبل أن تعمل فى المجال الثقافى والآثار واضح هنا ؟

ـ أنا أعتز تمام الاعتزاز بأننى خريج معهد عسكرى مصرى وأقدر أن الجيش دائماً هو الضمير القومى للأمم . فعندما تنهار كل المؤسسات يبقى الجيش ، وهو آخر مؤسسة تحافظ على قوامها الثقافى والتنظيمى ، وتستطيع أن تقوم بدور الإنقاذ . . فالجيش الوطنى الذى يتمتع أفراده بمستوى معين من الوعى الثقافى يمثل الضمير القومى ، لأنه فى حالة التدهور والإظلام يكون الجيش هو الأمل والضمير ، والعلم الذى من

الممكن أن نلتف حوله جميعاً كمواطنين كى نعبر به إلى شواطىء الأمن والاستقرار ، وأنا أتصور أن أى حضارة لم يمتشق أبناؤها السلاح هى حضارة لاقيمة لها ولايمكن أن تعيش ، ومن هنا فإن الجيش يعتبر من الملامح الرئيسية لأى حضارة .

●●● الوطنية والمواطنة :

● بالمناسبة د . أحمد قدرى هل تعتقد أننا فى هذه المرحلة محتاجون إلى إعادة تحديد وتعريف مفهوم الوطنية بحيث يصبح مفهوماً أن المواطنة أكثر من مجرد هوية وأن الوطنية أكثر من مجرد عاطفة ؟

ـ الوطنية مفهوم ثقافى فلا يمكن أن أتخيل وطنية بدون غيرة ثقافية وبدون معلومات وبدون فهم وبدون ارتباط فكرى بالمكان والتاريخ . . ومن هنا كان الوعى التاريخى جزءاً هاماً جداً من الشعور بالوطنية ، فالوطنية ليست كلمة أو شعوراً ينمو بشكل تلقائى ، إنما هى شىء حى أو وجود حى بداخلنا ، يحتاج إلى رعاية وتثقيف وتصويب ، ويحتاج إلى نوع من الاعتدال . . فالوطنية يجب أن تكون قواماً يغلب عليه الفهم أكثر من العاطفة .

● نعم كى لا يقترب من الشوفينية ؟

ـ نعم . . كى لايكون نوعاً من الوطنية الساذجة التى تفتقد الرؤية والعقل اللذين يجب أن نتسلح بهما إزاء ظروف العصر .

●●● شهادة فى سطور :

● فى نهاية هذه الشهادة كيف تصف هذا العصر فى سطر أو سطرين؟

ـ إن المعاناة العظيمة التى تمر بها أمتنا هى التى ستدفق فى المستقبل واقعاً مشرقاً تتوفر فيه عناصر ومقومات الكرامة المادية والثقافية والمعنوية لشعبنا . . وكلما ازدادت مظاهر هذه المعاناة ، وكلما ازدادت آلامنا كلما بدا لى أن المستقبل ـ وان لم يكن فى القريب ـ سوف يقدم للإنسان المصرى فترات من التقدم الحضارى والثقافى ، فترات مجددة من التاريخ المصرى العريق .

الدكتور سمير سرحان



شاهد على عصر مضطرب رائع

تاريخ التسجيل ١٩٩٠

★ أنا من جيل ثورة يوليو ولولا مجانية التعليم ما تعلمت !

★ التليفزيون .. آه من التليفزيون !

★ عصر الشعوب لا الزعامات ..

★ أزمة المثقفين والسلطة .

شاهدنا على العصر اليوم هو أحد رموز مصر الثقافية ، ولايمكن أن يغفله مراقب إذا ما حاول أى عملية مسح للوجه الثقافى والحضارى لمصر المعاصرة . . وهو مبدع وناقد فى آن واحد ، كما أنه يجلس على إحدى قممنا المصرية الثقافية الشامخة التى تعكس كل ما يتجمع فيها من إبداع فكرى . له مواقف مشهورة استطاع أن يبرز وجه مصر الحضارى ، كما استطاع أن يؤكد أن ثقافة مصر لها أصالتها وعظمتها التى تمتنع على أى مدع أو تاجر، لنا معه حوار نسجل فيه شهادته على عصرنا . . وياله من عصر . . !

●●● رؤية عامة لأهم الظواهر :

● تعودنا أن يبدأ شاهد العصر برؤية عامة يرصد فيها أهم الظواهر فماذا فى رؤيتك العامة ؟

ـ والله أنا من جيل شهد عصراً من أخصب وأروع العصور الحديثة التى مرت بها البشرية وأكثرها تناقضاً أيضاً ، أنا من جيل ثورة ٢٣ يوليو . . والجيل الذى نشأت فيه هو جيل شهد ثلاثة حروب ، هزمنا مرتين

وانتصرنا مرة ، هو جيل شهد على المستوى العالمى انقلاباً بين حرب فيتنام فى أمريكا عندما كنت أدرس هناك ، وثورة الشباب فى فرنسا ، وتطوراً عالمياً نشهد الآن نتائجه ، كانت أهم ملامحه سقوط بعض النظريات الجامدة وبعض المسلمات التى عاشت عليها البشرية أعواماً طويلة ، وبحث الإنسان عن الحرية وعودته إلى أحضان الدين وأحضان العقيدة وأحضان السلام الاجتماعى والفردى ، عصر تميز بشىء خطير جداً وهو مايسمى بالثورة الصناعية الثانية أو الثورة التكنولوجية . . بمعنى أن البشرية شهدت ثورتين صناعيتين ، الثورة الأولى كانت فى القرن التاسع عشر وقامت باختراع الآلة البخارية ، والثورة الثانية قامت فى الستينيات أو أواخر الخمسينيات من هذا القرن وسميت الثورة التكنولوجية . . لأنها قامت باختراع الكمبيوتر ، وأصبح لدينا عصر يسمى بعصر تدفق المعلومات وعصر الثورة الإلكترونية والتى أصبح الإنسان يتقدم فيه بمقدار ٨٠٠ سنة كل يوم عما كان يتقدم عليه فى الماضى كل قرن من الزمان ، فإذن نحن فى عصر تقدم علمى مذهل ، نحن فى عصر مضطرب ، عصر الحروب الصغيرة ، العصر الذى بدأ بحرب باردة بين القطبين العظيمين أو ظهور الدولة العظمى ، وينتهى الآن برفض هذه المسلمات وإعادة تقييمها والتقارب بين الشعوب والتقارب بين الأيديولوجيات لمصلحة التقدم العلمى وليس لمصلحة العقيدة الأيدلوجية أو الجمود الفكرى أو الذهنى ، أصبح العالم الاشتراكى يقترب من العالم الرأسمالى والعالم الرأسمالى يقترب من العالم

الاشتراكى ، والأيديولوجيات الجامدة للماضى تتصالح فى سبيل فكرة التقدم ، لأنه لاحياة لأى شعب من الشعوب أو لأى دولة من الدول دون اعتناق فكرة التقدم ، وفكرة التقدم هنا لها معنيان ؛ التقدم العلمى والاستقلال القومى والفردى فى مواجهة مايسمى بالاستعمار الجديد والاستعمار التكنولوجى ، وكان الاستعمار فى الماضى بالجيوش وينهب الاقتصاد ؛ أى استعمار مادى ، الآن هو استعمار تكنولوجى ، الدولة التى تمتلك التكنولوجيا والمعلومات وتمتلك حريتها وإنتاجها وتمتلك قدرتها على أن تنمى مواردها الذاتية هى الدولة التى سوف تعيش فى المستقبل ، ومن هنا نواجه نحن فى العالم الثالث فى عصرنا هذا التحدى المرعب ، تحدى الاستعمار التكنولوجى لأننا لانصنع تكنولوجيتنا إنما نستوردها، ونحن لانعتمد ذاتياً على إنتاجنا إنما نعتمد على الآخرين ، ولابد لكى نعيش عصرنا أن نعتنق هذه الثورة التكنولوجية ، وأن ننمى مواردنا ، وأن نعتمد على استقلالنا الذاتى حتى نحقق حريتنا ، فالحرية الآن هى حرية الاقتصاد وليست حرية التحرر من الاستعمار التقليدى .

● هذه التغيرات التى ذكرها د. سمير سرحان ورصدها سريعاً فى عناوين رئيسية أعتقد أننا لابد وأن نتعرض لها بالتفصيل فى ثنايا هذا الحوار ، لكن هى حقائق طرحت نفسها على ساحة العصر ، هى حقائق العصر الذى نعيشه الآن .

ـ طبعاً ، وطبعاً هناك حقيقة ضخمة جداً أو لافتة ضخمة لابد وأن نتوقف عندها ، وهى أن هذا العصر لم يعد عصر الزعامات الكبيرة إنما

هو عصر الشعوب ، أى أن الشعوب بدأت تأخذ مصيرها بيدها وتشكل نظامها الاقتصادى والاجتماعى ومعتقداتها وممارستها الاجتماعية فلم نعد فى عصر ستالين ولا عصر لينين .

●●● الشعوب ورغبة عارمة نحو التحرر :

● ومع د . سمير سرحان مازال يظهر هنا وهناك رجال يغيّرون مثل جورباتشوف ، . يعنى يمكن جزء كبير أو عنصر أساسى فى التغيرات التى رصدتها فى رؤيتك العامة ؛ سقوط النظريات الجامدة وظهور عملية «البريسترويكا» و«الجلاسنوست» وكانت هذه على يدى جورباتشوف فهل مازال دور الفرد مؤثراً فى العالم ؟

ـ أنا رأيى أن وراء جورباتشوف رغبة عارمة لدى الشعوب لكى تسقط المسلمات القديمة وتعتنق فكراً جديداً أو تدخل فى تجربة جديدة، لأن البريسترويكا هى فى النهاية رغبة نحو التحرر ، نحو الحرية ، نحو إعادة البناء ، رغبة شعبية فإذا لم تلاق تجاوباً شعبياً ضخماً جداً ما كان الفرد هنا سواء جورباتشوف أو غيره استطاع أن ينجح .

● بدليل تجاوب بقية الشعوب المجاورة للاتحاد السوفيتى وسقوط أنظمة كثيرة ؟

ـ ثم أريد أن أقول شيئاً ، العملية ليست فقط تحولاً فى العالم الاشتراكى فى عصرنا ، إنما هى أيضاً تحول فى العالم الرأسمالى ، لأن العالم

الرأسمالى يقترب حثيثاً أيضاً نحو الاشتراكية ، بمعنى تأمين الفرد ضد البطالة ، بمعنى نظام تأمين العلاج الصحى مثلاً ، بمعنى المؤسسات الخدمية الكبرى التى تمتلكها الدولة ، وأهم مافى ذلك تأمين الفرد اقتصادياً ضد البطالة وضد الفقر والمرض ، فالرأسمالية ليست كلها اقتصاداً حراً إنما الدولة تتدخل فى الوقت المناسب لكى تؤمن للفرد حياته واقتصاده وبالتالى تؤمن حريته وكل هذا فى النهاية يندرج تحت مزيد من الديمقراطية .

● أستاذ دكتور سمير سرحان لو رصدنا سريعاً حركة التاريخ فى السنوات الأخيرة من خلال رؤيتك نقول إنها حركة تنزع إلى التحرر والديمقراطية وتغليب عنصر المصلحة العامة للشعب على الأيديولوجيات والمذاهب ؟

- صحيح ، لأنه إذا كان التاريخ السياسى الإنسانى بدأ بالديمقراطية الأثينية فهو ينتهى الآن فى عصرنا بالديمقراطية العالمية . والديمقراطية هى حكم الشعب للشعب ، ومرت البشرية بين الديمقراطيتين الأثينية والحالية بتجارب عديدة أنضجتها حتى أصبحت الآن تؤمن بأن حرية الفرد أو حرية المجتمع لا تأتى إلا من خلال الديمقراطية ، وحرية الفرد لابد وأن تكون مؤمنة بحرية الاقتصاد والاستقلال ، والآن هو استقلال الأمة أو الشعب ضد الاستعمار التكولوجى .

●●● مصر جزء لايتجزأ من المشهد الدولى :

● ولو انتقلنا من العالمية إلى المحلية فأين موقع مصر فى شهادتك فى هذه الجزئية وهذه الرؤية العامة أيضاً ؟

ـ مصر جزء لايتجزأ من العالم ، جزء لايتجزأ من الإنسانية ، ومصر على مدى تاريخها ـ ساهمت إسهاماً ضخماً فى تشكيل وجدان الإنسانية وتشكيل فكرها وتشكيل تاريخها الحضارى ، ولذلك فإن تجربة الديمقراطية التى نشهدها الآن هى جزء لايتجزأ من المشهد الدولى . لم نستطع أن ننفصل عن المشهد العالمى الذى ينشد الديمقراطية وينشد حرية الفرد وينشد أيضاً التقدم العلمى وسقوط المسلمات . فنحن الآن دولة ، لم نعد جزيرة منعزلة فى العالم العربى . . وأنا أعتقد أن التجربة الديمقراطية سوف تكون تجربة معدية، بمعنى أنها سوف تتوج العالم العربى كله . الاستقلال فى الماضى كان يعنى الاستقلال عن الاستعمار، وخاصة الاستعمار الإنجليزى ، ثم عندما حدث الاستقلال بدأنا ننشد ماسمى بالوحدة العربية والتجربة الاشتراكية، التى مررنا بها ، وهذا ما جعل من هذا الجيل جيلاً مضطرباً لأنه مر بمراحل سريعة متلاحقة . . الاشتراكية على النمط الاشتراكى بمعنى ملكية الدولة لوسائل الإنتاج ، ومعنى مسئولية الدولة عن الفرد فى تشغيله وتوظيفه وفى رعايته الصحية، فى تعيينه ، حتى فى الترفيه عنه ، ووصل الأمر إلى أن الدولة أصبحت تبيع قوته اليومى وأصبحت الدولة هى المالكة لكل وسائل الإنتاج . ثم

دخلنا فى مرحلة مابعد سنة ١٩٧٣ سميت بمرحلة الانفتاح وهذه المرحلة كانت لها أخطاؤها الفادحة ولكنها أيضاً كانت لها إيجابياتها الكثيرة لأنها شجعت الحافز الفردى وشجعت دخول القطاع الخاص كشريك فى عملية الإنتاج مع القطاع العام ، حدثت تجاوزات ولاشك لأن كل فترة فيها فلسفة جديدة يحدث أيضاً فيها تجاوزات كثيرة ، وفتح الباب للفرد للتعبير عن رأيه من خلال مؤسسات منظمة ، بدأت بما يسمى بالمنابر ثم تطورت بعد ذلك إلى الأحزاب الموجودة حالياً ، لكن الفكرة كانت كفالة حرية التعبير ، حرية القول للمواطن أى أن المجتمع انتقل من مجتمع مغلق إلى مجتمع مفتوح أو من مجتمع ديكتاتورى أو مجتمع الحزب الواحد. كل هذه التغيرات لاتحدث فى حياة جيل واحد ، لكنها حدثت عندنا فى حياة جيل واحد .

●●● استعادة التوازن بعد انكسار الروح الوطنية :

● هذه التغييرات السريعة المتلاحقة فى أقل من ثلاثين سنة ، وأنت من هذا الجيل الذى تفتحت عيونه على ثورة ٢٣ يوليو وعاش هذه التغيرات المتلاحقة والهزات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية إلى يومنا هذا ، فماذا كان أثر هذه التغيرات عليكم كجيل ؟

ـ طبعاً أثرها أن هذا الجيل يعتبر أكثر الأجيال معاناة وأكثرها حيرة ، ويمكن هذا الذى جعل أولادنا يريدون تلمس رؤية حقيقية للأمور والواقع ، وأصبح هذا الجيل رافضاً لكل هذا ويبحث عن جديد . .

يعنى نحن أصبنا بالإحباط الوطنى سنة ١٩٦٧ وطبعاً نتج عن هذه المأساة انكسار فى الروح الوطنية والذى أدى بدوره إلى استفحال الروح الفردية حتى أصبح بعض الناس يقول : «أنا وبعدى الطوفان» وفقد بعض الناس الانتماء إلى الوطن كفكرة أو هدف أو مشروع قومى ، ثم استعدنا بعد ذلك توازننا بالتجربة الديمقراطية الموجودة وبإحساسنا بحرية القول وحرية الفعل .

● ويمكن انتصار سنة ١٩٧٣ عالج جراح النكسة ؟

- انتصار سنة ١٩٧٣ أو الأداء العظيم ، أنا أود أن أفرق بين انتصار سنة ١٩٧٣ وما بعده لأن الأداء العظيم للجندى المصرى وللمواطن المصرى سنة ١٩٧٣ أثبت مما لايقبل الشك أنه عند الأزمة يصبح الوطن كتلة من العمل الحقيقى والأداء الذى يرتفع إلى مستوى المسئولية ، والانتصار طبعاً خفف من وطأة الإحساس بالهزيمة أو انكسار الروح الوطنية أو الهوان الذى شعره المصريون ، لكن للأسف بعد انتصار سنة ١٩٧٣ لم يستمر نفس مستوى الأداء الذى تم على أرض المعركة فى المؤسسات المدنية .

● إذن روح أكتوبر التى دائماً مانتشدق بها لم تتخلل أوصال الحياة المدنية بنفس الأداء الرائع الذى كان بين أفراد القوات المسلحة ؟

- كان المفروض أن هذا الأداء ينتقل إلى كل موقع من مواقع العمل وإلى كل موقع من مواقع الإنتاج . طبعاً مازال أداء العامل المصرى

شريفاً وعظيماً فى كل مواقع إنتاجه ، لكن ما أريد أن أقوله إنها عجلة يجب أن تشمل كل المجتمع كمجتمع وتجعله يتجه نحو التقدم ، وهذا لايتحقق إلا بالإنتاج الذى بدوره يحقق دخلاً قومياً يكفينا لكى نستقل ونمتلك إرادة حرة عن بقية الدول .

لقد نجحنا فقط فى شىء واحد ولم نستثمر هذا النجاح . . أنا لست سياسياً . . كان المفروض أن يتحول هذا الأداء فى سنة ١٩٧٣ إلى مشروع قومى ننصهر فيه جميعاً ، وهذا ما جعل أولادنا الآن منفصلين عنا ، أو عن الحياة ، لم يعد هناك حلم قومى ، حلم الشباب الآن أصبح أن يمتلك مسكناً وسيارة ، فى حين أننا فى شبابنا وعندما كنا طلبة فى الجامعة لم نكن نسأل عن كم سنأخذ عندما نتخرج ، لكن عما سنصبح بعد التخرج ، طبيب ؟ مهندس ؟ ضابط ؟ أم أستاذ فى الجامعة ؟ ولكن الشباب الآن يتساءل عن كم سيتقاضى بعد تخرجه وهذا هو الفرق !

وهذا يعد خللاً اجتماعياً لابد من معالجته سريعاً ، ونعالجه ـ فى تصورى ـ بمشروع قومى ينتظم هؤلاء الشباب ، ونحن والحمد لله نمتلك ثروة ثقافية لاتقدر بمال ، فنحن نمتلك حوالى ٥٥٪ ـ ٦٠٪ من آثار العالم ، ومن الممكن استغلالها سياحياً أو ثقافياً أو غيره وغيره . ، عندنا أرض خصبة جداً على طول سيناء وعرضها ، أراضى تنتظر سواعد الشباب كى تزرعها ، كذلك الوادى الجديد ، ٤٥٪ من مساحة مصر ، أرض خصبة ، ولاتحتاج لزراعتها إلا أبسط الوسائل ، فإذا كانت سيناء محتاجة للمياه فعلى الدولة أن تحفر الآبار وتترك الأرض للشباب ليزرعوها

المياه موجودة فى باطن الأرض ، فنحن نمتلك كنوزاً من المياه الجوفية والتى ستصبح فى العقد القادم أهم كثيراً من البترول ، فمن يمتلك البترول اليوم هو الغنى ومن يمتلك المياه الجوفية غداً هو الأغنى وبهذا المفهوم نحن الأغنياء .

●●● أزمة المثقفين مع السلطة :

● الحقيقة أنها رؤية عامة ثرية جداً من الأستاذ الدكتور سمير سرحان، وأود أن أذكرك بما أنك تحدثت عن جيل ثورة ٢٣ يوليو الذى تنتمى إليه وهو جيل الخمسينيات والستينيات ، لعل حضرتك تذكر ما طرح فى الستينيات تحت عنوان «أزمة المثقفين» . . أسألك هل تقر بهذه التسمية لجيل الستينيات الذى عاصر أزمة المثقفين ؟ وإلى أين ترى هذه الأزمة قد وصلت ، هل اختفت أم مازالت موجودة ؟

ـ أنا لى رأى يمكن أن يكون غريباً ، ولم يتداول كثيراً ؛ إن ماسمى بأزمة المثقفين فى الستينيات كانت أزمة المثقفين مع السلطة ، بمعنى أن السلطة كانت تشك فى المثقفين فى الستينيات ، وكانت تعتبرهم فى موقف العداء، لماذا ؟ لأن المثقف بطبيعته لابد وأن يختلف مع الواقع ؛ المثقف حالم كبير لابد أن يحلم ، يحلم بماذا ؟ يحلم بمستقبل أفضل!! عندما جاءت الثورة تخيلت أنها حققت هذا المستقبل وانتهى ، ولم يعد هناك حلم نحلم به إلا استمرارية الثورة بشكلها الحالى ، لكن المثقف عندما اختلف مع الثورة فى البداية حتى من داخلها بدأت السلطة تشك

فى نواياه سواء كان هذا المثقف على يسار السلطة أو يمينها . وكما تعلم كانت هناك مصادرات لمسرحيات فى الستينيات وأنا أستطيع أن أذكر بعضها كمتخصص فى النقد المسرحى ؛ أكثر من مسرحية تحدثت ـ بالإسقاط السياسى ـ عن شخصية جمال عبد الناصر ، وكلها من واقع الحب له لكن فى إطار نقد لبعض أعماله أو سياساته خاصة فيما يتعلق بحرب اليمن مثلاً ، عندما نقدها عبد الرحمن الشرقاوى فى «الفتى مهران» أو فيما يتعلق بسياسات مثل توجيه الدولة أو شمولية الحكم فى الدولة أو حرية التعبير . فبدأ هذا التوجس ينشأ بين السلطة والمثقفين ولذلك نحن كلنا نذكر أنه فى بداية الثورة حدثت فجوة بين الثورة وبين مؤسسة ثقافية هامة جداً وهى الجامعة ، خرج بسببها كثير من أساتذة الجامعة فى إطار ماسمى بالتطهير فى الجامعة ، حيث تصورت الثورة أنهم غير مؤمنين بأفكارها ، . ولم يكن هذا عدم إيمان إنما هو استقلالية التفكير الجامعى التى تحتم ذلك على الأستاذ ، وإلا يصبح مدرساً وملقناً للتلاميذ ، لأن الأستاذ الحقيقى هو الذى يتمتع باستقلالية الفكر والتى تمكنه من تكوين رؤيته الخاصة لما يجرى على أرض الواقع . وما حدث أن الثورة كانت تريد فى البداية أن تطابق بين أفكارها وأفكار المؤسسات الثقافية سواء المؤسسة التعليمية أو المثقف ، ولما لم يحدث هذا والأمر قد وصل إلى درجة لا أريد القول بأنه وصل إلى المرحلة التى وصل إليها فى ألمانيا النازية عندما كان جوبلز وزير الإعلام عند هتلر يقول :

«عندما كنت أسمع كلمة مثقف أتحسس مسدسى» .

لكن ظل المثقف المصرى مؤمناً فى داخله بالثورة وأهميتها وبالتغير الاجتماعى الهائل الذى أحدثته الثورة ، لأنه بلا شك رغم هذا التوجس الذى قام بين المثقفين والثورة والذى سبب أزمة المثقفين ، ظلت الثورة أكبر حدث فى تاريخ مصر المعاصرة ، لأنها أدت إلى تحولات اجتماعية هائلة جداً يستفيد منها الآن جيلى وستستفيد منها الأجيال القادمة . . المؤسسات الثقافية والتعليمية والقلاع الصناعية التى قامت وكل هذا ، أنا تعلمت مستفيداً من مجانية التعليم فأنا رجل فقير ، ولو لم تكن الثورة كفلت لى مجانية التعليم فى الجامعة لم أكن لأتعلم ، ففرصة التعليم جاءتنى ولغيرى من الملايين عن طريق الثورة ، وبالتالى فإن الثورة أنتجت طبقة من التكنوقراط ومن المتعلمين ومن المتخصصين فى شتى أنواع التخصص . .

بالنسبة للمثقفين هذا الشكل تم مابين سنوات الثورة الأولى وحتى سنة ١٩٦٧ . ، بعد سنة ١٩٦٧ وبعد انكسار الروح القومية الذى حدث نتيجة الهزيمة فى الحرب ، أعتقد أن المثقفين أنفسهم بدأوا يشعرون بشيئين ؛ العجز عن المشاركة حتى لاتصل الأمور إلى هذه المأساة ، وهم أنفسهم انكسرت روحهم، وكثير منهم توقفوا عن الكتابة لسنوات مثل نجيب محفوظ . . الحركة النقدية نفسها توقفت ، الحركة الإبداعية أصبحت حركة سوداء ، أى أن الحلم تحطم ، والمثقف لايستطيع أن يعيش بدون حلم ، ظل الحال هكذا حتى وجدنا فى السنوات الأخيرة السلطة وقد بدأت تثق فى المثقفين ووجدنا على الأقل

احتراماً شديداً من جانب السلطة لدور المثقفين ، بدليل أن رئيس الجمهورية ، ولأول مرة ، يفتتح معرضاً للكتاب ، هذا من واقع تجربتى الخاصة ، لم يحدث ، قبل ذلك أن قام رئيس جمهورية فى مصر أو حاكم من مصر من عهد مينا وحتى عهد الرئيس الراحل أنور السادات أن يفتتح معرضاً للكتاب أو أى مناسبة ثقافية محضة غير الرئيس مبارك .

●●● تغير النظرة للمثقفين :

● الاستاذ دكتور سمير سرحان لقد أكدت أكثر من مرة خلال هذا الحوار أن المثقف بطبيعته إنسان يحلم بغد أفضل ولذلك لابد وأن يختلف مع الواقع مهما كان الواقع جميلاً لكن بالنسبة للمثقف المعاصر هل مازالت هذه الفجوة بين الحلم والواقع موجودة أم أنها زالت بحكم هذه المصالحة بين السلطة والمثقفين ؟

- نحن لانطلق عليها مصالحة وإنما احترام السلطة للمثقفين . . واعتماد السلطة على المثقفين كقوة مؤثرة فى المجتمع ، ما أريد قوله هو أننا لابد أن نفرق بين كون المثقف لايعانى من مشاكل مع السلطة الآن لأن هناك حرية رأى وحرية فكر واحترام من السلطة للمثقف ودوره ، ولكن أيضاً نفرق بين هذا كوضع للمثقف ودوره ، ولكن أيضاً نفرق بين هذا كوضع للمثقف فى المجتمع وبين الوظيفة التى يقوم بها المواطن المثقف أو دوره ، أى أن دوره يختلف عن وضعه ، فوضعه يحظى بالاحترام والثقة الكاملة ، وهناك ثقة متبادلة بينه وبين السلطة ، ففى

هذا العصر لم يكد قلم ولم يصادر رأى ، وكل شىء يقال بوضوح ، بل بالعكس فإن الحاكم الآن يسعى إلى أخذ رأى المثقفين فى بعض المشاكل ، ولايعتقد أنه المفكر أو العبقرى الأوحد ، يحترم التخصصات ويعى أن كل مشكلة لها لغة ، إنما على الجانب الآخر مازال المثقف يلعب دوره وعليه أن يلعب دوره بإصرار ، وهو أن يختلف مع الواقع أيضاً وينشد رؤى أفضل وهذه الرؤى مطلوبة من القرار السياسى لأن هذه الرؤى الأفضل من الممكن أن يبنى عليها قرار سياسى أفضل .

●●● الحرية + الأمان + السلام + الاستقرار = حلم د . سمير سرحان :

● هل نستطيع القول بأن ما طرحته من بعض الأفكار فى بداية الشهادة عن تغيير السلبيات الموجودة فى بعض الجهات والارتفاع بمستوى الأداء هذا جزء من حلم الأستاذ الدكتور سمير سرحان وجيله فى هذا العصر ؟

ـ هو أنا حلمى يمكن أحب أن ألخصه فى بعض نقاط :

الحق فى الحرية (حق المواطن) .

الحق فى الحياة آمناً سليماً على وطن مستقل .

الحق فى السلام بكل معانيه ، السلام السياسى والاجتماعى والسلام النفسى حتى فى داخلى .

الحق فى المساواة وهذا ينطبق على الرجل والمرأة وعلى عناصر الأمة المختلفة ، المساواة فى كل شىء .

الحق فى التعليم ، التطبيق العادل للمعرفة .

الحق فى الإعلام .

الحق فى الثقافة .

الحق فى المشاركة الفعالة فى تقدم الوطن .

● **نستطيع أن نعتبر هذا دستوراً مصغراً ؟!**

ـ هو هذا ، أنا أتصور أن العالم المعاصر يقوم على هذا ، وإلا فإن الدولة تتفكك والمواطن يتفكك . ونريد أن نقول إنه ليس كافياً أن تكفل الدولة بل لابد أن ينتزع المواطن هذه الحقوق ، . أن يتطابق جهد الدولة مع جهد الأفراد فى توفير هذه الحقوق ، وبالتالى سيصبح المجتمع فى حالة تفاعل وإنتاج .

●●● وزارة الثقافة وعاء لتنظيم الابداع :

● **الأستاذ الدكتور سمير سرحان . . فى مقارنة سريعة نذكر دور الرواد والمثقفين والصالونات والباشوات والأمراء قديماً فى احتضان الفن والثقافة والمثقفين ، وبين مايحدث الآن من تجاهل من البعض لإبداع البراعم . . فهل من وجهة نظرك استطاعت وزارة الثقافة أو الدولة بوجه عام أن تحل محل محتضنى الثقافة والمثقفين من باشوات وأمراء قبل الثورة ؟**

ـ هو هذا كان التصور من إنشاء وزارة الثقافة . . أى أن وزارة الثقافة لابد وأن تحل محل الجهود الخاصة سواء كانوا أمراء أو أثرياء ، كان

الأثرياء هم الذين يرعون الثقافة . . وكلنا نعرف أن محمود خليل هو الذى بنى هذا المتحف العظيم الذى نناقش الآن هل نبيع لوحاته أم لا ! وإن كان تقرر عدم البيع ، وهذا دور تاريخى يقوم به الأثرياء على المستوى الإنسانى حتى فى العالم كله ، من أول عصر النهضة حتى عصر الثورة الصناعية الأولى ، كان دائماً الأمير أو الثرى أو النبيل يحتضن الشاعر أو الرسام ويوفر له فرصة الإبداع ، يعنى لم يكن هناك مؤسسات تنظم الإبداع الثقافى ، عندما جاءت ثورة ٢٣ يوليو رأت أنه لابد من خلق وعاء ينظم الإبداع ويتيح له الفرص المختلفة، لأن وزارة الثقافة لاتصنع مبدعين ، وزارة الثقافة لاتكتب القصة أو المسرحية .

● وإلا أصبح تأميماً للإبداع ؟

ـ الإبداع هو عملية فردية فى الدرجة الأولى ، لكن لابد له من أوعية تشجعه وتوفر له الفرص ، تفتح له المتاحف ، المسارح ، القنوات ، هذه القنوات هى وزارة الثقافة . . وهى قناة تشجع الإبداع أو إظهاره أو بلورته ، طبعاً فى البداية كان من الممكن أن يكون دور الوزارة هو توجيه الإبداع . . وهذا هو الدور التقليدى الذى كانت تلعبه وزارات الثقافة فى العالم الاشتراكى فى الستينيات ، لكن فكرة وزارة الثقافة هى فكرة مقتبسة من الدول الاشتراكية ، ولذلك فإن كل الأبنية الثقافية الموجودة حالياً هى أبنية موجودة فى الستينيات ، بما فيها هيئة الكتاب .

أن يكون الكتاب خدمة ثقافية وليس سلعة ، هذه فكرة اشتراكية ،

أن تقام مؤسسة للثقافة الجماهيرية لنشر الثقافة العامة بين المحرومين سواء فى القرى أو النجوع ، هذه فكرة اشتراكية أيضاً ولذلك سميت بالثقافة الجماهيرية . . تأميم السينما فى الماضى لفرض سيطرة الدولة على الإنتاج السينمائى ليس فقط كفكر لكن لرفع مستواه، وألا يتركوه فى أيدى التجار وأيدى الناس الذين من الممكن أن يخربوا الوجدان العام بأفلام هابطة ، مخدرات وجريمة إلى آخره ،تحديد مستوى للفكر السينمائى بتدخل الدولة ، هذا فكر اشتراكى .

● **كان هذا الطابع العام لهيمنة وإشراف وزارة الثقافة على الثقافة المصرية فى ذلك** الحين . .

ـ الآن وزارة الثقافة تتطور لتصبح وزارة تشجيع الإبداع و إطلاق حرية الإبداع فى كافة المجالات دون فرض سياسة معينة أو أيدلوجية معينة ، إطلاق حرية الإبداع تظهر دائماً فى كل جيل ، يقول لك لماذا الجيل الجديد لايأخذ فرصته ؟ لأن أى مجتمع دائماً مايسيطر عليه طبقة من الحكماء أى المثقفين والراسخين ، وهم طبقة الخالدين الحكماء وهم الذين أخذوا فرصهم وأصبحوا رموز المجتمع . وعندما يكون عندنا فى مجتمع مثل مجتمعنا رموز بهذه الكثرة حيث أننا أغنى دول العالم الثالث بالرموز الثقافية فيصبح من الصعب على الجيل الجديد أن يظهر وسط كل هذه الرموز ، هنا يصبح واجب وزارة الثقافة أن توفر له هذه القنوات كل تخلق رموزاً جديدة تطاول الرموز القديمة . لكن لكى نخلق رموزاً جديدة فإنه بطبيعة الأمور وبطبيعة الوضع الإنسانى لابد وأن تختلف هذه

الرموز الجديدة مع الرموز القديمة أو تثور عليها وهنا يصبح فى المجتمع شىء مـن المقاومة لفكرة أن ندمر أو نحطم أو حتى ننقد الرمـوز القديمة.

●●● التليفزيون آه من التليفزيون :

● أستاذ دكتور سمير سرحان فى خضم تعدد ظواهر هذا العصر ، التقدم العلمى المذهل التكنولوجى والثورة التكنولوجية وأنت قد أشرت إلى الكمبيوتر ولم تشر من قريب أو بعيد إلى التليفزيون وكأنك تتجاهل المنافس الأول للكتاب أو الذى جعل الكتاب ـ للأسف الشديد ـ يتراجع فى هذا العصر أمام سحر التليفزيون ؟

ـ أود أن أقول إن التليفزيون جزء من الثورة التكنولوجية ، بل هو جزء هام جداً منها لأنه جهاز توصيل المعلومات بشكل سريع جداً وبشكل جماهيرى جداً وليس هناك منافسة بين الكتاب والتليفزيون ، أو المفروض ألا يكون ، لعدة أسباب ، لأن الكتاب سيظل على مدى البشرية هو الوسيلة الوحيدة المتعمقة ، وهو الوسيلة الوحيدة أيضاً أو يكاد يكون الوسيلة الوحيدة للتعليم ، لأنك فى التعليم لن تقدر على الاستغناء عن الكتاب سواء فى المدرسة أو فى الجامعة أو فى البحث العلمى ، إذن الكلمة المطبوعة ستظل لها احترامها فى الثقافة العامة ، وإن كان الكتاب يتراجع بعض الشىء لأنك تعطى للفرد صندوقاً سحرياً بالصوت والصورة واللون وعناصر الجذب المختلفة ، بحيث يستطيع أن يجلس

أمامه ويتلقى تلقياً سلبياً ، أما القراءة فهى نوع من التلقى الإيجابى ، لأنك تبذل مجهوداً . . ولا تستخدم حاسة واحدة وهى البصر ، ثم إنك تعيد خلق المادة المقروءة فى ذهنك ، إذن أنت هنا مشارك لامتلقٍّ ، تعيد خلق الفكرة ، أما الصورة فتعطى لك الصورة مجسدة ، كاملة ، وفى زحام الحياة الحديثة والمواصلات الصعبة وكل معطيات الحياة ؛ اليوم الذى يبدأ وينتهى بمنتهى االسرعة لازدحامه بكثير من الأشياء يكون الإنسان فى حاجة إلى التلقى السلبى ، إلا إذا كان يتعمد تثقيف نفسه فى مجال من المجالات ، هذا عن خطورة التليفزيون على القراءة ، لكن إذن من الممكن استخدام التليفزيون استخداماً جيداً إما بالتشجيع على القراءة و إما فى إعادة القارىء إلى الكتاب ،، واستعادته للكتاب .

● **كيف ؟**

ـ كثير جداً من الناس لم يكونوا يعرفون زكى نجيب محمود وكانوا عندما يجدون مقالاً له فى الأهرام لايقرأونه ، يمكن لطوله أو لصعوبة أفكاره ، كثير من كتبه موجودة وبها هذا الفكر العظيم لكن توزيعها محدود ، لكن عندما ظهر زكى نجيب محمود على الشاشة فى ساعة كاملة وقدم أفكاره فى هذه الشكل السلس الواضح ، قال لى ناشره أن مبيعاته زادت منذ ذلك الحين أضعافاً مضاعفة ! إذن الفكر ممكن أن يصل عبر التليفزيون فيحث المشاهد على البحث عن هذا الفكر فى الكتب ، إذن هنا التليفزيون يعيد القارىء للكتاب .

● مثال آخر هو روايات الكاتب الكبير نجيب محفوظ عندما عرضت على شكل أفلام أو مسلسلات ؟

ـ نفس الفكرة ، أنا ابنى اشترى الأعمال الكاملة لنجيب محفوظ وقرأها ، وعندما تصبح المتعة متعة ، متعة استشعار العمل الفنى كفكر وكلغة وكصور فنية وشعرية . . طبعاً أعود وأقول إن العملية التعليمية تقع عليها المسئولية الكاملة فالمفروض أن نحبب أطفالنا فى الشعر من خلال الكتاب المدرسى بدلاً من :

مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

وهذه قصيدة عظيمة لكن لاتحبب الطفل المصرى فى الشعر ، المفروض أن أحببه أولاً فى الشعر ثم أعطى له هذا الشعر الصعب .

● هو كان هناك اقتراح من أحد كبار المفكرين وهو أن نعكس العملية فنحن نبدأ مع الطفل من العصر الجاهلى ونتدرج معه حتى نصل إلى العصر الحديث ، والمفروض العكس وهو أن نبدأ أولاً بالشعر الحديث وننتهى بالشعر الجاهلى فى آخر مراحل الدراسة ؟

ـ وكذلك فى الرواية والقصة وكل فنون القول حتى لا أُكْرِهَ الطفل فى أعمالنا العظيمة . وأنا آسف أن أقول إن بعض الآيات القرآنية ـ وكلها عظيمة ـ التى تختار فى حصص الدين لايتناسب مع المرحلة العمرية للطفل . أى إذا أعطينا له الآيات التى تتعلق بالزواج والحمل .

● وهذه تكون صعبة على إدراك الطفل الصغير ويكون الأفضل لو بدأنا بالآيات الكونية مثلاً ؟

ـ أجمل شيء فى القرآن ـ والقرآن كله جميل ـ أن تقدم للطفل قصص القرآن، قصة سيدنا يوسف وسيدنا موسى والتى تجعل الطفل يحب دينه، لغته ، ورموز حضارته الوطنية والدينية .

● ومن السهل أن يفهمها ، والمهم أن د . سمير سرحان فى النهاية لايخشى على الكتاب من متغيرات ومن منجزات ثورة العلم والتكنولوجيا وتغيرات العصر ؟

ـ لا إنما العصر أيضاً بدأ يشد الكتاب إليه ، الآن أصبح هناك كتاب كامل على «ديسك» فالكتب أصبحت لاتطبع على ورق فقط وإنما تحفظ على Computer Discs وستظل الكلمة المكتوبة كخلق فكرى هى سيدة الموقف .

●●● شهادة فى سطور :

ـ هو عصر رائع مضطرب مرّ بتحولات عظيمة ، وأصيب بإحباطات عظيمة ، وأنجز إنجازات عظيمة !

الدكتـورة نعمات أحمد فـؤاد



عصر الخلاص فى العودة إلى المنبع .. الدين !

تاريخ التسجيل ١٩٨٤

- أغانينا الوطنية تعبير عن شعور بالذنب !
- خوفو لم يبن الهرم الأكبر !
- شخصية مصرية بين مفترق الطرق الحضارية .
- القبة هرم .. والمئذنة مسلة .. والمسلة نخلة !
- الكتابة المسجدة والكتابة المجودة ..
- كيف ومتى نتعلم فلسفة التاريخ ؟
- عمارة العصر بين العشوائية والتقليد والتغريب ..
- بين البلدى والألافرانكا !

د . نعمات أحمد فؤاد

هى قطعة من روح مصر تسير على قدمين . . تكتب وكأنها تنقش حروف كلماتها التى تختارها بعناية ، فتصل الماضى بالحاضر والمستقبل ، وتتحدث فيأخذ حديثها بمجامع القلوب ، لدفئه المصرى وعمقه العلمى وصدقه الإنسانى . . استوعبت تراث أعظم حضارة فى العالم ، ودعتنا إلى قراءته قراءة جديدة ، ليس من أجل الماضى ، وإنما من أجل فجر جديد يشرق على حقائق الزمان والمكان . .



● نحب أن نعيش فى فكرك الذى يتسم بالتعددية فى جوانبه . . فقد بدأت أديبة ، ولكن جهودَكِ اتسعت فقرأنا لك فى الموسيقى والفنون التشكيلية ورسائل وتراجم . . غير معاركِكِ الشهيرة ومواقِفِكِ القومية والسياسية . . ولعله يجدر بنا أن نلقى الأضواء على ذلك قبل التوغل فى الشهادة ؟

ـ الحقيقة إنى أرى ذلك التعدد فى الزوايا والجوانب شيئاً طبيعياً ،

لأنى تتلمذت على قمم شامخة سواء فى الجامعة أو خارجها . . ففى الجامعة رأيت أحمد أمين وأمين الخولى وعبد الوهاب عزام . . وخارج الجامعة رأيت د. طه حسين والعقاد وهيكل . . فتعلمت منهم الصبر والرغبة فى الإتقان إلى حد الكمال الممكن للبشر . . ثقافة شاملة فى ألوان المعرفة الأخرى . . لأن المعرفة يكمل بعضها البعض . . حتى لايضيع الإنسان إذا خرج من تخصصه إلى مجال آخر . . ودائماً يقاس الإنسان بما يملكه من قدرات . . لذلك فقد كان تخصصى الأصيل فى اللغة العربية واللغات الشرقية : الفارسية والتركية . . ولكنى علّمت نفسى . . بدأت أعلم نفسى بعد التخرج من الجامعة . . بل بعد الدكتوراه . . فقد اعتبرت الدكتوراه بداية لانهاية . . !

● نبدأ فى الشهادة . . وبداية هل ترصدين هذا الحضور المصرى المكثف . . المتمثل فى عشرات الدراسات والندوات والأغنيات التى تحمل اسم مصر ، وما تقييمك لهذه الظاهرة ؟

ـ أوافق على الحضور كندوات ودراسات . . لأنها لون من العطاء والجدية المثمرة . . أما الأغنيات فإنى أتحفظ عليها . . !

●●● أغانينا الوطنية تعبير عن عقدة ذنب !

ـ فأنا أعتقد أن هناك بعض الأغنيات الجميلة الصادقة . . ولكن يوجد كم هائل من الأغانى عبارة عن طنطنة . . ثم إنى أعتقد أن غناء الطنطنة هو وطنية البسطاء . . أما الوطنية الحقة ، فى مفهومى على الأقل ،

فهى علم بالوطن وعطاء له، وتمثل ومعايشة لآلامه وآماله . . أنا جزء من هذا الوطن . . لذا فكل ذرة تراب وورقة شجر ونسمة هواء أتمثلها وأعتز بها . . بشرط ألا يبقى هذا مجرد كلام . . فأنا يؤلمنى أن أرى السلبيات . . فقد درست تاريخ هذا الوطن واعتززت به . . لكن أن أقول تحيا مصر بِبَبْغاوية . . فهذه ليست الوطنية . . إنك تسألنى عن مفهومى لهذه الظاهرة وتفسيرى لها . . إن تقييمى الصحيح لها أنها تأنيب ضمير نحس به . . إحساس بالنقص أننا لم نعط هذا الوطن ما يستحقه من فداء وعطاء . . لذلك فنحن نغطى هذا الشعور بالذنب بأن نغنى بصوت عالٍ . . لنغطى على وخز الضمير فينا . . ! إنسان داخله مكسور فيغطى الكسر «بالجعجعة» . . فنحن بلا شك نحس بالذنب . . وأننا لانعطى لهذا الوطن ما يستحقه ، فنغطى هذا بأغان خادعة مخدوعة . . ويجب أن نلوم أنفسنا لوماً مضاعفاً لأننا أصحاب حضارة وراثية فى البناء . . فالإنسان العاجز لا يلام ، أما القادر فهو الجدير باللوم :

ولم أر فى عيـوب الناس عيبـا كنقـص القادريـن عـلى التمام

فنحن نملك الكثير، وعملنا الكثير . . وفى ظروف صعبة . . فبعض مراحل حضارتنا نمت فى ظروف صعبة للغاية ، ومع هذا أضفنا فى كل عصر . . فهل إضافة عصرنا الحالى ستكون فى الأغانى ؟ هذا كثير ! !

●●● خوفو لم يبن الهرم الأكبر !

● من دراساتك الهامة «شخصية مصر » التى أوضحت فيها العطاء

المصرى الرائد فى العلم والفن والدين . . وجيل العصر متهم بأنه لايعرف تاريخ بلده . . أولاً : هل توافقين على هذا الاتهام ؛ ثانياً : لو كان هذا الاتهام صحيحاً . . فما هو المطلوب لنضع هذا الجيل على أول الطريق الصحيح ؟

ـ إذا جاز أن هذا اتهام فهو موجه لنا نحن جيل الآباء والأمهات والمعلمين بالدرجة الأولى . . كيف ؟ لأننا لم نعلم أولادنا التاريخ الصحيح لبلدهم . . فعلى أى أساس نتهمهم أو نحاسبهم ؟ أولى بنا أن نتهم أنفسنا فى شجاعة . . أولاً . . نحن علمناهم التاريخ كتاريخ ملوك . . مثلاً نقول لهم إن خوفو بنى الهرم الأكبر . . صلاح الدين انتصر فى معركة حطين . . الخ . . أولاً خوفو لم يبن الهرم الأكبر . . خوفو وقف على الهضبة وقال أنا أريد هنا هرماً . . هكذا طلب من السلطة العليا ، وهو يملك أن يطلب هرماً . . شهادة . . أى شىء ! ليست هذه هى العبقرية . . ولكن العبقرية هى عبقرية المهندس المصرى الذى صمم . . العامل المصرى الذى نقل الأحجار وبنى الهرم . . الجيولوجى المصرى الذى مسح الأرض . . الرياضى الذى حسب الزوايا فى إتقان شديد . . هؤلاء هم الذين بنوا الهرم . . هم الشعب المصرى . .

فلو أنى أعلم هذا للولد ، كان يطلع عنده ثقة فى نفسه . . أنه هو الذى يصنع الأحداث . . وهو الذى يكتب تاريخه . . وهو المشترك فى القرار . .

ثم أقول له إن صلاح الدين انتصر فى معركة حطين . . ولا أقول له إن صلاح الدين كان فى سوريا وكان ابن عمه ملك سوريا ، وأن الصليبيين هاجموا فلا كسبوا معركة ولا حاجة . . ولكنه كسب المعركة حينما جاء إلى مصر . . معنى ذلك أن طاقات مصر كانت وراءه . . بالرجال والمال وحدود الموقع الفريد . . كل إمكانات مصر الحضارية كانت تقف وراءه فى المعركة . . أنا لا أهون من براعة القيادة ، فلابد منها فى المعركة ، لكن لابد من الجنود الأكفاء . .

فنحن نعلم أولادنا أن التاريخ من صنع أفراد . . الأفراد نحن الذين صنعناهم . . ولن يكونوا إلا بنا كشعب . . فكيف نلوم هذا الجيل . . ؟

● الشق الثانى من السؤال هو : ما المطلوب لنضع أقدام هذا الجيل على أول الطريق الصحيح ؟

ـ أولاً أن نكف عن أسلوب التلقين . . أسلوب «تعليب» الأولاد بدلاً من «تعليمهم» . . ! أى أن أضعهم كلهم فى علبة واحدة على اختلاف مواهبهم وقدراتهم وإمكاناتهم . . عملية تلقين مستمرة وحشو دماغ بمعلومات تفرغ على أوراق الإجابة ، وبعد ذلك ينسى الولد كل هذا لأنه لم يشترك فيه . المفروض أن أشركه معى بالحوار . . فالتعليم فى الفصل المدرسى غير التعليم فى الطبيعة الأم . . المفروض أن آخذه معى إلى النيل مرة ، والهرم مرة ، والمتاحف مرة . . والأرض والشجر . . وكل ذرة تراب أو رمل على أرضنا . . يمشى عليها وتدخل فى تكوينه . . هذا هو التعليم

الذى لايمكن أن ينساه . . ثم يأتى بعد ذلك الخلق أو الإبداع بعد أن يتكون الأطفال أقسمهم حسب هواياتهم ومواهبهم . . فهذا موهوب فى التعليم النظرى ، وهذا فى الصناعات أو الناحية العملية ، وهكذا ، . فلا أحشرهم كلهم معاً كما يحدث الآن حينما نقول فى الثانوية العامة سنأخذ بالمجموع ، فنشد كل الأسر التى تلهث إلى الدروس الخصوصية من أجل المجموع ، ثم مكتب التنسيق . . بحيث تغير نصف درجة مسار إنسان . . ثم بعد أن يتخرج من الكلية . . نأخذ خريج الهندسة مثلاً وأوظفه فى شركة مياه غازية . . وخريج الزراعة فى أعمال تجارية . . هل هذا معقول؟! إذن لماذا كان التنسيق والحشر والتعليم من البداية؟!! لابد من تغير جذرى للتعلم فى بلادنا . . لازم نفوق !

● إذن المطلوب مراجعة فلسفة التعليم بحيث يصبح تعليماً لاتعليباً؟

ـ ليس فقط الفلسفة وإنما الأسلوب أيضاً . . أسلوب التعليم وأسلوب وضع المناهج . . وأسلوب التوزيع . .

●●● الشخصية المصرية ومفترق الطرق الحضارية :

● يعنى حضرتك ذكرت كلمة أسلوب . . وأنا أود أن أوسع استخدام هذا اللفظ وأسألك : هل نحن حقاً فى حيرة أمام الاتفاق على أسلوب أو هوية محددة تقودنا فى مفترق الطرق الحضارية ؟

ـ طبعاً نحن فى حيرة شديدة كل الناس يلاحظونها . . لقد كنت أحضر مؤتمر الذاتية الحضارية ، وكنت أتحدث عن استمرارية

الشخصية المصرية واتصالها ، وشواهد إنجازاتها عبر العصور . . وإذا بأحد الحاضرين ، وهو أستاذ فرنسى يقف ويصيح بما معناه الآن تقولون: إنكم مصريون وقبل ذلك كنتم تقولون إنكم عرب ! وفعلاً شعرت بوخز شديد . . فالشاهد أنه توجد ذبذبة ، بل زلزلة موجودة ويلاحظها حتى الغرباء . . وهذا يظهر لك الارتجالية فى كل شىء . . يعنى لا توجد لدينا ثوابت . . نختلف . . ولكن يشعر كل واحد منا بمدى البلبلة التى يتعرض لها أولادنا . . فما كان أبيض بالأمس يصبح أسود اليوم . . والمفاهيم تتغير . . خلط وتخليط وعشوائية فى كل شىء . . وليس فقط الأولاد ، وإنما نحن نبلبل الكبار أيضاً عن طريق الإعلام .

●أراك قد آثرت التجاوز عن ملاحظة الأستاذ الفرنسى الذى قابلك فى المؤتمر ؟!

ـ لا . . أنا لم أتجاوزه ، ولايمكن أن أتركه بدون رد . . لكن أنا فى قرارة نفسى أعطيه بعض العذر فى ألا يفهم ما نقول . . فما التعارض فى أن نكون مصريين وعربا فى نفس الوقت ؟ إننا مصريون أصولاً . . وعرب ثقافة ولسانا . . ومسلمون ومسيحيون عقيدة . .

نحن مصريون أولاً لأن مصر قبل الأديان . . ثم جاءت الأديان . . ومن حظ مصر ومما يحسب لها أنها بعقل مفتوح وراجح وأفق واسع وثقة فى النفس وقدرة على التطور . . ناقشت الأديان ثم اعتنقتها ثم أضافت إليها . . أخذت منها وأعطتها .

●●● المد الديموقراطى ! :

● هل ترصدين فى رؤيتك اليوم هذا المد الديموقراطى الذى نحياه . . وهل ترصدين فيه نزوعاً نحو ظاهرة نقدية تجسِّم عيوب الآخرين فقط ؟

ـ لاتؤاخذنى . . أنا غير موافقة على كلمة «مد» ديموقراطى «وجزر» ديموقراطى ! إما ديموقراطية وإما لا . . من حق هذا الشعب أن يحيا حياته ويحكم نفسه بنفسه . . ويقول لا بكل صراحة ووضوح . . لكن «مد» ديموقراطى فيه نوع من المن على الشعب . . وهو لا يمن عليه أحد . . فهو مصدر السلطات . . أو هكذا يجب أن يكون . . وهو صاحب العطاء بعد الله . .

كما أنى لا أوافق على أن هناك ظاهرة نقدية تجسم العيوب هذا إرهاب . . لأن الذى سينقد سيقولون له إنك تجسم العيوب ! طيب اشمعنى النفاق أليس تجسيماً للحسنات؟!! هذا بفرض أن هناك حسنات! . . أنا أرى أن النقد نوع من المحبة . . لأنى أقرّع ابنى حينما يخطىء لأنى أحبه وأريد له الخير . . نفس الشىء مع وطنى . . حينما أرى به عيباً يجب أن أدق الأجراس . . ناقوس الخطر . . لأنى أخاف عليه . . ملهوفة عليه . . لكن إذا استمر الإنسان طول الوقت يحرق البخور فما هى النتيجة ؟ افرض أن الإنسان أجاد . . ماذا فى هذا . . المفروض أن يجيد وأن يحسن عمله ويعطى عطاءه . . لكن هل أظل طول الوقت أصفق؟ غير معقول . . لماذا نعتبر النقد تجسيماً للعيوب ولا نعتبر النفاق تبديلاً وتزويراً ؟!

● **ولكن يا دكتورة «أنت التى ذكرت اصطلاح «ظاهرة نقدية تجسم عيوب الآخرين فقط» وذلك فى كتابك «شخصية مصر » ؟**

ـ لا . . أنا لم أقصد بها هذا المعنى ! أنا كنت أقول إننا لابد أن نعرف أنفسنا . . يعنى حتى عبارتى بالنص ـ إذا أسعفتنى الذاكرة ـ تقول : «فى غير تهويل أو تهويم» لأننا من طبعنا منذ عصور الضعف أننا إما أن نبخس أنفسنا أو أن نبالغ فى تقديرها . . أنا لا أريد هذا ولا ذاك . . أنا أريد تقنينا دقيقاً لكى نستطيع تحديد طريقنا . . هذا ما قلته .

● **ولكن الديموقراطية التى نحياها الآن . . لاشك أنها واقع حى نلمسه جميعاً ولاشك أنك تلمسيه ؟**

ـ إنك تبالغ . . إننا نرجو أن نعيشها كما نتمناها وكما نراها فى البلاد الديموقراطية الحقيقية . . هذا الشعب مارس الديموقراطية منذ القرن التاسع عشر . . وكانت هناك نماذج عليا لحرية الرأى .

●●● قيم خالدة فى تاريخ مصر :

● **فى معركة التنمية التى نعيشها ، ونحن نحمل تراث سبعة آلاف عام من حضارة متصلة غير منقطعة . . فيها الإيجابيات وفيها السلبيات . . فى رؤيتك الآن . . ماذا نأخذ وماذا نترك فى مسيرتنا من تراثنا ؟**

ـ يبدو أننى سأختلف معك مرة ثانية ، واختلاف الرأى لايفسد للود قضية .

طبعاً يا دكتورة . . وليس معنى إلقائى لأى سؤال أننى أطالب ضيفى بالموافقة عليه . . بل مطلوب مساحة أوسع للاتفاق والاختلاف والجدل حتى يتبين الحق . .

ـ وهذه هى الديموقراطية ! أما ما أختلف معك فيه فهو حكاية حضارة السبعة آلاف سنة . . لقد قال أحدهم ذلك مرة ثم سار الجميع وراءه ! هذا خطأ . . لأن حضارة مصر عمرها عشرات الألوف من السنين . . بدليل أنه فى قاعة العصر الحجرى بالمتحف نجد إنجازات الفنون وأعمالاً بالغة الروعة . . وتوجد آثار عمرها خمسة عشر ألف وعشرون ألف سنة . . ومعنى ذلك أنه سبقها تحضير عشرة آلاف سنة أخرى . لكى تصل إلى هذا الكمال . . فحكاية السبعة آلاف سنة هذه مجرد التاريخ المكتوب . .

لقد كانت مصر أول بلد تتخطى مرحلة الصيد إلى مرحلة الرعى التى تخطتها بسرعة ودخلت مرحلة الزراعة . . والزراعة باب طويل من أبواب الحضارة . . لأن مصر زرعت فصنعت ، وزرعت فلونت ، وزرعت فآمنت، ورسمت وغنت وشعرت وعملت الكثير . . لذلك فإننى أعتبر أن حكاية السبعة آلاف سنة هذه فيها غبن شديد لمصر . .

أما ما أختلف فيه معك بعد هذه النقطة فهو قولك إن التاريخ فيه السلبيات والإيجابيات .

● **أقصد أن التراث ليس كله إيجابيات . . ففى بعض عصور**

الضعف توجد إضافات سلبية للتراث . . والسؤال كان ماذا نأخذ وماذا نترك . . أى ماذا نتخير من تراثنا للغد ؟

ـ المسألة ليست بهذه البساطة . . يجب إعادة دراسة التاريخ دراسة تفلسف الحدث ولاتكتفى بسرده . . لأن سرد الأحداث يحول التاريخ إلى حدوتة . . بينما التاريخ أعلى من هذا بكثير . . وماذا تعنى فلسفة الحدث؟ مثلاً اليابان أخذت تصريحاً منذ فترة قريبة أن تحضر إلى منطقة الهرم وتبنى هرماً . . وحشدت كل الوسائل العلمية وتكنولوجيا العصر . . فكانت النتيجة انها بنت هرماً قميئاً ، خجلت منه ، فهدمته وانصرفت !

هذا الأمر لا أمر عليه بسهولة . . فهذا الشموخ الشامخ للهرم . . كيف تم ؟ بأبسط الوسائل . . هنا فلسفة الحدث . . إن مصر أعطت هذه الإنجازات الرائعة والمبدعة بأبسط الوسائل . .

هنا الوقفة ، وهنا الرد على الذى يقول «أنا فى إيدى إيه؟» . . أو «أنا حاعمل إيه؟» . . أريد تكنولوجيا مثل التى فى أوروبا لكى أعمل مثل الذى فى أوروبا !! أبداً مصر بأبسط الوسائل عملت بالفعل . . هذا مؤشر هام يهم مصر المعاصرة الآن . . إن المسألة ليست تكنولوجيا فقط . . إنما المهم الإرادة والإيمان . .

●●● روح مصر :

ـ وسأروى لك حكاية بسيطة . . «الذهبى» فى «العبر» يحكى أن الإفرنج حاصروا دمياط عام ٦١٦ هـ ووقعت معارك شديدة . . وعام

٦٢٨ هـ حدث فيضان شديدة وعام ٦٢٩ هـ حدث غلاء شديد ، وعام ٦٤٢ هـ حدث وباء شديد . . وعام ٦٤٨ هـ حدث غلاء شديد . . ! ثم بعد كل هذا فى عام ٦٥٨ هـ خاضت مصر معركة عين جالوت ضد التتار وانتصرت ، وانتصرت بانتصارها المنطقة كلها . . فمصر هى التى وقفت فى وجههم بعد أن اكتسحوا كل المنطقة وهزوا عرش الخلافة فى بغداد وألقوا كتب بغداد فى النهر ووطأوها بسنابك خيلهم . . وبعد كل هذا مصر وقفت وأنقذت الخلافة والتراث والحضارة . . وبهذا لم يكن انتصارها انتصاراً فى معركة ، وإنما كان نصراً للتاريخ والتراث والحضارة والقيم . .

وفى نفس الوقت بنت مصر الجسور والقلاع والمساجد فيها وفى الشام وجددت الجامع الأزهر والمسجد الأموى . . وفى عام ٦٨٢ هـ بنت البيمارستان . . كل هذا بنته وسط الحروب والأوبئة والمجاعات والأمراض . . بنت ورفعت المساجد التى ترتفع مآذنها وكأنها طموح مشتاق يرتاد آفاقاً علوية . . فنلاحظ أن المئذنة فى العصر الصليبى تطلع من المثمن للمربع للمستقيم . . يعنى فيها نوع من «المجاهدة» يعبر عنها الفنان التشكيلى . . هنا فلسفة الحدث . . أنه رغم كل هذه المحن إلا أن قومنا فى أنفسهم من الإيمان العميق ما يجعل من هذا الإيمان مرفأ ترسو عليه أقدامهم . . معنى ذلك أن الفحمة السوداء تتوهج وينصهر الجمر الصلب إلى حجر كريم . . لأننى حينما آخذ الحجر من الجبل فأبنى به مسجداً أو مدرسة فإننى أحوله إلى حجر كريم ! معنى كل ذلك أن مصر

تستعلى على المحنة وتقهر الصعب . . وأن مصر فى تاريخها لم تعرف حائط المبكى . . لكنها كانت عظيمة فى آلامها وكبريائها . . هذه هى روح مصر . . وهذه فلسفة الحدث . . وليس مجرد أن صلاح الدين عمل أو محمد على أو خوفو . . نعم عملوا لكن نحن عملنا . . نحن الفاعل الحقيقى .

●●● مطلوب إعادة كتابة التاريخ :

- إننى أريد إعادة كتابة تاريخنا . . كغاية سرداً . . المهم فلسفة الحدث نفسه لأنها مؤشر للأجيال . . لأنها تعطيها الثقة . . لكن إذا كان واحد هو الذى يعمل كل شىء، فسنظل نعتمد على هذا الواحد . . وهذا هو حكم الفرد . . !

●●● فجر الضمير :

● لقد ظل التدين العميق أحد المقومات الأصيلة لشعب مصر منذ آلاف السنين . . فما هو واقع التدين فى مصر الآن فى رأيك ؟ وكيف نحتفظ به صفة إيجابية فى الإنسان المصرى المعاصر . . فى معاملاته وحياته اليومية ؟

- إنك تشير إلى حاجة معينة . . ولكنك تغفلها ! لكنى فاهمة ما الذى تريد أن تقوله . . ويبدو أننا هنا سنتفق سوياً بعض الشىء بعد أن اختلفنا !

لاشك أن الشعب المصرى عميق التدين والإيمان بالله . . لأن

حضارته ـ حتى قبل الأديان المنزلة ـ حضارة دينية . . يكفى أنه فى فجر الإنسانية عرف الحق والعدل والخير والضمير . . ومادام الضمير موجوداً فهو أقوىٰ حتى من القوانين . . لأن القانون معناه أن هناك عساكر . . إذا ما اختفى أو تحرك العسكرى يستطيع من يريد أن يخالف القانون أن يفعل ما يشاء . . لكن . . حينما يصبح هذا العسكرى داخليًّا . . ممثلاً فى الضمير . . فهو رقيب وحسيب. مصر عرفت الضمير . . عرفت الثواب والعقاب . . الجنة والنار . . فعرفت التجويد فى العمل . . لأنه يوجد ضمير فى الأولى وجزاء فى الآخرة . . فحلمت بالخلود . . حضارتها نوع من الحلم بالخلود والبعث .

لقد جاءت المسيحية من بيت لحم فى فلسطين حيث مولد السيد المسيح عليه السلام ، والإسلام جاء من الحجاز حيث مولد الرسول ﷺ. . لكن لا فلسطين ولا الحجاز ولا أى بلد إسلامى أو مسيحى وقف وراء المسيحية ثم الإسلام كما وقفت مصر . . لأنها بطبيعتها متدينة . . «ويعرف الفضل ذووه» . . لقد التقت بها الأديان لأنها وصلت بالفطرة السليمة وبالدفع الحضارى معاً إلى قيم جاءت الأديان فعززتها . .

أما النقطة الثانية فهى : كيف نحتفظ بهذا التدين صفة إيجابية ؟ وهذا معناه إنه يمكن أن تكون للتدين صفة سلبية . . وهذه أيضاً أوافقك عليها . . لأنه لعواملَ شتى يوجد إيمان عميق بالدين فى مصر ، وفى الوقت نفسه يمكن أن يكون تديناً مظهرياً فى جانب آخر . . لأسباب كثيرة . .

ـ أولاً . . بسبب التشدد المبالغ فيه لدى البعض . . والرسول ﷺ يقول : «لايشاد الدين أحد إلا غلبه» «إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» . . فالدين جوهر له مظهر . . وعظمة الإسلام فى اليسر والسماحة . . وحينما قال الرسول لسائله عن الحرام والحلال «استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك» فهذا احترام للعقل والإرادة البشرية وثقة بالإنسان . . وعمر بن الخطاب ذات مرة ضرب أحدهم بعصاه أثناء الصلاة وقال له «ارفع رأسك إن التقوى فى الصدر » . .

فالدين ليس مظهراً . . وأخشى ما أخشاه أن يكون أعداء الإسلام وراء حركة تزمت المتزمتين . . لأنهم يعرفون أن الإسلام قوة كبرى ومصر من ورائه قوة على قوة ، فهم يريدون أن يفتتوا هذه القوة بأن يشغلوها بالشكليات التى يتوه فى جدلها الناس بين التفريعات . .

مرة كان الشيخ محمد عبده فى المنيا . . فسأل الواعظ : كيف الحال ؟ فقال له الواعظ . . لقد غلبت من الناس . . أفهمهم أصول الوضوء ووجوب غسل الوجه من منبت الشعر إلى أسفل الذقن ومن شحمة الأذن اليمنى إلى اليسرى فلا يلتزمون . . وأتعبونى . . فقال له الإمام محمد عبده «يا سيدى كل واحد يعرف وجهه من غير مساح»! إذن الأعمال بالنيات . . ماذا يحدث لو لم ألمس منبت الشعر فى الرأس ؟ المهم أنى نظفت وجهى وجوارحى الظاهرة المعرضة للتراب . . ثم إن الوضوء

وضاءة وجه قبل أن يكون غسيلاً ! والصلاة صلة بين الله والإنسان . .

وإننى أعتب على أهل الدين عدم توصيل هذه المفاهيم للناس . . فليست التقوى أن أتعصب لدينى ضد الآخرين . . وكل الأديان تلتقى على الخير . . والدين ليس مسجداً أو كنيسة . . إنما لحظة خلوصى بينى وبين الله . . أنا لو عندى ما يبنى مسجداً ـ صدقنى ـ لن ابنى المسجد . . وإنما سأبنى مستشفى أو مدرسة . . لأن تخفيف آهة مريض أو محو شقاء أمى يمحو أميته أقرب إلى الله فى اعتقادى من بناء المعبد ! ذلك أن الإنسان يستطيع أن يصلى فى أى مكان . . فالله هو خالقى . . ويمكننى أن أرفع صلاتى إليه فى أى مكان . .

● ومما فضل به الإسلام أن الأرض جعلت له مسجداً وطهوراً ؟

ـ نعم . . ثم إن الرسول عليه الصلاة والسلام أعطانا مؤشراً . . فقد كان يجعل فدية الأسير تعليم عشرة صبيان . . هذه قيمة احترام العلم . . وهذه هى قيم الدين التى تصنع جوهره . . لا مجرد الشكليات .

●●● عمارة العصر والشخصية الحضارية :

● أنتقل بكِ إلى اهتمام آخر من اهتماماتِك . . وأسألكِ عن رؤيتك لعمارة العصر فى مصر الآن . . بعد بواكى ومشربيات القرون الماضية . . وإلى أين وصل عشق الخلود الذى اشتهرت به مصر ؟

ـ يمكن أن أقول إنه ليست لدينا عمارة الآن . . وإنما عشوائية . .

معمارية . . إن صح التعبير . . لأنى لا أفهم كيف تقام فى بلاد الشمس المشرقة عمارات الحديد والألمونيوم . . تزيد الحرارة . . ؟! . .

ثم إنى أعتقد أن هذا مقصود لكى يقوم الناس باستيراد أجهزة التكييف والألمونيوم والزجاج لإقامة واجهات زجاجية أو من الألمونيوم ! ثم أعمل ناطحات سحاب لأستورد مصاعد كهربائية . . ثم أستورد خبراء لكل هذا !! يحصلون على مرتبات فلكية فضلاً عن أنى أكون تحت رحمتهم . .

ثم إن لنا طرازاً فى البناء . . هو الطراز الإسلامى . . ومن العجيب أنك لو زرت المتحف المصرى ستجد أن طرازه هو طراز البيت المصرى . . ستجد القباب . . لأن مصر عرفت القبة منذ الأسرة الثالثة . . والقباب فى بلد الشمس تساعد على تكسر الأشعة ، فلا تكون حامية مسلطة على السقف المسطح . . والبناء باللبن يساعد على ترطيب البيت . . والفتحات العالية لها حكمة فى توزيع الهواء ودورته . . فلماذا أترك ما يناسبنى وأخذ بطرز معمارية من خارج بيئتى ؟ هى طرز لبلاد لا ترى الشمس أبدًا . . لذلك يصممون الواجهات الزجاجية للحصول على ضوء الشمس . .

ومن الغريب أن أمريكا بدأت تأخذ نظمنا الأصلية فى العمارة . . وبدأت فى عمل حديقة داخلية مثلاً . . وبدأت تأخذ رأى كبار معماريينا مثل المهندس حسن فتحى ، فى الوقت الذى نهجر نحن فيه الأصول والجذور لكى نقلدهم !

●●● التغريب بين الاختيار والانبهار :

ـ أعتقد أن هذه العملية عملية تغيير جلد .. عملية تغريب محسوبة.. لأنى حينما أسكن فى عمارة غيرى وألبس نسيج غيرى .. وآكل خبز غيرى .. وأشاهد برامج تلفزيون غيرى .. وأدرس مناهج تعليم غيرى .. فهذه عملية تزلزل الكيان .. وتفقد الثقة فى النفس .. إذ ليس لى فى الأمر شىء .. أحس أنى جالسة أنتظر البرنامج والعمارة والرغيف .. وتبقى عقدة الرجل الأبيض والرغيف الأبيض .. والمشروبات الغازية .. مع أن عندى الكركديه والبرتقال والليمون ..

لقد كنا نصدر القمح فأصبحت أستورده لكى أكون حبيسة الإرادة المشلولة المرهونة .. إن عملية التغريب والتحديث بلا وعى عملية خطيرة .. أنا لا أعادى حضارة من الحضارات .. أبدًا .. ولكن من باب أولى لا أعادى حضارتى .. لا أجافيها ولا أعطيها ظهرى .. أريد أن يكون موقفى موقف الاختيار لا الانبهار .. أختار ما يناسبنى .. كيف يكون عندى القطن وألبس النايلون ؟ لقد أكدت البحوث العلمية أنه يسبب السرطان أحيانًا لأنه ليس به مسام .. أيضًا ما يسمى بالتيفال .. نفس الشىء ..

لقد كسب غاندى معركة الهند بالاكتفاء الذاتى .. فهو الإرادة التى تجعلنى أملك الكلمة والقرار .. وبدون هذا كل شىء يضيع .

حينما نسافر للخارج مثلاً .. نجد أن البضائع التى نتهافت عليها

هنا تباع هناك بأرخص الأسعار . . بينما القطن المصرى يغالى فى ثمنه . . لاحظت هذا فى أمريكا . . أعلى أسعار هى أسعار الملابس القطنية . . وحينما يمدحوه يقولون Egyptian Cotton .

وحتى فى مواد التجميل . . أكبر إعلان عن تظليل العيون يقول لك It gives you an Egyptian eye أى « إنها تعطيك عينًا مصرية »

يا سلام! ثم نلهث نحن وراء كل شىء غربى . . لماذا . . ؟ وما هو الغرب؟ وكيف بدأت نهضته أساسًا ؟ لقد بدأت من الحضارة الإسلامية فى الأندلس . . والطبيعى أنه بدأ بالتقليد ، ثم بدأ بسرعة فى الدراسة والإضافة وإقامة حضارة خاصة به . . فلماذا لا نفعل المثل ؟ انظر إلى اليابان تجدها حريصة على الأصل . . الموتور أصل الصناعة . . يعنى لا تستورد الموتور وتقوم بعملية تجميع . . لا . . بل تصنع الموتور بنفسها . . هذا هو التأصيل . .

فأنا لا أريد لمصر أن تكون تابعة . . لأن التبعية إذلال . . أريدها رائدة . . مشاركة . . مساهمة فى العلم والفن وكل شىء . . مثلاً تجدنا نقلد فن اللا معقول . . كيف وهو نوع من الاحتجاج على حضارتهم ؟! ونقلدهم لو أطالوا شعورهم مثل جماعة الهيبيز . . وهذا أيضًا نوع من احتجاجهم على مجتمعهم . . السيريالية مثل آخر . . وهكذا . . لماذا نقلد كل هذا . . لماذا ؟!

● أستطيع أن أقول : إن بيت د . نعمات الذى يجرى فيه هذا الحوار نموذج للهوية . . فيه الطابع المصرى العربى الإسلامى . .

ـ مصر الفرعونية . . مصر المسيحية . . مصر الإسلامية . . جزء من كيانى . . ولا يمكننى الاستغناء عن ثانية من عمر مصر أو أن أهدرها . . كل تاريخها بمعاليه ومآسيه معًا فى وجدانى . . وإذا كنت أجمع بين ركن إسلامى وركن فرعونى فى بيتى ، فأقصد إن أقول أن الإثنين ـ بفضلي أنا . . أو أنا صاحبتهم . . أنا أستوعبهم وهم يستوعبونى . . فمصر لا ترتدى من عصر معين . . فهى كل شىء . . هى قبل الزمان بزمان . . هذه هى مصر !

●●● الاستمرارية الحضارية :

ـ إن مصر هى التى صنعت معنى المعاصرة . . أى استمرار الماضى عبر الحاضر فى استشرافه نحو المستقبل . . فالانسان المصرى حينما اعتنق الإسلام وأراد أن يبنى فقد بنى بناءً وفنًا مختلفا عما صنعه فى العصر الفرعونى ولكنه لا ينقطع عنه .

●●● القبة هرم .. والمئذنة مسلة :

ـ فمثلاً أنا أعتبر القبة الإسلامية العظيمة هرمًا . . لأن الخط فى يد الفنان المصرى استدار بعد سلاسة وسماحة الإسلام . . كل مئذنة . . وكل برج فى مصر داخله مسلة . . هذا الخط الصاعد المليء بالشوق إلى فوق . . الذى يحلم بالسماء . . كل العمارة المصرية منذ القدم تأخذ الخط الصاعد مثل نخل النيل . . تتمثل فى الأول مسلة . . وفى الثانى برج كنيسة . . ثم مئذنة مسجد . . ثم برج القاهرة ! لو وقفت على الشاطىء عند فندق

هيلتون ونظرت . . ستجد المسلة والبرج ومئذنة المسجد وبرج الكنيسة . . كلهم واحد ! يختلفون فى التفاصيل من الخارج فقط . . ثم تجد نخلة النيل . . التى هى الأساس . . فحضارتنا هى حضارة النبات . . حتى أننا دائماً نقول . . عمود بردى . . أو عمود لوتس . . يعنى داخل كل مئذنة مسلة . . شىء له جذور . . كما نمدح إنساناً فنقول : إنه ابن أصل . . !

وأنا لا أطلب أن نقلد الماضى . . وإلا فأين دورى وأين عطائى . . وأين ضريبة الوطن ؟ . . ولكن أنا أقول يجب أن يكون الماضى كنزاً فى داخلى أستمد منه وأطوره وأظل فى حوار معه . . حوار خلاق مضىء .

●●● بين البلدى والآلافرانكا ! :

● ما تفسير عبارتك الشهيرة « إن حضارة العصر تصفق لفك الخط الفنى » ؟ !

ـ إن العلم لا وطن له . . أما الفن فهو ابن بيئته . . ويلاحظ أنه فى عصور الضعف تهتز الهوية . . فمثلاً فى القرنين ١٦ و ١٧ كنا نمدح الشىء بقولنا ده عثمانلى ! نسبة إلى آل عثمان . . وبعد الاحتلال البريطانى أو الغربى كنا نقول « آلافرانكا » حينما نمدح الشىء . . أما الشىء الذى لا يعجبنا فنقول عنه « بلدى » ! تصور كيف انعكست الآية ؟ ! . . المفروض إن كلمة بلدى تقال عن الروائع الغوالى . .

● ألا يجوز أن السبب أن الإنتاج المصرى فى فترات الضعف لم يكن يضاهى الإنتاج الأجنبى ؟

ـ والله أبدًا ! إن مصر فيها شيء عجيب . . لقد كانت دائمًا تواجه الغزو العسكرى بغزو فنى حضارى . . وطبعًا هو الأبقى . . إن مصر لؤلؤ البحار . . دائمًا تصوغ دموعها أعمالاً عظيمة . . مثلاً أيام الرومان . . تعالى الغزاة على مصر فقاطعتهم . . بل تهكمت عليهم لدرجة أن القضاة الرومانيين حرموا على المحامين المصريين الترافع فى محكمة الإسكندرية . . لأنهم كانوا يسخرون من القضاة الرومان ويهزون هيبتهم . . وحينما أحس الرومان أن مصر قاطعتهم بدأوا فى التودد إليها . . بل وعبدوا إيزيس فى مصر ثم فى روما نفسها ، وانتصرت مصر حضاريًّا . .

وكانت مصر، من دون بلاد الإمبراطورية كلها ، الإقامة فيها بإذن من القيصر ، ولمدة محدودة . . وهذا اعتراف بأن مصر قوة لمن يملكها . . بابا الكنيسة المصرية كان يقول . . ماذا يعنينى من الإمبراطور . . أنا هنا الإمبراطور . . وكانت الكنائس الأخرى تتبع كنيسة مصر . . فالمسألة ليست مسألة عضلات . . يعنى السلطان سليم بمقاييس العضلات كسب المعركة فى مرج دابق سنة ١٥١٦ ثم فى الريدانية سنة ١٥١٧ واستولى على مصر . . لكن هذا السليم وقف فاغرًا فاه مبهورًا محدقًا فى روائع مصر الفنية . . ما معنى هذا؟ معناه أنه لم ير مثل ذلك من قبل . . وكانت النتيجة أنه جمع كل هذه الروائع . . بل جمع الصناع أنفسهم لكى يعلموا العثمانيين فى القسطنطينية ! هذا هو الفن الذى نطلبه لمصر . .

●●● سلطان العارفين !

ـ هذا الشعب خلاق صناع اليد والفكر . . ودائمًا يجد نفسه فى الفن

لدرجة أن عمر مكرم والشيخ الشرقاوى كانا يستطيعان تنصيب واحد منهم واليًا على مصر . . ولكنهما نصبا محمد على . . لماذا ؟ لأن المصرى يعتقد أن الحكم ـ أو ما يسميه هو مسألة الضبط والربط ـ مسألة تحتاج لعضلات . . تتطلب شخصًا يحارب ويحمى الحدود . . إنما الشعب المصرى شعب فنان . . مثل أى شخص فنان عظيم . . يحب موهبته ويحب فنه . . تقول له تعالى أنصبك ملكًا أو وزيرًا لا يرضى . . لأن عنده الأغلى . . عنده عطاء السماء . . الشيخ الشرقاوى يرى نفسه أفضل من الامبراطور . . هو رجل الدين . . السلطة الروحية . . هو المرفأ لهذا البلد .

الشيخ الإمبابى رفض أن يذهب إلى كرومر وهو من هو فى عنجهيته وطغيانه ، فما كان من كرومر إلا أنه توهج شوقًا لرؤية هذا الذى رفض زيارته ، فزاره هو فى قريته ، فلما دخل عليه مجلسه لم يقف ، بل استمر فى جلسته . . مصر كانت تسمى رجل الدين المخلص (سلطان العارفين) وهى رد على سلطان الحاكمية . . هذه هى مصر ، وهذا هو علم وفن مصر . . أما فى عصور الانحطاط فلا نستغرب التصفيق لفك الخط الفنى . . أى عملية التسطيح واختلال القيم والتخليط .

●●● محمودكو وعليشكو !

● هذا التخليط الذى يمكن أن نشاهده فى كل شىء . . حتى فى أسماء الناس والمحلات والشركات ؟

ـ نعم . . إن القاهرة هى تقريبًا العاصمة الوحيدة التى تعيش غريبة على أرضها . . نمشى فى الشارع نجد الأسماء الأجنبية . . طلعت حرب حينما أراد إقامة نهضة حقيقية سنة ١٩٣٠ قام بتمصير كل شىء . . شركة مصر لكذا وكذا . . واقتدى به الآخرون . . حتى الأجانب لم يقدروا على نطق الأسماء العربية السليمة فسموا شركاتهم بإيزيس وحورس ولوتس . . أى الأسماء المصرية القديمة . . المهم إنها مصرية . .

لكن حينما جاء الانفتاح . . وأنا لست ضده . . أنا أرحب بانفتاح يعلمنى شيئًا جديدًا : . آلة جديدة . . مصنع جديد . . إضافة جديدة . . لكن انفتاح يجعلنى سوقًا استهلاكيًا لكى يسحب ميزانية البلد فتكون النتيجة مزيدًا من التغريب فى كل شىء حتى الأسماء . . شركات محمودكو وعليشكو . . هذا غير معقول . . عندنا قانون جاهز منذ عام ١٩٤٨ يمنع هذا . . فهل نتقدم أم نتأخر ؟!

●●● الكتابة المجسدة والكتابة المجودة :

● دعينى أصارحك يا دكتورة أننى أثناء متابعتى لمعركة هضبة الأهرام التى انتصرت أنت فيها . . كنت أفكر فى سؤال . . أنت سيدة متزوجة وأم، وأستاذة فى الجامعة ، وكاتبة . . وأستاذ زائر فى جامعات العالم . . وعضو مؤتمرات شتى . . فكيف ألفت ثلاثين كتابًا ودخلت مثل هذه المعارك . . ؟!

ـ أولاً بتوفيق ربنا ثم بالنظام . . لأن النظام يعطى ضعف الوقت

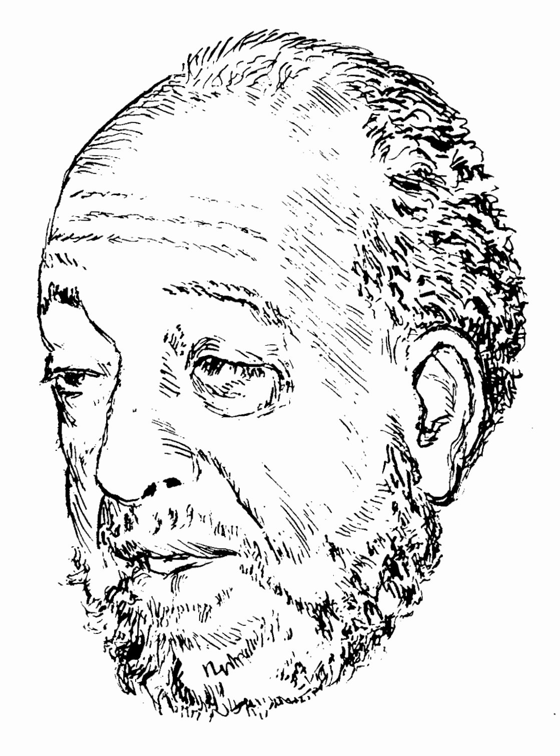
تمامًا . . ثم بإسقاط الفضول . . بحيث لا يضيع وقتى فيما لا يعنينى . . كما أننى أعتبر الكتابة بالنسبة لى ثروة بلا حدود وهواية يومية . . وهى عندى نوعان : كتابة مجسدة وكتابة مجودة . . الكتابة المجسدة هى التى أكتبها أنا على الورق . . أما الكتابة المجودة فهى التى أقرأها أنا للآخرين !

●●● خاتمة :

● كيف تصفين هذا العصر فى سطر واحد ؟

- عصر الخلاص فى العودة إلى المنبع . . الدين !

أحمد بهجت



شاهد على عصر مخاض إسلامى

تاريخ التسجيل ١٩٨٨

★ أنطوان تشيكوف مسلم !!

★ الركب كثير والحاج قليل !!

★ قل لى كيف تعامل الحيوان أقل لك درجة رقيك !

★ العدل مطلوب لإطلاق طاقات الناس .

★ العبادة أثناء النوم !

شاهدنا على العصر فى هذه الحلقة هو صاحب القلم الساخر المتميز، وصاحب «كلمتين وبس» و«مذكرات صائم» و«أنبياء الله» ، وهو الكاتب الفنان والمتصوف والتى ترجمت مؤلفاته إلى أكثر من لغة . .

ولد فى القاهرة سنة ١٩٣٢ وتخرج فى القاهرة سنة ١٩٥٦ ، وقبل ذلك بعام أجريت مسابقة فى القصة القصيرة فاز بها ، ومنها دخل باب الصحافة سنة ١٩٥٥ إلى معقل «أخبار اليوم» وانتقل منها إلى «صباح الخير» ثم إلى «الأهرام» من عام ١٩٥٨ وحتى الآن ، له ثلاثون كتاباً أشهرها : «أنبياء الله» وكتاب «الله فى العقيدة الإسلامية» والذى ترجم إلى اليوغسلافية ، و«مذكرات صائم» ، و«قصص الحيوان فى القرآن» و«بحار الحب عند الصوفية» و«مذكرات زوج» فضلاً عن كتب الرحلات وكتب الأطفال .

لنا معه حوار نرجو أن يستوعب شهادته على عصرنا .

●●● إطلالة طائر على أهم مايموج به العصر :

ـ أنا أتصور أننا نعيش فى عصر مخاض إسلامى كبير ، وهذا المخاض

يأخذ أكثر من شكل ويبدو أحياناً بشكل تقلصات ، وأحياناً يبدو بشكل فيه بعض الألم . . ولكن هذا كله سوف ينتهى إلى الولادة الطبيعية . . نحن نعيش فى عصر تميزه أشياء كثيرة ، فى نفس الوقت الذى تولد فيه الصحوة الإسلامية ، وتولد فيه فكرة المشروع الحضارى للإسلام . .

فى نفس الوقت نلاحظ على العصر أن هناك ابتعاداً عن القيم الأصيلة فى الإسلام إلى قيم ليست من الإسلام فى شىء ؛ نلاحظ مثلاً أن القول أحياناً يأخذ مكان الفعل ، ونتصرف كثيراً كشعراء العصر الجاهلى الذين كانوا يقولون مالا يفعلون . ، وهناك أيضاً حب شديد للإسلام وعمل قليل ، أى أننا نعيش فى عصر متضارب متناقض ، وأحياناً يكون الكلام فيه عكس الفعل وأنا أتصور أن هذا كله طبيعى فى حالة المخاض .

●●● الصحوة الإسلامية :

● لكن أليس هذا تناقضاً ؟ . . كيف تكون صحوة وتصاحبها هذه الظاهرة السلبية من انفصال بين الشكل والجوهر ؟

ـ أنا أتصور أنه لاينسحب عليها . . فالصحوة الإسلامية تدعو إلى أن يكون الإسلام مشروعاً حضارياً متكاملاً بمعنى أن يكون عقيدة داخلية وأن ينعكس أثره فى الحياة، لأن التوحيد قيمة الإسلام، والتوحيد ليس فكرة مجردة تعبر ذهن الإسلام أو تأتى كأمواج ثم تعود، إنما التوحيد لابد أن يظهر أثره فى الحياة الفعلية الواقعية ، ولابد أن يتحول فيها إلى تغيير مطلق وشامل لكل شىء. وهذه التجربة موجودة، فنحن مثلاً

نقول إن القوة لايمكن أن تتصدى لها إلا بالقوة، ولننظر إلى تجربة ثوار أفغانستان، هؤلاء الثوار يقفون أمام إحدى القوتين العظميين فى العالم وهم جوعى وفقراء وغير مسلحين ، ورغم ذلك استطاعوا أن ينالوا من القوة الباغية وأن يهزموها فى أكثر من معركة ، إذن الحق وفكرة التوحيد يمكن أن تكون سبباً إلى القوة لا بديلاً عنها والله سبحانه وتعالى يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ .

صدق الله العظيم

نلاحظ على الآية أن الفكرة ، فكرة القوة فى الإسلام ، هى أن تكون لديك قوة تكفى فى حد ذاتها لإرهاب العدو ، أى لاتستخدمها إلا مضطراً ، الإسلام لايلجأ للقوة إلا إذا ارتفع السيف ضده .

● **يعنى هى القوة للإرهاب فقط ؟**

ـ هو المفروض أن يكون المسلمون أقوياء إلى درجة تجعل جميع العالم لايحاول الاعتداء عليهم ، أى قوة لاتستخدم إلا فى حالات الدفاع الشرعى عن النفس ، هذه الفكرة غير واضحة فى أذهاننا ، فكرة تحول التوحيد إلى عمل فى الحياة اليومية ، أيضاً الفكرة ليست واضحة فى أذهان الكافة من الناس أو العامة من الناس ، لأن التوحيد إذا اقتصر على أن يكون علاقة بين الإنسان وربه سيصبح تعبداً وصلاة فقط ، إنما

يجب أن يتحول التوحيد من الصلاة أو مجرد الصلاة ، أى أن النمو الطبيعى مطلوب ، فيبدأ كصلاة وينتهى كتغيير فى الحياة ، وكمجتمع جديد ، وقيم وأفكار جديدة ، لابد أن يحدث هذا .

● هل الكاتب الكبير أستاذ أحمد بهجت يرى أن تيار الصحوة الإسلامية المعاصر قد استوعب هذه الحقيقة ؟ وما تفسيرك لهذه التطرفات التى نراها هنا وهناك ؟

ـ فى تصورى أن تيار الصحوة فى مجموعه أو فى معظمه تيار سليم ، هناك غلو وهناك تطرف لأسباب عديدة ، منها نقص القيادات الدينية ، نقص العلماء ، الفهم السقيم أحياناً لبعض أفكار الدين أو بعض الخصائص الأصيلة للدين ، كل هذا فى أطراف المجتمع ، أى أنها ليست ظاهرة عامة ، بالعكس ، فإن الصلاة والمتطرفين والمتشددين يجب أن يكون لهم مكان ، بمعنى أن الأغلبية العظمى هم المعتدلون ، لكن هناك مكان للمتشددين على اليمين واليسار ، ويكون هناك حوار، وفى النهاية تصبح الكتلة الكبرى من الصحوة فى خط سليم .

ألا ترى كيف تُستغل فكرة الغلو فى الدول الأخرى ، فيستفيد المعتدلون من المتطرفين وتطرفهم هذا، بل ويحصلون على أكبر مكاسب يمكن الحصول عليها ، يعنى يمكن استخدام الغلو إذا كان فى مكانه الطبيعى .

● أستاذ أحمد بهجت هل يتطوع البرنامج بملاحظة على الإنسان

المسلم فى هذا العصر ، سواء كان داخلاً فى تيار الصحوة الإسلامية أو غير منتسب لها ، نلاحظ دخول نوعيات جديدة من المسلمين إلى تيار الصحوة الإسلامية وإلى تيار التفكير الإسلامى مثل كثير من المثقفين ، كثير من الطبقات المهنية العليا مثل الأطباء والمهندسين . . أليست هذه ظاهرة موجودة فى عالمنا الإسلامى المعاصر بشكل مؤثر ؟

ـ هذه آية من آيات الإسلام . . لماذا ؟ . . لأن الجاهل لايعرف عن الله شيئاً ، والذى لايعرف عن الحياة شيئاً ولا عن أسرار المادة ، تكون صورته عن الله سبحانه وتعالى صورة بسيطة جداً وساذجة جداً ، إنما عندما يقوم طبيب بإجراء عملية جراحية ، ويتأمل ولو لمدة ثانية واحدة إعجاز الله تعالى فى الجسد الإنسانى وفى الطريقة التى يعمل بها وفى الطريقة التى يؤدى بها وظائفه فهذا أدعى أن يكون مؤمناً . يعنى أنا أرى الكثير من الأطباء والمهندسين والمدرسين يدخلون على الإسلام برؤى جديدة لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق من ربهم﴾

صدق الله العظيم

يعنى مثلاً أنظر للإمام الشافعى وبواب بيته وتلميذ من تلاميذه ، الثلاثة مسلمون ، إنما أيهم لديه صورة أكمل عن الله تعالى وعن معجزاته وعن إبداعاته فى الآفاق وفى الأنفس ؟ . . الشافعى ثم تلميذه فبوابه ،

فكلما ارتقى الإنسان فى العلم وفى المشاعر وفى الروح كلما وصل إلى فكرة الإيمان عن طريق فطرته السليمة .

● **تماماً ويمكن تكملة لهذه الظاهرة نلاحظ أن بعض الذين بدأوا حياتهم ـ لا أريد أن أقول بالإلحاد ـ لكن على الأقل ـ بعدم إيمان ـ هم أيضاً كبار العلماء أو المفكرين أو الفلاسفة ، مصريين أو عرب أو أجانب أيضاً ، انتهوا بالعودة إلى فضيلة الدين و إلى الله سبحانه وتعالى . .**

ـ ولذا نلاحظ أن الرقى يكون إلى الله تعالى ، يعنى مثلاً عندما تقرأ لكاتب مثل «أنطون تشيكوف» . . كاتب روسى يعيش فى ظل الحضارة المسيحية ، لكنه يعرف طريقه إلى الحقيقة بفطرته السليمة وبعبقريته ، هذا الرجل عندما تقرأ أعماله تشعر وكأنما كاد أن يكون مسلماً ، لكثرة الحنان الذى فى قلبه على الخلائق ، هذا شعور إسلامى ، الأسلوب الذى يتحدث به عن الناس ، الأسلوب الذى يصور به حركة النفوس ومحاولاتها دائماً أن ترتقى ، هذه الأشياء كلها تشعرك أن الرجل أدرك الحقيقة إلى هذا المجد ، إن معرفة الله سبحانه وتعالى مجد ، مجد لايعرفه إلا أصحاب الأرواح الراقية ، أما الناس الغارقون فى اللحظة الحاضرة فهم أقرب ما يكونون إلى الحيوانات ، لأن الحيوان لايعيش إلا اللحظة الحاضرة، لا ماض ولا مستقبل ولافكر ولاتأمل ، إنما الإنسان مختلف، فهو بوصفه أرقى الكائنات فهو المهيأ لأن يتلقى فكرة الوجود ، وأن يتعبد وأن يدرك أن أوامر الحق له هى مجد له .

● يمكن الأستاذ أحمد بهجت ذكرنا الآن بظاهرة من ظواهر العصر ، وهى عودة بعض المجتمعات الملحدة إلى الدين ، ولقد ذكرت «تشيكوف» ونحن الآن أيضاً نرى مايحدث فى بعض المجتمعات الشيوعية من إعادة فتح دور العبادة للراغبين ، وأيضاً «روجيه جارودى» والذى جاء ذكره والذى كان من غلاة الماركسيين ثم أشهر إسلامه وهكذا . .

ـ جورباتشوف فى كتابه «البريسترويكا» يحكى حكاية غريبة جداً ، يقول إنه جاءته رسالة من شخص مؤمن يقول فيها : «أنا رجل الله وأذهب إلى الكنيسة وأتعبد لله ، وأود أن أقول لك إننى معك فى فكرة التغيير وفكرة إعادة البناء » .

وما أريد قوله هو أن يشير رئيس دولة كبرى ملحد ومعترف أنه ملحد، أن يشير إلى خطاب جاءه من مؤمن ويضعه فى كتاب اسمه «البريسترويكا» هذا يعنى إدراك الاتحاد السوفيتى أن الإنسان إذا اقتطع منه الجانب الروحى يتحول إلى لاشىء مهما كان تقدمه .

المشكلة أننا نخلط ما بين الأهداف والوسائل فالدين يمثل عند المسلمين الأهداف الاستراتيجية العليا ، وهى أهداف نبيلة جداً ، لكن وسائلنا فى تحقيق هذا ضعيفة جداً ، ولذا فصوتنا لايذهب إلى العالم . انظر إلى الغرب تجد أن وسائله جبارة جداً ، فى حين أن أهدافه لاشىء ، فهى إما استعمار أو استحمار الشعوب أو إطلاق العنان للشهوات أو

إطلاق العنان للغرائز . هم ينتجون طائرات وصواريخ ، لكن التقدم المادى وحده لايكفى ، كما أن التقدم الروحى أيضاً لايكفى بدون تقدم مادى ، أى أن الوسائل لابد وأن تخدم الأهداف وأن تكون أيضاً متفقة معها .

● نعم وهذا يؤكده ما وصل إليه العالم مؤخراً والذى يتمثل فى الدعوة لالتقاء العلم مع الدين وأن العلم أصبح يؤكد إشارات وردت فى الدين ؛ إشارات علمية واضحة تؤكد مصداقية الدين .

ـ هو الحقيقة كل مافى الكون إشارة إلى الله تعالى ، والعلماء هم أكثر الناس معرفة بهذا ، ولذا فإن الله سبحانه وتعالى يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ .

صدق الله العظيم

لأن الجاهل لايدرى شيئاً عن عظمة الله تعالى والذى لايدرى شيئاً عن عظمة الأكوان لايدرى شيئاً عن عظمة الخالق . . خالق هذه الأكوان !

●●● انفصال القول عن الفعل :

● الكاتب الكبير أستاذ أحمد بهجت لقد ذكرت فى صدر شهادتك

هذا الانفصال بين الشكل والجوهر والقول والفعل فكيف تجد هذه الظاهرة وأين ؟ وما ملاحظاتك عليها ؟

ـ فلنأخذ أمثلة ، تاجر يصلى ، يصوم ويتعبد لكنه يغش ، إذن ما دور الصلاة والصوم والتعبد هنا وكيف يمكن تفسير هذه الظاهرة ؟

أنا فى تصورى أن هذا التاجر لايدرك العلاقة بين كونه مسلماً ووجوب أن يكون أميناً ، أى بالتعبير الشعبى فى مصر : « هذه نقرة وتلك نقرة أخرى» ! . . لكن فى الإسلام لايوجد مثل هذا الكلام ، فالمسلم يجب ألا ينفصل قوله عن فعله ، لأن الأقوال سهلة . . سهل جداً أن أقول إننى مؤمن ، لكن عندما ترصد أفعالى تكتشف أننى لست مؤمناً . فما أريد قوله هو وجوب تطابق القول مع الفعل .

فى الإسلام نحن نرى مظاهر كثيرة جداً ؛ القسوة بين الناس ، عدم احترام الكبير ، وعدم رعاية الصغير وحبه ، عدم العطف على الحيوان ، عدم الرفق بالبيئة . ، نحن نعيش هذه الأيام فى عصر يوشك أن يكون مدمراً للبشر جميعاً ، وذلك نتيجة لتلوث البيئة وللخراب الذى يفعله الناس بها . .

هذا على مستوى البيئة ، فلننظر إلى مستوى السلوك ، على سبيل المثال ، نحن عندما نذهب للحج ، نجد الصراع على تقبيل الحجر الأسود ، المفروض أن هذا الحجر علامة يبدأ عندها الطواف ، وقد قبله الرسول عليه صلوات الله وسلامه ، ولعمر بن الخطاب رضى الله عنه فيه قول :

«والله لولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك» هذا الحجر عليه صراع رهيب جداً والناس تتشاجر مع بعضهم البعض كى تقبله . الشيخ اسماعيل العدوى قال إن تقبيل الحجر سنة ، والصراع عليه ذنب ، فكيف يمكن الوصول إلى السنة عن طريق الذنوب ؟ لايمكن ! ولايجب ولاينبغى ! المفروض أن الناس عندما ترى الزحام تشير من بعيد فقط ، لكن هناك أنانية ، هناك انتهازية عند بعض المسلمين ، هناك عدم إدراك لكونى مراقب من الله تعالى طوال الوقت لا أثناء الصلاة فحسب ، فالحياة الإنسانية لاتنقسم إلى أوقات للصلاة وأوقات للغش ، إنما المفروض أن الصلاة تؤدى إلى استقامة أحوال المسلم وإلى أن يصير إنساناً أرقى مما هو وإلى أن يكون مدركاً أنه إذا كان يتعامل مع الله تعالى فى الصلاة فهو يتعامل مع عباد الله تعالى فى غير الصلاة والاثنين على نفس المستوى .

● وهؤلاء الحجاج الذين يعودون محملين ببضائع مكة كلها فى حقائبهم ؟

ـ نعم ، الشراء ! . . وهؤلاء يشترون أشياء موجودة فى مصر وبفارق بسيط فى السعر ، المفروض أن الحج عقد مع الله تعالى ، يعود فيه الإنسان إلى الله تعالى ، هذه العودة تستتبع تغير الحياة وتغير السلوك الإنسانى وارتقاء الحياة ورقى السلوك الإنسانى . ونحن نلاحظ أن عدد الحجاج هذه الأيام يزيد ، فهل حياتنا عموماً ترتقى أكثر ؟ فإن لم تكن

ترتقى فمعنى هذا أن كلمة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ عندما وقف يوماً يتأمل الحجيج ـ تنطبق علينا ، حيث قال :

«الركب كثير والحاج قليل» فهناك ناس تذهب للحج بهدف السياحة، وآخرون للتجارة ، وآخرون للسمعة من أجل اللقب ليقال له «يا حاج» ! لكن كلمة «حاج» هى دليل على أداء النسك وليست لقباً، ولاينبغى أن تكون لقباً . فأنا لا أقول لشخص يصلى أهلاً بالمصلى، أو بالصائم أو المزكى . !

وللأسف الشديد أن كثيراً منا يتصورون أن العبادة ركن وبقية السلوك الإنسانى ركن آخر ولا علاقة بينهم ، وهذا التصور تصور غير حقيقى .

● هذا فعلاً ما استقر فى الأذهان ، ولكن أنت كمفكر إسلامى كيف تعالج هذه الظاهرة ؟ . . ظاهرة انفصال القول عن الفعل وعن السلوك؟

ـ الفهم الصحيح للإسلام وحده يقود إلى هذا ، على سبيل المثال الرسول عليه صلوات الله وسلامه ، عندما ذهب إلى المدينة مهاجراً من مكة ووصل المدينة وبدأ بناء الدولة الإسلامية ، وكان المهاجرون فقراء ، بعد أن تركوا أموالهم وذهبوا إلى المدينة فارين من مكة ومن عسف الكفار فيها . . فعمل الرسول نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، والمؤاخاة هى أن يكون المهاجرون إخوة للأنصار ، فنجد أحد الأنصار يعرض على أخيه المهاجر نصف أمواله بل ويعرض عليه أن يختار واحدة من زوجاته ليطلقها فيتزوجها المهاجر . . إلى هذه الدرجة بلغ إيثار الأنصارى

للمهاجر . . فى نفس الوقت انظر إلى نبل المهاجر الذى رد على ذلك العرض قائلاً : «بارك الله لك فى أهلك ومالك ، دلونى على السوق» وذهب إلى السوق وعمل وتطور . عندما أقارن أنا هذا بموقف عاصرناه كلنا فى مصر عندما أخليت مدن القناة الثلاث وخرج منها أهلها وجاءوا على الريف المصرى ، فكان جهاز التليفزيون الذى يبلغ سعره ثمنمائة وخمسين جنيهاً وقتها . . كان يباع بعشرين جنيهاً . ! انظر هنا إلى استغلال الموقف . . وانظر هناك إلى الإيثار والتضحية والنبل ، تشعر فوراً أيهما أقرب إلى الإسلام وأيهما أكثر فهماً للإسلام ، فالإسلام فعل ، ففى كل الآيات الواردة فى الإيمان تجد قوله : «الذين آمنوا وعملوا الصالحات» . . لا الذين آمنوا وتمنوا عمل الصالحات . ليس هناك تمن ، الإسلام عمل وتغيير للحياة بحيث تصبح أرقى .

وقد كان يشاع أن الإسلام انتشر بالسيف ، ولكن أخيراً جاء علماء منصفون ومحايدون وقالوا إن الإسلام انتشر بسرعة لايمكن لأى سيف أن يحققها ، . إنما انتشر لأنه يحمل قوانين أفضل من القوانين الموجودة ، يحمل سلوكاً يومياً أفضل من السلوك الموجود ، يحمل نبلاً أكثر ، يحمل راحة أكثر للمجتمعات وإمكانات لنمو المواهب والطاقات وانطلاقها وعملها ، هذا ما نشره الإسلام . لقد جاء الإسلام بشريعة جديدة ودين جديد وأسلوب حياة جديد وفكر جديد يختلف تماماً عن الفكر الموجود بل أفضل منه ولذلك دخل الناس فى الإسلام .

ويقول الدكتور حسين فوزى فى «سندباد مصرى» إنه عندما جاء

عمرو بن العاص إلى مصر وذهب لزيارة قرية فى الصعيد ، خرجت له امرأة مسيحية ومعها طبق مغطى وفيه شىء وقالت له إنه هدية ، فلما وجد داخله جنيهات ذهبية اندهش لذلك وقال لها : «ماهذا؟» قالت له «هذا من عدلكم» وقالت له «لا ترد الهدية» . ما أريد قوله إنه إذا طبق العدل تغتنى الناس وتنطلق طاقاتها وتصبح راضية ، وهذا هو جوهر الإسلام .

●●● عالم الحيوان :

● الكاتب الكبير أستاذ أحمد بهجت هل طرأ على علاقة الإنسان بالحيوان فى هذا العصر تغير ما ترصده بوصفك من أهم اهتماماتك الحيوان وعالمه ، وقد أفردت له العديد من الكتابات ؟

ـ أنا أتصور أننا نتقدم فى إحساسنا بالرفق بالحيوان . فعندما نرى الرسول عليه الصلاة والسلام حتى فى ذبح الماشية يقول :

«إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح !» .

وكان عليه السلام يهتم ألا يحمل ناقته أكثر مما تطيق ، كان يهتم ألا يحمل فرسه أكثر مما يطيق ، كان يقوم فى الليلة الشاتية ويفتح بابه لقطة تلتمس ملجأ من البرد . . قال الرسول عليه الصلاة والسلام :

«دخلت امرأة النار فى هرة حبستها فلا هى أطعمتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » .

وقال عليه الصلاة والسلام، إن رجلاً دخل الجنة فى كلب سقاه من العطش، وكان الكلب يشرف على الهلاك عندما ننظر إلى الصورة العامة نلاحظ أن نظرة المسلم إلى الكائنات التى خلقها الله تعالى نظرة احترام، نظرة اهتمام بكرامتها، أى كل ما خلقه الله تعالى من الخلائق له على الله تعالى كرامة، الحيوان مسخر .، ربنا سبحانه وتعالى خلقنا نحن البشر، والبشر أعلى الكائنات، وسخر لنا جميع الحيوانات والكائنات الأخرى، ولكن من المفروض أن هذا التسخير له حدود وله عقد وله اتفاق، فالحمار والحصان والناقة والجمل كل هؤلاء لعبوا دوراً فى التاريخ الإنسانى، ونهضت الحضارات الإنسانية عليهم حتى وصل الإنسان إلى اختراع البخار وتسخير الآلة والحصول على الطاقة، واستغنى الإنسان عن الحيوانات، إذن يجب على الإنسان أن يطعم الحيوان ويطببه ويحنو عليه، بوصفه مخلوقا من مخلوقات الله تعالى .

ثم انظر إلى كافة شعوب العالم وكيف تقاس فيها درجة الرقى، تجد أن درجة الرقى فى هذه الشعوب تقاس بسلوك الناس نحو الأطفال ونحو الحيوان، إذن قل لى كيف تعامل الأطفال والحيوان أقل لك درجة رقيك .

● **الرحالة الإنجليزى والمؤرخ الشهير «ديفيد لين» من ١٥٠ عاماً تقريباً فى زيارته لمصر كتب أن أشقى حيوانات الأرض هى التى تعيش فى مصر خاصة الكلاب والقطط، هل أستاذ أحمد بهجت يرصد تغيراً على علاقة الإنسان بالحيوان فى هذا العصر ؟**

ـ أنا أعتقد أنها تحسنت عند الذين تحسنت عندهم العاطفة الدينية ، كما أنك عندما تقول لشخص ما : «ارفق بهذا الحمار لأنه مصدر رزقك» يقول لك : «كيف لى أن أرفق به وأنا لا يرفق بى أحد ! » . . هى المشكلة أنه لابد للمجتمع أن ينمو نمواً كاملاً ، فأنت لاتستطيع أن تأتى لشخص مسحوق وتطالبه بأن يكون رقيقاً مع البشر أو مع الحيوان أو مشفقاً عليهما .

● لكن هناك أيضاً تحسناً نجده فى حادثة مثل حادثة السيرك ، عندما كانوا يطالبون بإعدام الأسد «تونى» بعدما اعتدى على مدربه وهاجت الدنيا وارتفعت أصوات عديدة ومنعت ذلك ؟

ـ تخيل أنت اعدام حيوان بلا ذنب ، عندما يكون الله سبحانه وتعالى خلق الأسد أساساً للافتراس ، وأمكن ترويضه وتدريبه ، ولكنه أخطأ وعاد لطبيعته التى فطر عليها . . نقتله ؟ أليس هذا ظلماً ؟

● نعود للجانب الآخر الذى ذكرته كمقياس لرقى الأمم فى العصر الحديث ، وهو سلوكنا تجاه الأطفال ، ونسألك عن الظواهر التى ترصدها للطفولة المعاصرة وعلاقتنا بأطفالنا .

ـ أنا أتصور أن هناك تقدماً فى هذا المجال ؛ أنت تعرف أن الإنسان يحب الخير لنفسه ، ولكنه . . يحب الخير لأبنائه أكثر مما يحبه لنفسه . . وهذه جبلة وفطرة فطر الله الناس عليها .

أنا ألاحظ هذه الأيام أن هناك اهتماماً أكثر بالأطفال ، وأنا أتصور أن

المكتبات التى أنشئت من أجل الأطفال فى الأحياء الفقيرة فى القاهرة وامتداد المشروع إلى المحافظات مسألة فى غاية الأهمية ، لأنه بغير أن نعلم الأطفال حب القراءة ، وحب الفكر وحب المثل العليا ، لايمكن أن نتوقع أن الجيل القادم سيكون أفضل من الجيل الحالى . واليوم وسائل التوصيل للأطفال تقدمت واختلفت وتنوعت وتعقدت . . فعندنا الآن الإذاعة والتليفزيون والفيديو والكاسيتات ، كل هذه وسائل تعليمية للأطفال ، ورغم جدتها إلا أن الكتاب يبقى هو الأساس ، ولذلك أنا أسعدنى وأرضانى كثيراً الاهتمام بمكتبات الأطفال لأن هذا هو الطريق السليم الأول ، فأبدأ بالكتاب فالإذاعة والتليفزيون ثم بقية صور التعليم، إنما هناك اهتمام بالأطفال الآن ! !

●●● التصوف رد فعل لمادية العصر :

● الكاتب الكبير أستاذ أحمد بهجت ننتقل إلى اهتمام آخر من اهتماماتك الشهيرة وهو موضوع «التصوف» . . ونذكر بحثك الشهير «بحار الحب عند الصوفية» وأسألك هل تعتبر أن التصوف رد فعل لمادية العصر ؟

ـ التصوف يكون رد فعل لمادية العصر لكنه فى الأصل فعل صحيح للإسلام إذا لم تكن فيه شطحات ..بمعنى أن الصوفية ينظرون للخلق وللخليقة على أساس أن الله تبارك وتعالى عرفنا قبل أن نحبه وأعطانا قبل أن نسأله ، إذن الله تعالى يحب الخلق ولولا أنه يحب الخلق ما خلقهم ،

ولذلك فإن العارفين بالله دائماً يذكرون الحديث القدسى القائل : «كان الإحسان قصدِى من الخلق» لأن الله تبارك وتعالى غنى عن الخلق ، أى لو أن الناس كانوا على أتقى قلب رجل منهم مازاد هذا فى ملك الله شيئاً، ولو كانوا على أفجر قلب منهم ما نقص ذلك من ملك الله شيئاً .
التصوف هو النظر إلى الخلائق من منظور الحب ، وبالتالى تكون العلاقة بين الإنسان والخالق علاقة تعبدية منطوية على الحب ، والصوفية يرون أن كل مافى الكون ناطق بالحب شاهد عليه ، هذه الفكرة ، فكرة الحب هى فكرة نبيلة وجميلة وحقيقية ، لأننا بتعبدنا هذا ولو تعبدنا لمليون سنة، لم نعط الله شيئاً ، ولو كفرنا لا ننقص منه شيئاً . . إذن الحب هو نقطة البداية التى يبدأ منها الصوفية أو العارفون بالله . . فى هذا المسار تتضح كل الأشياء ولايصير هناك شىء غامض أو شىء غير مفهوم ، لأن الصوفى حين يحب وحين يدرك أن الكون كله خلق من نسيج الحب ، حين يفعل ذلك يكون قد اختار الطريق السليم . أما مادية العصر ، فنحن نعيش فعلاً فى عصر مادى وفى حاجة أن نرقق من جفاف هذه المادية بالحب ، لأن بحث الإنسان عن التقدم المادى وحده يحوله فى النهاية إلى آلة استهلاكية بلا مشاعر وبلا تذوق ، ويتفسخ وينهار فى النهاية ، ولذا فإنه من المهم جداً للإنسان أن يعيش داخل إطار من الحب الإلهى ، حتى إننا نلاحظ فى القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى هدد المشركين لا بالنار والعذاب فحسب إنما قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ .[1]

صدق الله العظيم

أى وضع الله سبحانه وتعالى الحب فى مقابل الشرك فلا يمكن أن ينتصر على الشرك إلا بالحب .

● وهل تنسحب دعوتك أيضاً فى الانفصال بين الشكل والجوهر والقول والسلوك على بعض الفرق الصوفية التى تعيش بيننا الآن ؟

ـ نعم، الصوفية جوهرهم سليم ولكنى لا أستسيغ شطحاتهم ، فذلك الذى يترك عمله ليجلس فى مسجد سيدنا الحسين لايعجبنى ! فأنت أمام الآلة فى المصنع تتعبد ، وأنت تكتب تتعبد ، وأنت تجرى عملية جراحية تتعبد ، وأنت تدرس للتلاميذ تتعبد ، لأن العبادة فى الإسلام نقطة هامة جداً ، العبادة فى الإسلام ليست قاصرة على حركات الصلاة والصيام والزكاة ، . العبادة فى الإسلام مستمرة طوال اليوم حتى وأنت نائم ! بدليل «قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين» وهذا ما يصل إليه الصوفية الحقيقيون أو الفاهمون وبـذا يكون مدركاً أنه وهـو يأكل يتعبد ،

---

(١) سورة المائدة الآية (٥٤) .

وهو يعمل يتعبد . . وهذه هى الفكرة التى كانت سائدة فى عصور ازدهار الإسلام ، وهذه هى فكرة الإسلام عن العبادة . .

●●● الشهادة فى سطور :

ـ أعتقد أن عصرنا رغم كل مافيه من سيئات هو عصر يتحرك نحو المشروع الحضارى الإسلامى المتكامل ونحن جميعاً نأمل أن يحقق الله آمالنا جميعاً فى عودة الإسلام إلى قيادة البشرية .